دار الوحدة

'ندوة پاريس'

الناصرية

والنظام العالمي الجديد

* جاك بيرك * خالد محيي الدين
* أمين هويدي * الأخضر الإبراهيمي
* د. اسماعيل صبري عبد الله * د. فؤاد مرسي
* د. حسام عيسى * الياس سحاب
* محمد الزنيبر * فاضل الضاني * حسن صبرا

مقدمة بقلم: د. أنيس صايغ


ندوة باريس
الناصرية
والنظام
العالمي الجديد

الطبعة الاولى
١٩٨١

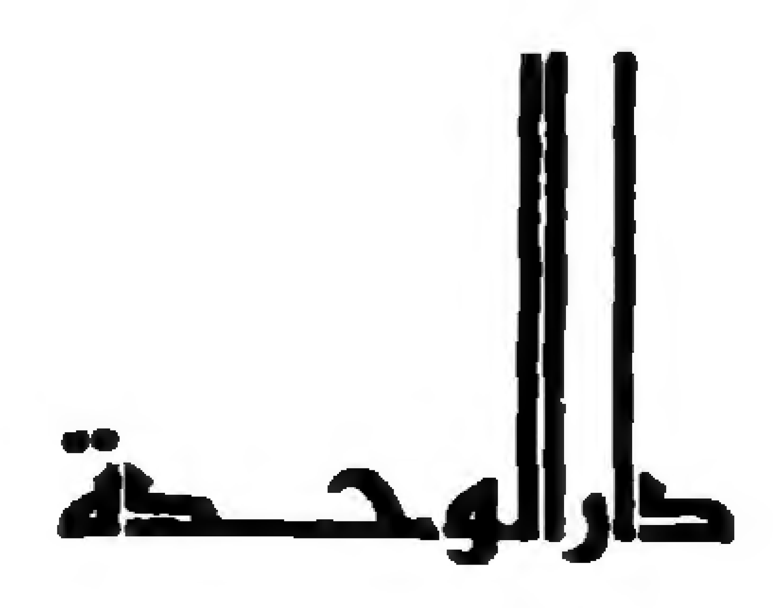
دار الوحدة
للطباعة والنشر
شارع ليون ــ الحمراء ــ بناية مبشر
ص.ب ١١٣/٦٣٨٤ ، هاتف ٣٥٣٨٨٥
برقيا د. الوحدة ، بيروت ، لبنان

"ندوة باريس"

الناصرية والنظام العالمي الجديد

* جاك بيرك * خالد محي الدين
* أمين هويدي * الأخضر الإبراهيمي
* د. اسماعيل صبري عبد الله * د. فؤاد مرسي
* د. حسام عيسى * الياس سحاب
* محمد الزنيبر * فاضل الضاني * حسن صبرا

مقدمة بقلم: د. أنيس صايغ



دار الوحدة

مقـــدمـــة

بقلم : د. أنيس صايغ

الناصرية ، شأن أي حقيقة تاريخية ، تبلو أكثر وضوحاً ، ويغلو فهمها أسهل كلما نظرنا إليها من بعيد ، أي من وراء امتداد تاريخي معقول . ليس لأن الوثائق تكون قد نشرت والأسرار قد كشفت (والواقع ان الناصرية ، سواء نظرنا إليها كحقبة حكم أو كفلسفة حكم ، هي من أقل العهود والأفكار خفايا وأسرار) . ولا لأن المشاعر والأحاسيس ، ايجابية كانت أم سلبية ، تكون قد خفت ، أو على الأقل خفّ تحكمها بالقرار وانحسر ظلها على النظـرة التقييمية ، ولا لأن ما خلفها ناقضها وحاول استبدالها بأبعد وأغرب ما كانت هي تعنيه وتحملـه مما أتاح للمترددين والضائعين والحيارى أمام الأمثولة الناصرية يقبلـون عليهـا ويقبلـون بها بعـد طويل تردد وتيه واضطراب . أقول : لا لهذا السبب أو ذاك ، على أهمية هذه الأسبـاب ، وغيرهـا ، فتلمس الناصرية اليوم ، في الثمانينات ، صورة متكاملة وجلية أكثر بكثير مما كانت قبل عشر سنوات ، وبالذات حينما فقدنا المعلم الأكبر للناصرية ، رائدها وأمثولتها وزعيمها الراحل .

وإنما يحصل ذلك اليوم لأن عشر سنوات ، وهي فترة قصيرة زماناً لكنها حافلة بالأحـداث والعبر لمن شاء الاعتبار ، وضعت الناصرية في مكانها الصحيح مصرياً وعـربياً ودولياً ، سياسياً واجتماعياً وثقافياً . عشر سنوات أعطت النـاصرية للفكرة في معظمهـا ، المعنـى ، والتحقيق ، والمصداقية ، عشر سنوات غابت فيها الناصرية عن الحكم ، وعـن التقـرير الحاسـم للأمـة ، فأضحت أقوى تعبيراً عن نفسها وأشد مضاء في فعلها وأوسع انتشاراً في جماهيرها . وكأننا اليوم ونحن نعاني من آلام وآثام اقصاء الناصرية عن السلطة ، نتمتع أكثر من أي وقت مضى بقـوة الناصرية وسعة امتدادها عربياً وعالمياً ، وهذا هو المغنم الكبير لفكرة سياسية : ان تخسر حكماً ولكن ان تربح جمهوراً . ان تهزم كنظام سلطة فتتحول إلى إيمان أمة .

وانه لمن دلائل الحيوية والعافية في الناصرية (وهي ، أي هذه الدلائل ، أسباب وعوامل للحيوية والعافية في الوقت نفسه) ان يقف نفر من أصحابها ، من الذين يجهرون بانتمائهم لها في ظروف كاد هذا الايمان يتحول أمام القانون المصطنع إلى كفر ، سنـة بعـد أخرى ، يدرسـون

ويبحثون ، ويتحاورون ويتناقشون ويتفقون ويختلفون . وأي قوة للناصرية ، شأن أي حقيقة تاريخية ، أشد من هذه القوة : أن تخضع للفحص والتنقيب ، يوماً بعد آخر ، وللدرس ، للأخذ والنيل ، التصحيح والتعديل ، والتفسير ؟

فالناصرية ، ربما أكثر من أي حقيقة تاريخية أخرى ، إنما كانت مجموعة مواقف حاسمة . مجموعة قرارات . مجموعة بطولات ـ في مصر وفي عموم الوطن العربي وفي العالم بأسره ، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً . وعلى الناصريين ، المتجردين من وهم كمال العقيدة واكتمالها ، أن يحاولوا ربط هذه المواقف والقرارات والاجراءات ، وما كان خلفها ووراءها من أفكار ومسببات . واستخلاص خط واضح ، وهو كان خطاً واضحاً في فكر صاحبها ، لا شك ، لكنه واضح بقدر ما هو نام ، وثابت بقدر ما هو عرضة للتجريب والخطأ .

الناصرية تجربة غنية ، تحتاج ، فقط ، إلى أن تظل دوماً تحت الفحص ، لتظل حية وتظل قادرة على الارشاد والتوجيه . فالركائز فيها ثابتة : وحدة ، حرية ، تقدمية ، اشتراكية ، لكن المبتدلات في التنفيذ وفي التلاؤم مع الظروف المستجدة . وهذا ما يستوجب انعقاد مثل هذه الندوة ، التي يضم كتابنا هذا وقائعها ويستوجب استمرار الندوة كلما أمكن أصحابها عقدها .

ولعل أكثر ما يلفت النظر في ندوتنا هذه الرقعة الواسعة لخلفيات المشاركين فيها ، وكأنها تعبير صادق عن سعة رقعة الجماهير الناصرية ، فهم ، قطرياً واقليمياً ، من بلدان متعددة ، يمثلون الوطن العربي بأسره ، مشرقه وقلبه ومغربه ، ومتوسطه وجزيرته . وهم ، عقدياً ، قوميون وماركسيون وليبراليون . وهم ، تجربة ، يمتدون من مساعدين لجمال عبد الناصر ومشاركين في تحمل أعباء الفكر الناصري ، إلى شبان لم يعرفوا الرجل وبينهم من لم يره في حياته ، بل إلى مسؤ ولين سابقين دخلوا السجن في عهد عبد الناصر ، وربما بأمر من عبد الناصر نفسه ! .

وهذه هي جماهير عبد الناصر ، لا تعترف بحدود قطرية ، ولا تتقوقع في غطرسة قومية عنصرية . ولا تحمل الراية نفاقاً وقد أصبح حمل الراية شقاء . ولا تندفع بعاطفة عمياء وقد صقل النقد العقلاني الفكرة ونقاها من شوائب المشاعر والرومانسيات . ولا تجعل من انتمائها الطبقي حائلا دون المشاركة ببناء الصرح الناصري ـ ولو في مرحلة البناء فقط .

ان ما سبق أن تعهدته ونشرته رابطة الطلبة الوحدويين الناصريين والمؤ سسات الأخرى المساندة لها في اقامة هذه الندوات في هذه السنة والسنوات السابقة ، إنما هو زاد جديد يضاف إلى الزاد القديم الذي يتيح للجماهير الناصرية أن تجدد تعرفها على الفكر الناصري والتجربة الناصرية وترافق نمو هذا الفكر واستمرار عطاء هذه التجربة . وما أحوج جماهيرنا الناصرية إلى مثل هذا الزاد في ظروف كالتي نمر بها اليوم : في داخل مصر ، حيث تجري المحاولات لاقتلاع النبتة الناصرية من جذورها ليسهل استنبات الأرض الطيبة زرعاً لم تعهده وليكون أكلاً لغير شعب مصر ، بل لأعداء شعب مصر وسائر الشعوب العربية ، وفي سائر أنحاء الوطني العربي ، حيث

أصبح التفرق والتشرذم قاعدة العلاقات بين الأنظمة والحكومات ، وحيث أصبحت القزمية الصفة الغالبة للقيادات ، وفي الوجود العربي كله على خارطة العالم السياسية والجغرافية والحضارية حيث تقلص الدور العربي ، في أعقاب الغياب الناصري ، إلى أقل وأضعف ما يمكن لكيان أن يؤديه ، على الرغم من ، وعلى نقيض ما يتمتع به هذا الكيان ، نظرياً ، من جبروت في الثروة والقدرة الكامنة وفي الثورة حينما تتفجر .

ان مثل هذه الظروف ، التي تشكل تحدياً أساسياً يومياً للأمة العربية وجماهيرها المناضلة ، ولجماهيرها الناصرية بشكل خاص ، لن يتمكن العرب من مواجهتها ، والثبات في وجهها أولا ثم التغلب عليها وقهرها ، إلا في المزيد من الاستنارة بالفكر الناصري ، والمزيد من الاسترشاد بأمثولة التجربة الناصرية .

أنيس صايـــغ

الافتتـــاح

١ ـ كلمة السيد بيتر لان .
٢ ـ كلمة الرابطة .
٣ ـ كلمة الأستاذ جاك بيرك .

الجلسة الأولى

صباح يوم ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ .

الكلمات الافتتاحية

١) كلمة السيد / بيتر لان ، رئيس جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي .

إنه لشرف كبير أن نرحب اليوم باسم جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي بكل الشخصيات المرموقة العربية والأوروبية التي لبت دعوتنا وبالأخص رئيسا ندوة « الناصرية والنظام العالمي الجديد » السيد جاك بيرك الأستاذ بالكوليج دي فرانس والذي نشعر صوبه بتقدير حقيقي ، والسيد خالد محي الدين أحد رفاق جمال عبد الناصر المخلصين وعضو مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢ . والذي نحترمه ونقدره كثيراً .

على قبل كل شيء أن أحدد لأصدقائنا أن جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي ليست إلا شريكة في تنظيم هذا اللقاء وأن التقدير الواجب يعود إلى رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين التي يمثلها الدكتور يوسف الصميلي والذي يعود إليه الفضل كله منذ البداية ، وان كانت جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي قد استجابت لأن تكون بشكل من الأشكال الجزء الفرنسي في هذه الندوة فمن ناحية لأن الاشتراك في مثل هذا التجمع حول الناصرية هو تكريم لذكرى هذا الزعيم العربي الكبير الذي غاب منذ عشر سنوات ولأن هذا يعني أيضاً أننا سنقوم بالتفكير سوية بكل رؤ ية واضحة حول هذه الصفحة من تاريخنا إذ أن هذا التاريخ مشترك بيننا للعديد من الأسباب التي تتعلق باللحظات المصيرية لمصر وللعالم العربي . عندما قصدني لطف الله سليمان ويوسف الصميلي يسألانني عما إذا كانت جمعية التضامن العربي ـ الفرنسي تستطيع المساهمة في تحقيق هذا المشروع ، وبما أن الأمر هنا لا يتعلق باعلان سياسي سيقوم بمدح أو ذم هذا النظام العربي أو ذاك فقد وافقت بكل سرور على المبدأ وهو أن أكون واحداً من المساهمين في تنظيم هذه الندوة . وكما أوضحت منذ البداية فإن جمال عبد الناصر ينتمي في نفوسنا إلى فترة من تاريخ لا تخص مصر وحدها أو العالم العربي فقط ، بل العالم بأكمله في علاقاته مع القوى الكبرى . ولقد وجدت في أحد أعداد « فرنسا والعالم العربي » الصادر عام ١٩٧٠ وبين المقالات المختلفة التي

كانت مخصصة للزعيم المصري الكبير الذي كان قد توفي حينها رسالة التعزية من الجنرال ديغول الموجهة إلى سفير الجمهورية العربية المتحدة آنذاك السيد عصمت عبد المجيد وإذا ما سمحتم سأقوم بتلاوتها : « أشارك من كل قلبي في حزن مصر الكبير . فبذكائه ، وإرادته ، وشجاعته الخارقة أسدى الرئيس جمال عبد الناصر إلى بلده وإلى العالم العربي بأجمعه خدمات لا نظير لها . وفي حقبة من التاريخ أثر قساوة ومأساوية من مثيلاتها لم يتوقف عن الجهاد من أجل استقلاله وشرفه وعظمته . لقد فهم كل منا صاحبه جيداً ، وكان بيننا فوق الفهم ، احترام عميق متبادل . وهكذا استطعنا أن نعيد اقامة علاقات جيدة بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا ، علاقة رائدها الصداقة الكبيرة القديمة العهد بينهما ورغبتهما المشتركة في العدالة والكرامة والسلام . وإني إذ أعبر لمصر من خلال شخصكم عن أعمق مشاعر حزني أود منك سيدي السفير أن تقف على تقديري العالي وحفظي لذكرى المودة » .

وبعد أقل من ستة أسابيع غاب الجنرال ديغول بدوره . وقبل أن أعطي الكلام ليوسف الصميلي أريد أن أستدرك بسرعة بعض المقتطفات لمرثية كاتب فرنسي ، غابرييل ماتنيه ، ظهرت في « كومبا » أول تشرين أول ١٩٧٠ لكي أقوّم تفكيرنا جميعاً في تلك الفترة والذي ما زال مستمراً فينا . كتب ماتنيه « عبد الناصر في الموت يجرحنا كما السهم ، إنه رجل الدولة الكبير الذي أعاد تعليم الشعب المصري العيش منتصب القامة ، لقد مات عبد الناصر لكن كل من يعرف ويحب العالم العربي يعلم أن هذه الميتة هي في نفس الوقت انتصار على الموت . هذا الفخر بالانتماء الذي أحيا ناره عبد الناصر ما زال يلتهب في قلب ولحم ودم كل شاب مصري وكل شاب عربي انه شعلة متأججة لا تطالها ظلمات المال والنابالم . ان الناصرية بالنسبة للعرب ، كما الديغولية بالنسبة لفرنسا ، والتي لم نستطع بعد الوصول إلى أغوارها ، هي فكرة محددة عن العالم العربي ، وأيضاً فكرة محددة عن العالم أجمع وعلى الأخص فكرة محددة عن جدل الانسان .

٢) كلمة رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين .

سيداتي وسادتي .

اسمحوا لي أن أبدأ بالترحيب بكم ، وبالتقدير الرفيع من الرابطة بتجاوبكم مع دعوتها ومثل هذا التجاوب يأتي دليلاً اضافياً على مدى ما يلعبه المفكرون ، والمهتمون بالعمل العام من دور ، ومن ريادة ، ومن بناء لعنصر التواصل بين الأجيال .

ان رغبتنا في اقامة هذه الندوة لم تكن كافية لتحقيقها لولا مقدار التجاوب الذي لقيته دعوتنا ، من اخوة وأساتذة لنا ، حيث كانت الرغبة مجرد فكرة حتى أثمرت بالحوار فتحولت إلى مشروع ، ثم تحولت بالتعاون مع جمعية التضامن العربي الفرنسي إلى حقيقة . وفي كل هذا المشوار كان الجهد جماعياً ، واسعاً ، بسعة ما تحتويه هذه الندوة من أفكار وجهود وتطلعات .

أن نلتقي اليوم في الذكرى العاشرة لرحيل جمال عبد الناصر ، فإن هذا يعني اننا نقف على العلامة البارزة في تاريخ الأمة العربية المعاصر .

وأن يكون حديثنا عن الناصرية ، والنظام العالمي الجديد ، فإننا نعتمد الناصرية كطريق لمستقبل هذه الأمة ، ولارادتها في اجتياز المحن ، والتشويه الذي تعيشه ، ولعل هذين المعنيين : العلامة البارزة في تاريخنا ، والمستقبلية في الحركة الناصرية هما اللذان دفعا الشباب العربي إلى انشاء رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين وهما اللذان حددا لهذه الرابطة نهجاً في التعامل مع الأحداث المتغيرة في العالم وفي واقع أمتنا على وجه الخصوص .

في تاريخ النضال العربي ، حينما كان تحت قيادة جمال عبد الناصر علامات بارزة يشتد ضياؤها ، وتزداد قيمتها كلما نظرنا إليها في مكانها وزمانها ، بمعنى كلما التزمنا العلمية في دراستها .

- كسر احتكار السلاح .
- مؤتمر باندونج .
- تأميم قناة السويس .
- ولادة الجمهورية العربية المتحدة .

ـ قرارات التحويل والاختيار الاشتراكي .
ـ الصمود العظيم بعد عدوان حزيران .

ولعل ما جعل هذه العلامات تلعب دورها ، قومياً ، عربياً ، ودولياً ، ان القيادة الثورية التي مثلها جمال عبد الناصر ، لم تتعامل مع هذه الأحداث ، من خلال وزنها « كقيادة تاريخية » فحسب ، ولا من خلال وزن مصر ، وامكاناتها أيضاً ، وإنما من خلال وزن الأمة العربية ، ومن خلال رصيدها التاريخي ، والحضاري ، والمستقبلي .

ان اشتراك ثلاث دول في العدوان على مصر الناصرية في العام ١٩٥٦ لا يبرره ـ حتى من المنطق الاستعماري ـ حدث التأميم ذاته ، ولا ما سبقه من أحداث ، وإنما نجد تبريره الحقيقي من خلال ما تمارسه هذه الثورة على المستويين العربي والدولي . ومن خلال المنظور المستقبلي لأبعاد هذه الممارسة على مصالح قوى الاستغلال والاستعمار العالمي في هذه المنطقة كان طبيعياً أن تلتقي دولتا الاستعمار القديم مع الزرعة الصهيونية في أرضنا لتنفيذ هذا العدوان .

إننا نلحظ في كل هذه العلامات ، وفي غيرها وغيرها كثير ، توفر ثلاث عوامل ، انفردت بها هذه القيادة التاريخية ، فاستطاعت أن تشكل إرادة جديدة بعيدة عن واقع الاستقطاب الدولي ، وإرادة فعالة في طرح طريق جديد لعالم جديد .

العامل الأول :

انها كانت في كل هذه الحركة ، رائدة سباقة ، والريادة هنا ليست مجرد تسجيل الرقم ١ في عملية المواجهة وإنما ـ وهذا الأساس ـ كسر أساليب تعامل قوى الاستغلال والاستعمار مع الشعوب ، بما يعني هذا من نتائج احباط لهذه القوى في أية عملية لاحقة ، وبما يعني أيضاً من تشجيع لارادة الشعوب في أن تنمو هذا النمو ، دون تعقيد متعمد في حساباتها ، ودون سوط ارهابي ذاتي في رؤيتها للقوة الاستعمارية .

العامل الثاني :

الاعتماد على القوة الجماهيرية في لحظات الحسم باعتبارها أداته الأكثر فعالية . ولقد أثبتت هذه القوة الجماهيرية قدرتها في أحلك الساعات ، ولعلنا نذكر مثلا واحداً على هذه القدرة ـ موقف جماهير ٩ ـ ١٠ حزيران .

العامل الثالث :

انها كانت تفتح عقلها لكل الأفكار ولكل المفاهيم والقيم ، لكن عيونها دائماً على واقع الأمة ، وما تتيحه من امكانات ، وتشير إليه من حلول الفكر المفتوح دون تعصب ولا عقد ، يتلقى كل التيارات ، ثم لا يعزز إلا ما يشير واقع الأمة إلى ضرورته ، وإلى أهميته .

وإذا كان واقع العالم اليوم يشير إلى اتساع الهوة في بنيته الاجتماعية ، بين دول اتفق على تسميتها نامية وأخرى متقدمة ، وبين دول لا تملك اراداتها المستقلة « نسبياً » وبين دول تتحكم بإرادات الآخرين ، فإن اتساع الهوة هذه خرج من اطاره كاقرار لواقع ، ليحتل مرتبة الاحساس بهذا الواقع والاحساس بأخطاره على السلام العالمي ، وعلى تقدم وتطور البشرية . ولعل الكثير من الأصوات التي ترتفع في اطار ما يدعى بحوار الجنوب والشمال ، سواء بمباشرة أجهزة الأمم المتحدة أو بمباشرة المؤسسات الاقليمية والقارية ، كلها يقع في هذه الدائرة ، لكن أيضاً كلها يعجز حتى الآن ، عن تصور طريق حقيقي يضمن أهداف الرقي الانساني العامة . والطريق الذي نعتقده تجديداً في هذا الميدان ، لا يعتمد على مقدار تفهم « الدول المتقدمة » لضرورات « الدول المتخلفة » وإنما بمقدار تفهم « الدول المتخلفة » لحقها في ذلك ، ولطريقها في الوصول إلى هذا الحق .

ان الاقدام على مواجهة دواعي هذا التخلف « السياسية ـ والاقتصادية والاجتماعية » والاعتماد على القوة الجماهيرية في هذه المواجهة والالتزام أولا وأخيراً بمجتمعاتهم وما تطرحه هذه المجتمعات من مشاكل ، وما تطلبه من حلول ، هو الطريق الوحيد المجدي لاكتشاف أقصر السبل للرقي .

إنه طريق الامساك بالحق ، وحشد القوة لتحقيقه وحفظه . ولعل هذا ما أردنا أن نوضحه في العوامل الثلاث التي ميزت مواجهة عبد الناصر في المعارك العديدة التي خاضها .

إننا نرحب بكم ، ونأمل أن تكون هذه الندوة خطوة في اكتشاف عناصر الاستمرارية في الناصرية ، قبل ما تكون خطوة لاكتشاف سبيل حقيقي للخلل الخطير الذي نراه في عالم اليوم على مستوى كل أمة ، وعلى مستوى العلاقات الدولية .

والسلام عليكم ،

٣) كلمة جاك بيرك الافتتاحية .

انها لسعادة وشرف لي أن أشارك صديقنا خالد محي الدين رئاسة هذه الندوة التي رغبت في المشاركة فيها عدة شخصيات وفد إلينا العديد منها محملا بثقل التجربة والمعاناة والأمل . ان هذا يعيد إحياء ذكريات تقادم عليها العهد بين مصر وفرنسا ، ذكريات لم يكن فيها بلدنا دائماً بأفضل حالاته . لكن ايجابيتها تطغي عليها بشكل كبير وأعتقد جازماً أن هذا هو الشعور الذي كان يسيطر حتى على روح القائد الكبير الغائب والذي نمجد اليوم ذكرى وفاته السنوية العاشرة . وبين المصريين المتواجدين هنا بعض المشاركين الأوائل في هذه الحركة الكبرى التي قلبت العالم العربي وجزءاً كبيراً من العالم القديم ، والبعض الذين لا أريد ذكر أسمائهم استحقوا تماماً التسمية التي نشرها اخوتنا الجزائريون « الأبطال التاريخيون » . وآخرون كانوا عقائديين ومسؤولين . وآخرون كانوا معارضين وساهموا أغلب الأحيان بالرأي كما بالتفكير وعلى العموم بالتقييم الصحيح . وآخرون كانوا مراقبين يحاولون اعادة روح الموضوعية والالتزام أو التوصل إلى هذه الأعراف في التحليل حيث تضحي الموضوعية شكلا من القدر . ربما ؟ سيكون ذلك متاحاً لنا اليوم بما أن نقد التاريخ المنقضي الذي هو أيضاً استشراف للتاريخ الآتي يتم بالحضور وبالمشاركة في واحدة من هذه اللحظات المهمة حيث تشكيل العالم وحيث اعادة تشكيل العالم ينفصل عن عالم الذكرى .

القسم الأول :

١ ـ نصوص :

● الناصرية والنظام العالمي الجديد دور دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، خالد محي الدين .

● الناصرية والنظام العالمي الجديد رؤ ية عربية من منظور استراتيجي ، أمين هويدي .

● الناصرية والنظام العالمي الجديد رؤ ية عربية من منظور سياسي ، الأخضر الابراهيمي .

٢ ـ مناقشات .

عبد الناصر والنظام العالمي الجديد
ودور بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية

بقلم : خالد محي الدين

سيداتي وساداتي

أود باسمي شخصياً وباسم كل المناضلين المصريين من أجل الدفاع عن استقلال مصر السياسي والاقتصادي ومواصلة النضال من أجل الحفاظ على منجزات ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ أن أقدم شكري إلى رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين وكل الهيئات التي شاركت معهم في اعداد هذه الندوة وعلى دعوتهم لي للمشاركة في هذا العمل السياسي والفكري الجاد .

. . سيظل جمال عبد الناصر كشخصية سياسية مصرية وعربية ودولية احدى السمات الهامة لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم ، وستظل مرحلة قيادته للشعب المصري والشعوب العربية ضد الاستعمار القديم والجديد والصهيونية موضع الدراسة المستمرة للحركة الوطنية والديمقراطية الثورية في شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، تستخرج منها الايجابيات لتكون زاداً لها في مواصلة مسيرتها الثورية ، وتعرف منها السلبيات حتى تستطيع أن تتلافاها .

جمال عبد الناصر جندي وسياسي ـ جندي ولدت تجربته العسكرية في معارك فلسطين عام ١٩٤٨ وكان أبرز هذه الأدوار هي قيادته لاحدى كتائب الجيش المصري عندما حوصر لواء من الجيش المصري في منطقة الفالوجا بواسطة الجيش الاسرائيلي ، ولقد استطاع هذا اللواء أن يصمد للحصار عدة أشهر حتى وقعت اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ ـ وقاد جمال عبد الناصر أثناء ذلك الحصار أخطر المعارك العسكرية والسياسية والنفسية طوال هذه الفترة واستطاعت هذه القوة أن تثبت أن الجندي العربي قادر على الحرب بنديه تامة حتى في حالة فقدان التفوق العددي والتفوق في المعدات!

لقد أعد جمال عبد الناصر نفسه للمعارك العسكرية والسياسية التي قاد بها الجنود في عام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ثم شعب مصر والشعوب العربية معها منذ سنة ١٩٥٢ إلى وفاته في سبتمبر ١٩٧٠ . لقد درس جمال عبد الناصر في كلية أركان الحرب المصرية ، وقد كان امتحان القبول بهذه الكلية هو نوع من المسابقة العامة . وكانت الدراسة باللغة الانجليزية . مما مكن جمال عبد الناصر

من الاطلاع على كل الأدبيات العسكرية والسياسية الصادرة باللغة الانجليزية . فالدراسة بكلية أركان الحرب العليا لا تقتصر على الموضوعات العسكرية بل تمتد إلى التاريخ والسياسة الدولية ، وهنا كانت الخطوات الأولى للدراسة المتأنية لجمال عبد الناصر .

والنقطة الجوهرية للدراسة في كلية أركان الحرب العليا التي تمتد لمدة عامين هي انها تركز منذ اللحظة الأولى للدراسة حتى نهايتها على أن تمكن الدارس من أن يفكر بطريقة منظمة ومرتبة ومنهجية في كل القضايا . في كل المشكلات التي يواجهها عليه أن يدرس الموقف ويقيمه ويقدر موقفه وموقف الخصم والطرق المفتوحة أمامه وأمام الخصم وقدرة قواه وقوات خصمه وأن يتنبأ بالخطوات التي يتوقع أن يقوم بها خصمه . ومع مرور الزمن بالدراسة تصبح هذه الطريقة المنهجية المنظمة المرتبة جزءاً من التكوين الفكري للدارس ، وهذا يهدف ان يواجه الدارس بعد ذلك كل مواقفه بفكر هادىء ومرتب ليتخذ قراراً سليماً .

لقد استفاد جمال عبد الناصر من هذه الدراسة المنهجية ليطبقها على السياسة بتعديلات هامة وأضاف إليها خبرتين ـ خبرة العمل السياسي نفسه في القوات المسلحة ـ فقد شارك عبد الناصر الذي التقيت به في ديسمبر ١٩٤٤ في كل الحركات السياسية في الجيش حتى انشاء الضباط الأحرار في صيف سنة ١٩٤٩ . وبحكم العلاقات التي نشأت عن الحركة السياسية في الجيش وخاصة بعد انشاء تنظيم الضباط الأحرار ، وبين الجماعات السياسية المختلفة من الاخوان المسلمين والماركسيين والوفد ومصر الفتاة والحزب الوطني وكل الحركات الوطنية والديمقراطية . ولقد فهم عبد الناصر مواقف واتجاهات هذه القوى وأين ومتى يستطيع أن يتعاون ويتصادم معها . . وازدادت هذه الخبرة رسوخاً بعد أن تواجد على قمة السلطة بناء على المعلومات والاتصالات التي يقوم بها وبكل الامكانيات الكبيرة التي تواجدت لديه .

والخبرة الثانية هي اطلاعه أولا بأول على كل الأحداث السياسية والاقتصادية العالمية ـ فقد كان عبد الناصر قارئاً لأهم الصحف العالمية الكبرى بنفسه . والبعض الآخر عن طريق الاعداد له ،ـ ثم الدراسة المنظمة والمنهجية التي قام بها عبد الناصر لتثقيف نفسه بكل الأدبيات الماركسية القديمة والجديدة حتى وفاته ، وبكل الأدبيات الاشتراكية غير الماركسية وخاصة لحزب العمال البريطاني والهند والبلاد الاسكندنافية ، كذلك درس بعناية كل المواضيع الخاصة بالتسليح وسباق التسلح وعلاقاتها بالسياسة الدولية ، ودرس الأفكار الجديدة حول الماركسية ، وكذلك قرأ بعناية كل الأدبيات الخاصة بالخلاف الصيني السوفيتي ثم درس بعناية تجربة التنمية في الهند ويوغوسلافيا والاتحاد السوفيتي ، وكان الهدف دائماً من الدراسة أن يخرج بشيء ايجابي حول ماذا يستطيع أن يفعل لبلده وشعبه وأمته العربية .

لقد أعد جمال عبد الناصر نفسه سياسياً وفكرياً سواء قبل قيام الثورة أو بعدها حتى يستطيع أن يقوم بهذه المهمة التاريخية التي ألقيت على عاتقه . ونستطيع بعد ذلك أن نقرر نحن الذين عشنا

معه وزاملناه فترة طويلة ـ أن عبد الناصر فهم العالم الذي يعيش فيه ، وفهم المتغيرات التي حدثت في عالمنا والتوازن الذي نشأ في العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتطور هذا التوازن لصالح الشعوب المقهورة ولصالح القوى الجديدة وأبرزها مجموعة الدول الاشتراكية .

وعندما فهم عالمه والعصر الذي يعيش فيه انحاز بوعي لصالح الشعوب في نضالها ضد الاستغلال والسيطرة الأجنبية . كان عبد الناصر منحازاً أولا لصالح شعبه ضد مستغليه وأعدائه الامبريالية الأمريكية والصهيونية ـ لذلك حدد عبد الناصر مكانه في الصراع العالمي منحازاً لشعبه ولكل الشعوب من أجل انهاء السيطرة الأجنبية وبناء حياة أفضل لشعبه ولكل الشعوب .

أردت بعد هذه المقدمة عن جمال عبد الناصر الجندي والسياسي أن أقدم في هذه الورقة القصيرة ملامح عامة لدور عبد الناصر في العلاقات الدولية حيث أن تحديد هذا الدور يحتاج إلى ما هو أضخم من ذلك حجماً وأطول زمناً .

ويمكن القول ان عبد الناصر قد أعطى للعلاقات الدولية من زاوية دور العالم الثالث في الصراع الدولي قدراً من الديناميكية ما كان في مقدور غيره القيام به .

ان دور عبد الناصر الدولي قد ارتبط بأكثر فترات المجتمع الدولي توتراً تحت تأثير سياسة الحرب الباردة بين المعسكرين . وإذا كانت الحرب الباردة قد انتهت بعصر الانفراج الدولي أو ما يحلو للبعض أن يسميه بعصر الوفاق فإن لعبد الناصر دون مبالغة دوراً فيما انتهتَ إليه الحرب الباردة رغم ان النتيجة لم تتحقق إلا بعد وفاته بأعوام .

فالانفراج الدولي هو اتفاق العملاقين على معالجة القضايا الدولية بالطرق السلمية . وهو محصلة سلسلة من الاتصالات تمت بين موسكو ووشنطن . ولا شك أن عبد الناصر ظل يعمل من أجل هذه الفكرة ويدعو لها . فقد أعلن في الدورة رقم ١٥ للجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٠ وبالتحديد في ٢٧ سبتمبر اقتراحه بأن « تصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة توجيهاتها بضرورة أن يجتمع الزعيمان الكبيران ـ أيزنهاور وخروشوف ـ تحت علم الأمم المتحدة . إما وحدهما وإما مع من ترون من الحاضرين هنا كي يضعوا تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها قواعد بدء المحاولة من جديد لحل المشاكل الدولية سلمياً » . وأمام ما قامت بهـ الولايات المتحدة من مناورات قام الرئيس عبد الناصر بموافقة الرؤساء تيتو ونكروما وسوكارنو بسحب اقتراحه .

ولم ييأس عبد الناصر رغم كل ما حدث في الأمم المتحدة . . بل على العكس أخذ في تجميع العالم الثالث وراء فكرته . . وكانت الساحة الطبيعية لعمل عبد الناصر في هذا الاتجاه هو عدم الانحياز . فنجده يتقدم لأول مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز ببلجراد سنة ١٩٦١ ـ اقتراحاً جديداً في الجلسة المغلقة التي عقدها المؤتمر وكانت قاصرة على رؤساء الدول فقط . وخلالها قدم عبد الناصر رسالة للرؤساء نصها :

« لقد اتضح لنا جميعاً خلال ما استمعنا إليه في هذه القاعة أن هناك اجماعاً بيننا على أن المفاوضات بين الكتلتين هو الطريق الوحيد لحفظ السلام وتفادي الحرب » بل لقد أحسسنا جميعاً بالتقائنا بالرأي العام في بلادنا وفي العالم . ان الرأي العام العالمي المتمسك بكل أمله في السلام يلح بضرورة البدء في هذه المفاوضات . وفي رأيي انه قد حان الوقت الذي تتمسك فيه بهذا الأمل ونبحث في الوسائل العملية التي تكفل لهذا المؤتمر أن يؤدي دوراً ايجابياً في سبيل الوصول إليه .

واني أعرض عليكم أن تصدر عن هذا المؤتمر دعوة للطرفين بالبدء في المفاوضة . ولكي يكون لهذه الدعوة التي تحمل فكرنا في هذا الأمر تأثيرها ، فإننا نقترح أن توجه رسالة جماعية من هذا المؤتمر يوقعها الرؤساء الحاضرون هنا والممثلون نيابة عنهم إلى كل من خروشوف وكينيدي ، وأن ينقلها إليهما من بين الرؤساء الحاضرين هنا من يقع اختيار المؤتمر عليهم تأكيداً لاهتمام شعوبنا وشعوب العالم بمستقبل السلام والحرص عليه .

ولقد لمست من رؤساء الوفود الذين تبادلت الرأي معهم في هذا الاقتراح ان آراءنا جميعاً كانت متفقة . وكان اقتناعهم متماثلا مع اقتناعنا . ولعله من دواعي الأمل ان المفاوضات وضرورتها كانت موضع تصريحات مشجعة صدرت عن كل من خروشوف وكينيدي. ومن ثم فإن دعوتنا لهما هي في الواقع نداء إليهما بالاسراع فيما أحسسنا بحق انه ضرورة حيوية يطالب بها شعباهما والشعوب التي يستبد بها القلق والاحساس بالخطر لتدهور الموقف الدولي . ولذلك اقترح :.

● توجيه رسالة من المؤتمر إلى كل من خروشوف وكينيدي بالاسراع إلى التفاوض بينهما من أجل سلام العالم .

● أن ينقل رسالة المؤتمر إلى كل من الرئيس السوفيتي والأمريكي رئيسان من بين الرؤساء الحاضرين في المؤتمر » .

وقد وافق المؤتمر بالإجماع على الاقتراحين ثم قدم جمال عبد الناصر بعد الموافقة اقتراحين يعدان بمثابة الخطوات العملية لاقتراحه وهما :

* تكليف نهرو رئيس وزراء الهند بصياغة رسالة المؤتمر وعرضها على الرؤساء للموافقة عنيها .

* تشكيل وفدي المؤتمر على أساس أن يحمل رسالة الوفد إلى كينيدي كل من الرئيس سوكارنو رئيس أندونيسيا والرئيس موديبوكيتا رئيس مالي ، وأن يحمل رسالة المؤتمر إلى خروشوف الرئيس نهرو رئيس وزراء الهند والرئيس نكروما رئيس غانا .

ووافق المؤتمر بالاجماع على اقتراحات عبد الناصر وكتبت الرسالة وسافرت الوفود وجاء الرد من موسكو بالقبول ومن واشنطن بالرفض . ولم يمنع ذلك عبد الناصر من القيام بمحاولات أخرى

على هذا الطريق لانهاء حالة الحرب الباردة التي كانت تهدد العالم بدخول حرب عالمية هي الانتحار الجماعي بعينه .

وقد أدرك عبد الناصر ان إيمان الشعوب ورؤساء العالم الثالث لا يكفي وحده لتحقيق الأمل في سلام العالم . ولذلك اتجه إلى العمل في اتجاهين كلاهما يسرع بفرض ضرورة انهاء الحرب الباردة .

وكان الاتجاه الأول هو التصدي لسياسة الأحلاف والكتل . وقد خاض عبد الناصر واحدة من أنبل معاركه الدولية وأكثرها شراسة ضد الأحلاف . وكان ميدان المعركة في الشرق الأوسط حيث كانت الجهود الأمريكية مركزة على فرض الأحلاف على الشرق العربي . وكان رأي عبد الناصر ان الاستعمار الجديد يحاول تحقيق أهداف الاستعمار القديم بوسائل تبدو في مظهرها أكثر مسايرة لروح العصر . وفي هذا المجال أصبحت الأحلاف العسكرية موجهة إلى الجبهات الداخلية للشعوب التي تتطلع إلى الثورة على أوضاعها ولتحقيق آمالها ، وذلك أكثر منها أدوات لمواجهة العدوان الخارجي . ثم عمدت دول الاستعمار إلى تقطيع أوصال الشعوب باقامة قواعد عسكرية فيها تمزق وحدتها وتتخذها منطلقاً للعدوان ـ عند الحاجة ـ على الآخرين مثلما حدث في تجربة السويس .

ونجح عبد الناصر في كسر سياسة الأحلاف بعد أن انهار حلف بغداد ، وتساقطت القيادات التي كانت تعمل لحساب الاستعمار الأمريكي في المنطقة . ثم تتابعت بعد ذلك الأحلاف الواحدة بعد الأخرى تدخل « ثلاجة » الجمود ، أو تعلق على أرفف الاهمال والنسيان .

وكان الاتجاه الثاني لعبد الناصر هو العمل الجدي على تصفية الاستعمار من العالم الثالث بوجه عام وافريقيا بوجه خاص . ولم يكن عمل عبد الناصر في هذا المجال هو مجرد فضح مخططات الاستعمار بل كان عملاً حقيقياً بتقديم المساعدات المالية والعسكرية والفنية إلى حركات التحرير . ورغم ضخامة الدعم الذي كان يقدمه إلا انه رأى عدم الاكتفاء بالدور المنفرد في هذا المجال بل قام بدعوة الدول الافريقية الأخرى القادرة على تقديم المساعدات لتنظيم مساعدتها إلى حركات التحرير . ويكفي أن نعرف ان عبد الناصر أعلن في يوم توقيع ميثاق منظمة الوحدة الافريقية بوضوح انه لا يمكن توقيع ميثاق افريقي لا تفسح بين مواده مكاناً لتحرير افريقيا. ولم يكن أمام اللجنة التي أعدت الميثاق سوى اعداد بروتوكول عاجل حيث كان الرؤساء في الانتظار استجابة لاصرار عبد الناصر، وينص البروتوكول على تكوين لجنة لتحرير المستعمرات بافريقيا وأن تكون احدى الهيئات الدائمة لمنظمة الوحدة، وأن تشكل لها لجنة افريقية للاشراف على جمع المساعدات ودعم حركات التحرير سواء من تقديم الأسلحة أو المال او التدريب.

وقد حققت هذه الحركة موجة واسعة من الانتصارات وتحررت دول كثيرة بافريقيا .

وكانت محصلة كل هذه الجهود التي قام بها عبد الناصر تمهيد الطريق نحو تحقيق الانفراج بين العملاقتين .

وقد حرص عبد الناصر خلال عمله الدولي على اعطاء الشخصية الدولية للعالم الثالث ، وإذا كان عبد الناصر ليس أول من دعى إلى سياسة عدم الانحياز فإنه كان حقاً أول من حول سياسة عدم الانحياز من موقف إلى سياسة ، ومن دعوة إلى تيار عالمي . ويكفي أن نعرف ان فكرة جمع دول عدم الانحياز هي فكرته ، وأنه كان وراء عقد مؤتمرات القمة لدول عدم الانحياز .

ففكرة عقد أول مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز خرجت من الاسكندرية في ٢٢ ابريل سنة ١٩٦١ خلال اجتماع عبد الناصر ـ تيتو . وانتهى الاجتماع برسالة منهما إلى عدد من رؤساء الدول تحمل الاقتراح ، ونصها :

« إننا إذ نأخذ في اعتبارنا التطورات الدولية الجارية وخاصة ما توالى أخيراً من أحداث تزيد من التوتر العالمي إلى الدرجة التي تهدد استقلال بعض الدول وتهدد السلام العالمي ، فإننا نرى ان الحاجة تدعو إلى مزيد من التنسيق والتدعيم للنشاط الذي تقوم به الدول غير المنحازة التي تهدف إلى تقدم العلاقات الدولية والبعد بها عن سياسة القوة والاتجاه إلى تسوية بناءه للمشاكل والخلافات الدولية المعلقة والعمل على حماية السلام في العالم .

وبعد دراسة لهذه المشاكل فإننا نعتقد ان الوقت قد حان لرؤساء دول عدم الانحياز لكي يجتمع أكبر عدد ممكن منهم للتشاور والتباحث في المشاكل الدولية العاجلة التي تعوق التعاون الدولي وتشكل تهديداً دائماً للسلام .

واننا نرى ان اجتماعاً كهذا يحسن أن يعقد في أقرب وقت ممكن على أن يتم بأية حال قبل انعقاد الدورة السادسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة حتى تستطيع هذه الدول أن تشارك في تلك الدورة ، وهي أكثر قدرة على العمل الفعال من أجل تحقيق السلام والاستقرار في العالم » .

وهكذا عقد المؤتمر الأول لحركة عدم الانحياز ، ولم يكن المؤتمر الأخير . فقد عقد المؤتمر الثاني لدول عدم الانحياز بالقاهرة ـ ١٩٦٤ ، بدعوة أيضاً من جمال عبد الناصر إذ خرجت فكرة عقد مؤتمر جديد لعدم الانحياز خلال اجتماع عبد الناصر مع مسز باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان ـ وقتها ـ في اكتوبر سنة ١٩٦٣ . وعقد المؤتمر الثاني فعلا وسط هجمة امبريالية شرسة على العالم الثالث بهدف وضع حركة عدم الانحياز في موقف متناقض مع حركة التجمع الآسيوي الافريقي . وأمكن بعقد المؤتمر الجديد انقاذ العمل الجماعي المستقل للعالم الثالث .

وكانت بداية التفكير في عقد مؤتمر ثالث لدول عدم الانحياز في أول مارس سنة ١٩٦٦ خلال الاتصالات التي تمت بين جمال عبد الناصر وتيتو واتفق خلالها على عقد مشاورات أوسع تشمل عدداً أكبر من الدول بلغ ١٥ دولة لمعرفة رأيها وقدراتها على المشاركة في عقد مؤتمر جديد لعدم الانحياز في مواجهة موجة الانقلابات العسكرية التي شملت العديد من دول عدم الانحياز ، وكانت محصلة الاتصالات ان أغلب الدول ترى عدم القدرة على المساهمة في عمل

دولي فعال في هذه الفترة التي تزداد الهجمة الاستعمارية في شكل الثورة المضادة . لذلك عقد عبد الناصر اجتماعاً مع تيتو في ٢ مايو ١٩٦٦ لدراسة محصلة الاتصالات . واستقر الرأي خلالها على حل وسط يوفق بين فكرة عقد المؤتمر وحيويتها ورغبة كثير من الدول في عدم المشاركة في مؤتمرات خلال هذه الفترة . والحل كان في العودة إلى المؤتمرات المحدودة على مثال مؤتمر بريوني سنة ١٩٥٦ . وهكذا عقد مؤتمر ثلاثي من عبد الناصر وتيتو وأنديرا غاندي في الهند في اكتوبر ١٩٦٦ .

وجاءت بعد ذلك حرب يونيو ١٩٦٧ لتكون الأسلوب الوحيد لفرض الجمود على حركة عبد الناصر حيث كان من الواضح انه وحده هو محور كل الاتصالات ومركز الحركة في العالم الثالث . ومع ذلك فكل الذي حدث ان عبد الناصر عاد إلى العمل في الدائرة الأضيق وهي عقد مؤتمرات قمة عربية لتوحيد الصف ، وبناء جبهة عربية تستطيع أن تصمد أولا في مواجهة الغزوة الاستعمارية الجديدة وتكون نقطة انطلاق ليستعيد العالم الثالث دوره من جديد ولكن الموت لم يسمح له بمواصلة المسيرة فسقط على طريق النضال قبل أن يرى صدمة الانتكاسة التي أصابت العالم الثالث بعد موته .

وهذه الجبهة العربية التي بناها عبد الناصر سنة ١٩٦٧ واعادة بناء القوات المسلحة المصرية والعربية . كانت الأساس الحقيقي الذي بنيت عليه معارك اكتوبر ١٩٧٣ مضافاً إليها علاقات عربية دولية قوية بمجموعة الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي والمجموعة الأوربية وكل بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية مما جعل أمريكا واسرائيل تواجه عزلة دولية كاملة في معارك سنة ١٩٧٣ .

ـ تعقيب الأستاذ جاك بيرك :

لقد استمعنا باهتمام كبير إلى هذه الكلمة الرائعة التي أوضحت الدور الجديد تماماً الذي لعبه فكر وممارسة عبد الناصر في بناء عالم جديد ، عالم ليس في خدمة الاستغلاليين ، بل في خدمة قوى التحرر ، ويمر عبر شعوب المنطقة ، والمناطق الأخرى من العالم .

الناصرية والنظام العالمي الجديد
(رؤية عربية من منظور استراتيجي)

(أمين هويدي)

سيداتي وسادتي

أشعر بالاعتزاز وأنا أتحدث إلى هذه النخبة الممتازة من المفكرين ومن شبابنا العربي الذين نعول عليهم كثيراً في تحمل مسئولياتهم لمواجهة الأخطار العاصفة التي تحيط بوطننا العربي من المحيط إلى الخليج . وفي نفس الوقت أشعر بالعرفان للقائمين على تنظيم هذه الندوة إذ أتاحوا لي مثل هذه الفرصة النادرة للمساهمة في هذا الحوار الخلاق .

ولا أكتم حضراتكم أنني وجدت نفسي أمام « خيار صعب » حينما وجهت لي الدعوة في مبدأ الأمر . . وكان سبب صعوبة الاختيار هذه « هو وجوب التحديد الدقيق لموضوع الحديث ». فالموضوع متشعب متفرع إلا أن الصعوبة - أخذت تتراجع حينما اهتديت إلى تقسيم الموضوع إلى أربعة أقسام رئيسية سأحاول أن أتحدث عن كل منها في عجالة :

القسم الأول : المتغيرات الأساسية للنظام العالمي .

القسم الثاني : الموقف العربي الراهن من هذه المتغيرات .

القسم الثالث : الناصرية وعلاقتها بالنظام الجديد .

القسم الرابع : أفكار للبحث والنقاش .

القسم الأول :
المتغيرات الأساسية للنظام العالمي

من المفيد حقيقة أن نلقي بعض الضوء على ما حدث من تغيرات أساسية على النظام العالمي الذي كان قائماً طوال الستينات في فترة العشر سنوات التالية لوفاة عبد الناصر العظيم . وبادىء ذي بدء فإن كلمة « النظام العالمي » هذه تختلف في تحديدها الآراء . . فالدول الرأسمالية « - مثلا تنظر إليها نظرة مخالفة لنظرة الدول الاشتراكية أو الدول النامية . علاوة على أن « النظام العالمي » نظام

متغير تبعاً لتغير الظروف التي قام فيها وتبدل « موازين القوى » وميلها إلى هذا الاتجاه أو ذاك . فما كان يصلح بالأمس قد لا يصبح ملائماً لليوم أو الغد .

وأي نظام عالمي ـ يكتسب وجوده وشرعيته على أساس قاعدة « الرضاء الناقص » للأعضاء الذين يشاركون فيه ولكن إذا اختل « التوازن القائم » بشكل حاد وأخذ يميل في ثقل نحو جانب دون الآخر بحيث تتأثر المصالح الحيوية لبعض الأطراف يفقد هذا النظام « شرعيته » من وجهة نظر هؤلاء ومن ثم تبذل الجهود لاعادة التوازن قبل أن تصل الأمور إلى ما أسماه « ميترنيخ » في أوائل القرن ١٩ « بالموقف الثوري » الذي لا يمكن مواجهته إلا باستخدام « القوة المسلحة » فيتحطم « النظام القائم » ليبنى على أنقاضه نظام جديد يتفق و « موازين القوى الجديدة » .

ولم يعش العالم أبداً في ظل «السلام» الذي تزول فيه الصراعات التي يحتمها تناقض المصالح والرغبات وكان أقصى ما يتمناه «المجتمع الدولي» هو الوصول إلى حالة «الاستقرار» وقد تأكدت هذه النظرة التاريخية بشكل أعمق في ظل «الرعب النووي» الذي يعيش فيه «عالم اليوم» وفي ظل هذا «الاستقرار» ارتضى العالم أن يعيش داخل «نظام عالمي» مبني على قاعدة «الرضاء الناقص » أو الوصول بالأهداف المتعارضة المتناقضة إلى نقطة وسط بين « الانتصار الكامل » و « الاستسلام الشامل » . وما سياسة « الوفاق المائع » التي نراها الآن إلا محصلة حتمية لهذه القاعدة الأساسية .

وفي ظل هذه المعايشة ـ المفروضة قسراً يسمح « بالحروب المحدودة » التي تجري على مسرح « العالم الثالث » وهي حروب تتم في حقيقتها « بالوكالة » إذ تمتزج فيها « الارادات المحلية » ـ « بالارادات الخارجية أو العالمية » . . فدفعات تتم هنا وهناك . وتكون حصيلتها اضافة « النقط » إلى « كشف المكاسب والخسائر » . . وما يجري الآن هو في حقيقته صورة « الحرب العالمية الثالثة » لأنه لن يعيش أحد ليؤرخ « الحرب الرابعة الشاملة » أو ليصف لنا أحداثها .

هذا هو جوهر النظام العالمي الذي نعيشه حتى الآن منذ الخمسينات ولكن حدثت تغييرات أساسية في قواعد « ادارة الصراع » في العشرة سنوات الماضية من الضروري القاء بعض الضوء عليها فما هي هذه المتغيرات التي حدثت في النظام العالمي . . . ؟

١ ـ عالم ثنائي الأقطاب يتجه ليصبح عالماً متعدد الأقطاب .

عقب انتهاء « الحرب العالمية الثانية » مباشرة أصبحت « الولايات المتحدة الأمريكية » بحق هي الدولة الأعظم ـ واتجهت لتشكل « نظاماً عالمياً » يحقق لها « الرضاء الكامل » تتولى هي زعامته وقيادته دون شريك إذ انها كانت تحتكر « ملكية القوة النووية » وبذلك انتقل « ميزان القوى » من أوروبا إلى أمريكا عبر المحيط .

ولكن بعد أن تم للاتحاد السوفيتي « كسر احتكار القوة النووية » بدأ سباق رهيب بين

« الدولتين الأعظم » في ظل مبدأ « الرضاء الناقص » كان على النظام العالمي أن يتطور ليتلاءم مع التغيير الخطير . فحدثت ثلاثة تغيرات خطيرة نتيجة للتقدم التكنولوجي النووي . . .

ـ فالتغيير الأول حدث في « الاستخدام السياسي للقوة » .

فكان من المعروف ان أي زيادة في « القوة العسكرية » تقابلها « زيادة حتمية في القوة السياسية » ولكن في عصر القوة النووية لم تعد « الزيادة التراكمية » للأسلحة الذرية لها معنى إذ ما فائدة قتل « الجنس البشري أكثر من مرة ؟ » علاوة على أن « القنبلة الذرية » بقوتها التدميرية الهائلة حملت عوامل ضعفها في ثنايا قوتها إذ ان النظام العالمي يجد نفسه بين خيارين : إما الفناء في حالة استخدامها ، أو الاستسلام لحالات الابتزاز المتبادل في حالة الخوف من استخدامها . وللخروج من الطريق المسدود تراضي العالم على ايجاد متنفس لصراعاته في « الحروب المحلية بالأسلحة التقليدية » التي هي كما سبق القول ـ حروب بالوكالة .

ـ والتغيير الثاني حدث في كيفية تحقيق التوازن بين الأطراف المتصارعة .

كان تغيير التوازن في الماضي يتم عن طريق التوسع والغزو مما كان يحتم اعلان الحرب أو عن طريق ما كان يسمى « دبلوماسية المكاتب » بانتقال دولة من معسكر إلى آخر . أما اليوم فيما أن تغيير التوازن يشكل دون الحاجة إلى اعلان الحرب ودون الحاجة إلى اختراق الحدود بجهود تكنولوجية تتم في « المعامل » يحققها العلماء . وأصبحت « حرب التكنولوجيا » التي يقوم بها العلماء داخل المعامل تغني عن « الحروب التكنولوجية » بين الدولتين الأعظم والتي تقوم بها الجيوش في مسارح العمليات وهذا ما يسمى باستراتيجية الردع .

ـ والتغيير الثالث والخطير في « طبيعة القوى »

فزيادة القوة النووية مع إستحالة استخدامها لم يجعلها العامل الأساسي في تقييم القوى في إدارة الصراع وأصبح من الخطأ التحدث عن ميزان واحد للقوى .

ففي المجال العسكري توجد الدولتان الأعظم ، وفي المجال السياسي توجد مراكز متعددة في أنحاء العالم ، وفي المجال الاقتصادي توجد الدولتان الأعظم وأوروبا والصين واليابان ويمكن اضافة دول الأوبك لو مارست اللعبة السياسية بذكاء .هذه الأقطاب المتعددة أصبح لها مصالحها الخاصة وعلاقاتها وتطلباتها الخاصة مما يعطي مرونة لتحرك دول العالم الثالث بل انعكس ذلك على « طبيعة الصراع » بعد أن تعددت « الأقطاب العالمية » مما سنتحدث عنه في النقطة التالية .

٢ ـ الصراع ذو الرؤوس الثلاثة ينقلب إلى صراع رباعي الرؤوس .

حتى أوائل السبعينات كان الصراع العالمي في ظل النظام القائم ثلاثي المحاور بعد انقسام الكتلة الشيوعية إلى كتلتي « موسكو » و « بكين » وبقاء المعسكر الغربي في « وحدة نسبية » تحت

زعامة « واشنطن » فأقام « نيكسون » جسوره إلى كل من موسكو وبكين حتى دخل كارتر البيت الأبيض فاعترف ببكين وتبادل معها السفراء .

ولكن كان « لا بد من أن يعود لأوروبا كلمتها المسموعة في مجال السياسة الدولية ـ على حد قول الرئيس جيسكار ديستان ، وزادت « الروح القومية والاتجاه الاستقلالي » لأوروبا نتيجة لخوفها من احتدام الصراع بين الدولتين الأعظم وخوفها من أن تصبح أراضيها مسرحاً للقتال مرة أخرى ، وشكها في حقيقة قوة الردع الأمريكية علاوة على أن « الأولاد كبروا » فدول أوروبا الآن ليست هي دول أوروبا أيام « مشروع مارشال » . وأصبحت تفهم التحالف على أنه « مشاركة » وليس مجرد « طاعة ومشاهدة » . بل أصبح لأوروبا مصالحها الخاصة .

فالدول التسع في السوق المشتركة استوردت عام ١٩٥٨ من الولايات المتحدة بما قيمته ٣,٥ بليون دولار ومن دول الشرق الأوسط في نفس العام ما قيمته ٣٤٢ مليون دولار . وفي عام ١٩٧٨ استوردت من الولايات المتحدة ما قيمته ٣٥ بليون دولار ومن دول الشرق الأوسط ٤٢ بليون دولار أغلبها « النفط » اكسير الحياة . هذا دفع أوروبا إلى محاولة اتخاذ سياسة مستقلة ازاء أزمة الشرق الأوسط كان آخر مظاهرها بيان فينيسيا في ١٣/٦/ ١٩٨٠ رغماً عن تحفظاتنا الشديدة عليه.

ثم نجد ان الميزان التجاري بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الغربية عام ١٩٧٩ هو ٧,٦ بليون دولار بينما لم يكن يتجاوز ٧٦٥ مليون دولار عام ١٩٧٠ . والميزان التجاري بين الاتحاد السوفيتي وفرنسا عام ٧٩ هو ٣,٧ بليون دولار بل نجد ان دول السوق صدرت إلى الاتحاد السوفيتي ما قيمته ١٢ بليون دولار عام ٧٩ وهو ٤ مرات حجم صادرات الولايات المتحدة إلى الاتحاد السوفيتي .

هذا دفع أوروبا إلى اتخاذ سياسة مستقلة ازاء أزمة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بخصوص ايران وأفغانستان فلم تتحمس لفرض الحظر على تصدير الحبوب أو التكنولوجيا إلى موسكو أو إلى مقاطعة الدورة الأولمبية التي عقدت في موسكو هذا الصيف .

والاتحاد السوفيتي راض عن هذا الانقسام ويغذيه باتباع سياسة « العصا والجزرة » بتشجيع زيادة علاقاته مع أوروبا وزيادة قوته الرادعة وقواته التقليدية في مواجهة الغرب .

وأخذت أوروبا تنادي بتقوية سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفيتي بل تطور الموقف لكي يصبح هناك سياستان للوفاق كل منهما له قواعده وحساباته ، الوفاق بين موسكو والولايات المتحدة والوفاق الثاني ذو طابع إقليمي . وكل له نظرته المختلفة بالنسبة للأزمات والمشاكل العالمية أو الاقليمية .

وتغير الصراع من « ثلاثي » إلى رباعي الرؤوس صمام أمن للاستقرار العالمي علاوة على انه يحقق ولا شك « مرونة » أكبر للدول النامية في ممارستها لدورها في الصراع .

٣ ـ عجز القوة وقوة العجز .

فالقوة الكاسحة لها قيودها التي تحد من حركتها فالجماعات الارهابية والحكومات الثورية مثلا يمكنها أن تعرض مصالح الدول العظمى للخطر وبنفس القدر الذي تقوم به الدول الأعظم فقد أسقط الخميني نظام الشاه واستولى الطلبة على الشارع واستباحو السفارة الأمريكية وأصبحت إيران من الجبهة المعادية ـ حتى الآن على أقل تقدير ـ بالنسبة للدولتين الأعظم . وما فعله الخميني « الأعزل » في إيران وبإيران فعلته موسكو في أفغانستان ولكن باستخدام القوة الكاسحة . ووقفت « واشنطن » عاجزة أمام الخميني .

وظهر مبدأ جديد هو عجز القوة وقوة العجز . فالجرائم ـ ان صح هذا التعبير ـ متساوية أمام هذا العجز في إستخدام القوة : هل يكون العقاب على قدر المجرم أو على حجم الجريمة ؟ هل يمكن ضرب « اللص » مثلاً وهو يول هارباً بمدفع ميدان ؟ هل يمكن تفريق مظاهرة باستخدام قاذفات القنابل ؟ فالقوة دائماً مهما عظمت تظل « محايدة » لحين استخدامها . ولكن الخوف من الصدام الأكبر هو الذي يصيب القوة الكاسحة بالعجز الأمر الذي يؤكد أن « إرادة » الدول الصغرى لها تأثيرها في مجرى الأحداث إن هي عرفت قيمة نفسها وأتقنت استخدام قواتها المتاحة في اللعبة الدولية .

٤ ـ تكاثر أعضاء النادي الذري .

منذ افتتح « النادي الذري » أبوابه بعد الحرب الثانية اقتصرت عضويته ـ ولفترة ليست بالقصيرة ـ على الدولتين الأعظم ثم انضم إليهما بريطانيا وفرنسا والصين والهند واسرائيل وبالرغم من ذلك فإن العالم عاش تحت ما يسمى « بالاستقرار النووي » .

إلا أن دولاً أخرى مثل الباكستان وجنوب افريقيا والعراق والأرجنتين والبرازيل مرشحة لدخول النادي الذري ان آجلا أو عاجلا بل لا يستبعد أن تحصل بعض الجماعات الارهابية على أجهزة ذرية صغيرة وهنا سيتعرض « الاستقرار النووي » إلى « الاهتزاز » . ومعنى ذلك ان « الاستقرار النووي » بين الدولتين الأعظم قد يتهدد نتيجة لاجراء تقوم به دولة ثالثة في حالة اليأس أو سوء الحساب وقد يساعد هذا « التكاثر النووي » على زيادة الصراعات العقائدية فقد يرى العالم قنبلة ذرية في يد الصهيونية العالمية ، وقد يرى العالم أيضاً قنبلة ذرية اسلامية أو عربية إلى جانب القوى الذرية الرأسمالية والاشتراكية .

وقد يدفع هذا التكاثر النووي الدولتين الأعظم إلى السير قدماً في الحد من الأسلحة الاستراتيجية بل قد يدفعهما إلى اتخاذ قرار (بالقيام بالردع المشترك) خوفاً من أن يحدث ما يقال في الأمثال « يفعلها الصغار ويتحمل نتيجتها الكبار » .

٥ ـ تجارة الأسلحة تميل أكثر لتكون تجارة بدلا من كونها سياسة .

أصبح الحصول على الأسلحة في النظام العالمي القائم أسهل مما كان عليه في الماضي . إذ أصبح السلاح سلعة تجارية تعالج به كثير من الدول ميزان مدفوعاتها كان هناك في الماضي اتفاقات للاعطاء بحساب تبعاً لقوانين دقيقة ولكن الأسواق أصبحت أسهل منالا طالما توفرت القدرة على الدفع وليس المال وحده هو الوسيلة لدفع الحساب بل هناك وسائل أخرى متعارف عليها .

ولمواجهة الطلبات المتزايدة تلجأ الدول إلى القيام بمشروعات مشتركة بينها حتى يمكنها تلبية الاحتياجات فمثلا تشترك فرنسا والمانيا لانتاج طائرة « الفا » وتشترك ايطاليا وبريطانيا والمانيا لانتاج « التورنادو » وتشترك فرنسا وبريطانيا لانتاج « الجاجوار » التي باعت ٥٧٥ طائرة في العام الماضي منها ما قيمته ٢,٤ بليون دولار لعمان وتزايد حجم المبيعات لدرجة ان بريطانيا تنوي تصدير ٥٠٠٠ طائرة في العشرة سنوات القادمة كما وضعت خطة لتصدير ما قيمته ١٠٠ بليون دولار من طائرات التورنادو حتى عام ٢٠٠٠ . ومعنى ذلك ان قيداً من القيود الثقيلة التي كانت تفرض على « إرادة الدول » قد خف نوعاً خاصة لمن يمتلك القدرة على الشراء .

٦ ـ زيادة الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة .

الفجوة بين الشمال والجنوب أو بين الذين يملكون والذين لا يملكون موجودة ومستمرة مما أدى إلى عقد أول اجتماع عالمي للتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ وكانت دول عدم الانحياز تتزعم الدعوة إلى ضرورة التزام الدول الصناعية المتقدمة بتقديم المساعدات والمعونات إلى الدول الفقيرة النامية وانقسم المؤتمر إلى ٣ مجموعات :

ـ مجموعة الـ ٧٧ وهي مجموعة الدول الفقيرة .

ـ مجموعة الدول الصناعية المتقدمة وتضم دول أوروبا الغربية واليابان وكندا بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ مجموعة الدول الاشتراكية .

وكالعادة تغلب الأغنياء على الفقراء واستمرت الاجتماعات والمباحثات دون جدوى طوال الفترة الماضية حتى عقد اجتماع الدورة الخاصة غير العادية للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٨٠ لتقييم الموقف . وفي هذه الفترة حدث تطوران هامان :

ـ أما التطور الأول فهو زيادة الفجوة بين الدول الفقيرة والغنية اتساعاً فزادت مديونيات الدول الفقيرة وقلت قدرتها على السداد وارتفعت الأسعار وانخفضت معدلات التنمية وزاد عدد الجياع . بينما زادت الدول الغنية ثراء وقلت نسبة الاعانة التي تقدمها وبذلك زاد النظام الاقتصادي العالمي اختلالا .

ـ أما التطور الثاني وهو الانقسام الذي حدث داخل مجموعة الـ ٧٧ إذ انقسمت إلى ثلاث

مجموعات :

- المجموعة الأولى وهي الدول الأقل نمواً والأكثر فقراً وعددها ٤٠ دولة يتراوح دخل الفرد فيها بين ٩٠ دولار سنوياً كبنجلادش، ٢٦٠ دولار سنوياً كاندونيسيا.

- المجموعة الثانية وهي الدول المتوسطة وعددها ٧٥ دولة ويتراوح الدخل السنوي للفرد بين ٣٩٠ دولار كمصر و ٣٣٠٠ كسنغافورة .

- المجموعة الثالثة وهي مجموعة الدول المصدرة للبترول التي زاد متوسط الدخل السنوي للفرد حتى بلغ ١٥٠٠٠ دولار كالكويت .

وحتى الآن لم تصل المباحثات إلى شيء ملموس بينما يزداد الموقف خطورة وتزداد الفجوة اتساعاً مما يؤثر على الاستقرار في كثير من الدول ويجعلها عرضة للتقلبات والثورات الاجتماعية .

٧ - تغييرات أخرى .

وهناك تغييرات أخرى كثيرة أهمها :

١ - انهيار أغلب المنظمات التي كانت تعبر عن تطلعات الدول النامية وتوقف جهودها .

ب - عودة السياسة العالمية إلى سياسة الاستقطاب وانشاء القواعد العسكرية .

جـ - انتقال سياسة الاتحاد السوفيتي من المواقف الحذرة إلى المواقف الأكثر ايجابية سواء بالتدخل المباشر أو غير المباشر بعكس الولايات المتحدة الأمريكية التي ما زالت تعيش تحت عقدة فيتنام .

والخلاصة

اننا أمام نظام عالمي لم يطرأ عليه أي تغيير من ناحيته الاستراتيجية فإن القواعد التي تتحكم في حالة « الاستقرار » التي فرضتها القوة النووية على الدولتين الأعظم ما زالت ثابتة : لا مواجهة ذرية أو تقليدية بينهما . . حروب محلية في المسارح الاقليمية يتم فيها المكسب والخسارة على طريقة النقط .

بل إننا نعتقد ان السبعينات اتجهت إلى توطيد هذا « الاستقرار » رغماً عن مظاهر التوتر الحالية وذلك لأن حالة الاستقطاب التي كانت تسود العالم في الخمسينات والستينات أخذت تضعف فالعالم متعدد الأقطاب أفضل من العالم ثنائي الأقطاب من ناحية تحقيق الاستقرار لأنه يحقق « التوازن » في ممارسة الصراع . وتعدد المعايير التي تقاس بها القوى العالمية أيضاً ، يحقق « الاستقرار » لأنه لا يترك للقوة العسكرية وحدها الحسم والبت .

وبالرغم من ذلك فقد حدثت تغييرات ضخمة في وسائل الصراع أغلبها في صالح الدول

الصغرى ولكنها للأسف الشديد لم تستغل ذلك كثيراً لتحقيق أهدافها بل وعجزت عن أن تخلق من نفسها عاملاً مؤثراً يساعد في اتجاه هذا الاستقرار لصالحها . والسبب في ذلك هو افتقارها لفكر واحد يضعها في الوضع الصحيح بالنسبة لما يحدث حولها وتفكك الأنظمة التي كانت تمارس من خلالها حركتها باستثناء بعض المواقف في هيئة الأمم المتحدة التي ليس لها تأثير ايجابي على مجرى الأحداث .

القسم الثانـــي :
الموقف العربي الراهن من هذه المتغيرات

والآن ننتقل للحديث عن الموقف العربي الراهن من هذه المتغيرات وهو حديث شائك . ولنبدأ بطرح الأسئلة الآتية :

هل واكب العالم العربي هذه المتغيرات ودرسها وحللها في تصور مشترك ؟

هل طوعها لصالحه واستفاد منها لتحقيق أغراضه القومية ؟

هل غير من طريقته التقليدية التي يمارس بها سياساته في المجال العربي ؟

هل هناك تصور مشترك للدول العربية لسياسة متفق عليها في خطوطها العامة على أقل تقدير تتناسب مع المتغيرات الهائلة التي حدثت على المستوى الاقليمي والعالمي ؟

ولا خلاف على ان الاجابة على كل هذه الأسئلة بالنفي وللأسف الشديد .

والسبب الرئيسي في هذا العجز الواضح هو ان العالم العربي خلال السبعينات فقد قدرته تماماً على المبادأة وأصبح غير قادر على طرح « البدائل » التي تتناسب مع المتغيرات الاقليمية التي تتفجر من داخله وعلى حدوده والتي هي بالتأكيد في مجملها في صالحه . . .

فعلى سبيل المثال . . .

ـ أصبح من الواضح مقدار اعتماد العالم على الدول العربية بصفتها أكبر مصدر لانتاج الطاقة .

ـ وأصبح من الواضح أيضاً حساسية الوضع «الجيوبولتيكي» للمنطقة العربية ليس فقط للأسباب المعروفة والمعادة ولكن لكونها تتحكم في طرق المواصلات لنقل الطاقة في مضيق هرمز وباب المندب والبحر الأحمر وقناة السويس وجبل طارق .

ـ بل وزاد دخل العالم العربي بشكل خرافي نتيجة لارتفاع أسعار الطاقة وأصبح في مقدوره

التحكم ـ لو أراد ـ في سوق المال العالمي والحصول على كل مقومات بنائه في مختلف النواحي لتقوية قدراته الذاتية .

بل وعلى سبيل المثال أيضاً . . .

ـ سقط حكم « الشاه » في طهران الذي كان يعترف باسرائيل ويمدها بالبترول وحل محله حكم « الخميني » الذي قطع علاقته مع « اسرائيل » ومنع عنها البترول فأصبح خط الأنابيب ايلات اسدود قطعة من الحديد .

ـ سقط حكم « هيلا سيلاسي » في الحبشة الذي كان يسبب ضغوطاً شديدة على الحدود الجنوبية للعالم العربي .

ـ وطدت الثورة الليبية أقدامها خلال السبعينات .

ـ عززت « الثورة الفلسطينية » من مكاسبها وحققت انتصارات أكيدة على الصعيد العالمي .

بل وعلى سبيل المثال أيضاً . . .

ـ عززت بعض الدول العربية علاقاتها مع موسكو والبعض الآخر مع واشنطن بالرغم من فشل الدول العربية في توجيه ذلك إلى الصالح القومي .

ـ تحرك أوروبا في اتجاه ايجابي نحو الأهداف القومية العربية .

ـ تحول قطاع كبير من الرأي العام العالمي إلى صالح القضية الفلسطينية .

ـ انفتاح السوق العالمي للسلاح .

بالرغم من كل هذه المتغيرات نجد ان « القدرة والارادة » العربية عاجزة عن استثمارها بل انها أصيبت بعدة نكسات حرفتها عن أغلب المبادىء التي كانت قد استقرت وأصبحت بمثابة العقائد الثابتة في أنحاء وطننا من المحيط إلى الخليج .

ومن أهم هذه الانحرافات والنكسات :

ـ لأول مرة في صراعنا مع الصهيونية العالمية تتجه البلاد العربية نحو مفاهيم جديدة فمصر مثلا عقدت معاهدة مع اسرائيل بمقتضاها اعترفت بها اعترافاً كاملا وتبادلت معها السفراء وأخذت تطبع العلاقات معها . أما البلاد العربية الأخرى فأصبحت لا تعارض في الاعتراف بالوجود الاسرائيلي لو أن اسرائيل أعادت الأراضي التي استولت عليها عام ١٩٦٧ واعترفت بالحقوق الفلسطينية أي انه اعتراف مؤجل . والوضع حتى الآن بالغ التعقيد ففي غياب العدو المشترك لا يمكن الوصول إلى خطة مشتركة لأن الخطة حينئذ ستكون ضد من ؟ أو مع من ؟ هذه هي الصعوبة

الحقيقية التي علينا أن نضعها في الاعتبار ونحن تناقش مثل هذه الموضوعات الحساسة .

ـ وبعد أن كان العالم العربي ينادي بعدم الانحياز لدرجة ان بعض الدول المنحازة كانت تنكر انحيازها وتتكر في استحياء وجود قواعد بها اتجهت بعض الدول العربية في وقتنا هذا إلى الاعلان السافر عن انحيازها بل وطلب وجود القواعد الأجنبية بها فمصر أعطت الولايات المتحدة قواعد في رأس بناس في البحر الأحمر وقواعد جوية في قنا والصحراء الغربية وسيناء وعمان والصومال بدورهما تطوعتا باعطاء قواعد أخرى تحت ستار كلمة « التسهيلات » علاوة على القواعد التي كانت موجودة من قبل في المغرب والسعودية ودول الخليج وجزر البحر الأحمر . بالاضافة إلى التواجد السوفيتي في ليبيا وعدن . وبذلك عادت البلاد العربية لتمتلأ بالقواعد العسكرية أو الوجود الأجنبي الذي طالما كافحت لازالته وفقدت آلاف الشهداء في سبيل ذلك .

ـ ثم بعد أن كانت « الثورة » هي التي تقود حركة المد العربي في الخمسينات والستينات قفزت « الثروة » لتقود المسيرة وللأسف الشديد فإنها تخبطت في مسارها وأوقعت البلدان العربية في ترديات خطيرة كانت تحاول جاهدة ملافاتها في الماضي بل لم تسلم هي نفسها من المخاطر فوجدت « الثروة » نفسها في الخط الأمامي في منطقة الخليج العربي تهب عليها رياح « الثورة » من أكثر من اتجاه بل حدثت فرقعات شديدة في الكويت والسعودية لا أظن انها كبح جماحها بعد .

ـ ثم بعد أن كانت بعض البلاد العربية تسعى جاهدة لتصحيح العلاقات الاجتماعية بداخلها سواء بالحلول الاشتراكية أو بالاجراءات الاصلاحية الأخرى تراجعت هذه البلاد وغيرها في حدة عن هذا الطريق وانصرفت عن خطط التنمية التي كانت تتنافس على تنفيذها من قبل .

ـ ثم زادت الانقسامات العربية في كل جزء من أجزائها وتفرقت الدول العربية وما عادت تتفق على رأي أو اتجاه بل نجد ان المنظمات التي كانت تمثل أبسط أنواع وحدتها قد تفرقت وتشتتت وما عادت المبادرات التي تسعى للوحدة والتي كانت تتوالى في الماضي تجد لها مكاناً وسط الضياع الذي أخذ يسيطر على كل شيء .

القسم الثالث :
الناصرية والنظام العالمي الجديد

أمام هذه الردة الرجعية والانتكاسات الثقيلة علينا أن نرجع إلى « الناصرية » لنري هل فيها دواء لما نحن فيه . وعلينا ونحن نبحث في ذلك أن نتذكر ان الناصرية عملت في مناخ اقليمي ونظام عالمي في غاية الصعوبة .

ـ فكانت الثورة الناصرية أول ثورة تحدث في المنطقة العربية في الزمن الحديث ولذلك كانت

تفتقد إلى القدوة وتجربة الغير .

ـ وكان الاستعمار أيضاً في كل مكان في الوطن العربي تعاونه رجعية رهيبة تشد على مواقعها بالنواجذ وهي تحتمي بمميزاتها الطبقية والقواعد العسكرية المنتشرة في كل بقعة على الساحة العربية .

ـ ولم تكن البلاد العربية قد عرفت طريقها إلى « الثروة » بعد . لم تكن عرفت « الانتاج الكبير » للنفط وكانت ثرواتها في يد الأجانب مثل قناة السويس وكانت بذلك عديمة الوزن في مجال السياسة العالمية .

ـ وكان العالم ثنائي الأقطاب تجري فيه سياسة الاستقطاب على قدم وساق ويتحكم في هذه السياسة « الولايات المتحدة » التي نصبت نفسها زعامة العالم رافعة شعار « من ليس معنا فهو ضدنا » وسياسة الأحلاف والقواعد كانت هي سمة العصر .

ـ واحتكار السلاح يسود العالم في قسوة رهيبة . كان السلاح يعطي للمعتدي ليباشر به عدوانه ويغتصب حقوق الغير ويحافظ على الأمر الواقع ويحرم على صاحب الحق حتى يظل داخل مناطق النفوذ .

ـ والعالم العربي مشتت يعاني من الاستعمار والقواعد والظلم الاجتماعي ما تكاد حركة تحررية تطل برأسها حتى كانت تضرب قبل أن يستفحل أمرها وكان مجرد المناداة بالاشتراكية أو بالعدالة الاجتماعية جريمة يعاقب عليها القانون في أغلب البلاد العربية .

ـ وكانت افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كلها تحت الاستعمار لا يكاد يوجد بها دولة مستقلة واحدة .

وسط كل ذلك وقفت « الناصرية » في أول عهدها « وحيدة » ـ وأخذ عبد الناصر يرمي سياسته الجديدة التي طور بها النظام العالمي الذي كان يسود في ذلك الوقت .

ـ فقاوم الاستعمار في بلده وفي ساحة الأمة العربية كلها بل وفي كل مكان وهو القائل :

● الاستعمار هو العدو الأول للشعوب يمارس عليها ضغوطه السياسية والاجتماعية والاستعمارية .

● إذا خرج الاستعمار من الباب فإنه يحاول دائماً أن يعود من الشباك .

● أمريكا تقود الثورة المضادة في العالم باعتبارها زعيمة العالم الرأسمالي .

● حينما تدخل الدول الصغرى في أحلاف مع الدول الكبرى فإنها بذلك توقع صك تبعيتها فالأحلاف سجن كبير يحيل الشعوب إلى أدوات في يد الغرب .

● غرس قواعد عسكرية في الدول الصغرى غرضه ضرب القوى التحررية في الداخل وضرب الشعوب الأخرى التي تريد أن تتحرر .

● يعمل الاستعمار على خلق كيانات دخيلة في مناطق متفرقة من العالم تكون عوناً له وصوناً لمصالحه ومدافعاً عن مشروعاته .

● الاستعمار لا يترك الأرض التي يحتلها إلا مرغماً وبقوة السلاح .

وعلى ذلك فإنه على قوى التحرر في العالم أن تتلاحم وتوحد جهودها .

وأصبحت الناصرية رمزاً لمعادة الاستعمار في كل مكان والوقوف إلى جانب الشعوب التي تريد أن تتحرر .

ـ وحدد الأمن المصري في نطاق الأمن العربي فالدفاع عن منطقة الشرق الأوسط لا يمكن أن يوكل للغير إذ يجب أن ينبثق الدفاع عن المنطقة من ذاتها وبسواعد أبنائها ومن أجل ذلك رفض نظرية « التوازن » في التسليح من أجل الحفاظ على سلام ظالم في المنطقة إذ أن السلام هنا يعني الحفاظ على بقاء النفوذ الأجنبي ولذلك فإنه ولأول مرة في العالم كسر احتكار السلاح فهو السبيل الوحيد لايجاد جيش وطني قوي يحمي الاستقلال . ولا يمكن أن يمد الغرب الدول المتحررة بالسلاح فيساعد بذلك على القضاء على قواعده في المنطقة ومن أهمها اسرائيل .

ـ ونادى بعد ذلك بعدم الانحياز رافضاً مبدأ العزلة فنحن في عالم لا يستطيع أن يعيش فيه بمفرده في عزلة عن غيره فقوى العدوان متضامنة وقوى السلام أيضاً يجب أن تتضامن حتى لا تلتهم واحدة بعد أخرى بواسطة قوى العدوان وسياستنا صداقة مع الكل وإذا وقع خلاف فهو على أساس من المبادىء وايجابية حركة عدم الانحياز هي في تحركها وشعورها بأن السلام لا يتجزأ والرخاء لا يتجزأ فالمجتمع الدولي كمجتمع الأفراد يحتاج فيه الكل إلى الواحد بقدر ما يحتاج الواحد إلى الكل . إننا لا نريد أن ينتهي العالم إلى أن يقسم إلى كتلة غربية وكتلة شرقية لتقوم تقسيمات أخرى أكبر وأخطر : كتلة الفقراء وكتلة الأغنياء كتلة الشمال وكتلة الجنوب ، كتلة البيض وكتلة الملونين . فلا يستطيع الفقر والغنى أو التقدم والتخلف أو الرخاء والحرمان أن تعيش جنباً إلى جنب .

ـ ثم ينادي بعد ذلك « بالسلام » وليس « الاستسلام » ولكنه سلام في ظل التعاون الدولي رافضاً السيطرة فسلام عهد الامبراطوريات الكبيرة قد اندثر والسلام الذي يقوم على توازن القوى قد فشل وتسبب في حربين عالميتين فالأرض ليست غنيمة يتقاسمها الأقوياء بسيوفهم وأخطار موازين الرعب النووي فادحة تنادينا بأن نتحرك لانقاذ السلام من القوة النووية الرهيبة التي يجب أن توضع في خدمة السلام البشري وتحرر الانسان وليس استعباده .

والسلام ليس الامتناع عن استخدام القوة فقط ولكنه الـذي يجيء الاستقـرار والرفـاهية والسلام لقيام علاقات ودية عادلة بين الأمم . والسلام لا يستقر إذا استند إلى تجميد الأوضـاع الظالمة واحترام الدول لالتزاماتها التعاهدية معناه احترام المعاهدات الصحيحة التي عقدت بحرية واختيار .

ـ ان السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التي تفصل بين الأمم المتقدمة والأمم التي فرض عليها التخلف فالتعاون الدولي من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد في تطور سلمي يقرب بين مستويات الأمم ويزرع المحبة بينها وهو يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع لأن احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية . كذلك فهو يشمل توجيه الـذرة من أجـل السلام وكذلك فهو يشمل الدعوة إلى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخـدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم . كذا توجيه المبالغ الطائلة التي توجه إلى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلاً من القضاء عليها .

ـ ان التعاون بين الشعوب الآسيوية والافريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولي فحسب بل هو تعاون تلك الدول التي تمثل أكبر قارتين وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم على التقدم وتحقيق معيشة أرفع . وهذا الغرض ضرورة حتمية لتحقيق السلم العالمي .

ـ ثم نادت الناصرية بـ « الوحدة العربية » بل وطبقتها في تجربة مثيرة ولم تعتبرهـا صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ولكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا إلى الهدف الأخير ، حتى بعد أن تم الانفصال عام ١٩٦١ تساءل عبد الناصر : هل أثر هذا في إيمان الجماهير العربية بالوحدة ؟ أبداً لم يؤثر ـ صحيح شعرت الجماهير العربية بالحزن ولكنها لم تيأس بل سارت في طريق الوحدة بل بعد النكسة قال « ظن أعـداء الوحـدة العربية انها تفتتت وان الأمة العربية قد انتهت وان القومية قد ضاعت وان الثورات التقدمية في طريقها إلى الزوال . ولكن شهدت الأرض العربية الثورة السودانية وحصل النضال العربي على دور ليبيا كاملا لصالح الثورة العربية ولصالح التحرير العربي بقيام الثورة فيها .

ولا أظن ان هناك خلافاً على أن ما أوجزناه عن الناصرية ـ يؤكد انها كانت كفيلة بمواجهة النظام العالمي الجديد بمتغيراته . بل كان يمكنها بقدرتها الخلاقة على المبادأة والتحرك ان تستغل هذه المتغيرات أفضل الاستغلال .

فكان يمكنها من ناحية استغلال تعـدد مراكز القـوى العـالمية ـ بالتعـاون مع « الأقطـاب المتعددة » التي أفرزتها طبيعة الصراع لأن « الناصرية لم تلعب « بالقوى » ولم تدع « القوى » تلعب بها ولكنها كانت تتمتع بالقدرة على اللعب معها لتحقيق أهدافها . .

ومن ناحية أخرى كان في امكانها أن توجد أرضية مشتركة بينها وبين « الثورات الجديدة »

التي كانت حدثت في المنطقة وعلى أطرافها بتطويق التناقضات التي ورثتها هذه الثورات والتي تتعارض وللأسف الشديد مع أمانينا القومية لأنها تناقضات أخف دون شك مما كانت عليه في الأنظمة السابقة .

ثم كان في امكانها استغلال التطور الهائل الذي حدث في الرأي العام العالمي وفي القوانين التي أصبحت تتحكم في التعامل مع سوق السلاح العالمي استغلالا كبيراً بحيث كان يمكنها أن تحقق مبدأ تنوع الأسلحة على المستوى القومي وليس بالضرورة على المستوى القطري .

وكان يمكنها أن تدفع حركة عدم الانحياز والحركات الأخرى دفعاً للأمام خاصة بعد أن زاد عدد الدول التي حصلت على استقلالها وبعد انتصار الثورة الفيتنامية في آسيا والثورات المتعددة في افريقيا وتراجع الحركات العنصرية بها وبذلك تحقق التوازن في إدارة الصراع العالمي عن طريق تعدد الارادات وليس عن طريق انحسارها .

وكان في مقدورها أن تستمر في مطاردة الاستعمار بحيث لا يهيىء له الفرصة لكي يعود بقواعد إلى المنطقة مرة أخرى وبذلك تساهم في تخفيف التوتر العالمي وتهدىء من أثاره الجامحة .

وكان في مقدورها ألا تستسلم أبداً للصهيونية العالمية وأن تستمر في « خنادقها » حتى تسود روح العدالة وحتى ترجع الحقوق المسلوبة ذلك لأنها كانت تفرق تماماً بين السلام و « الاستسلام » .

وكان في امكانها ولا شك أن تحقق الكثير في مجال « الوحدة العربية » بتلاقيها مع العديد من الأنظمة العربية التي أصبحت مهيأة لمثل هذه الخطوة القومية .

القسم الرابع :
نقاط البحث والمناقشة

هذا باختصار تصورنا للعلاقة التي كان يمكن أن تكون بين « الناصرية » وبين النظام العالمي الجديد بل بين الأهداف القومية العربية وبين المتغيرات العديدة في هذا النظام .

ولكن وبصراحة كاملة - فإن الناصرية - تواجه ومنذ سنوات تحديات خطيرة تتمثل في ازاحتها من مواقع السلطة حيث كان يتوفر لها امكانيات ووسائل تطبيق أفكارها وتجسيمها في أعمال عظيمة خلاقة فأصبحت الآن مجرد آراء وأفكار تطرح بين وقت وآخر .

بل زاد من هذه التحديات أن محاولات مكثفة بذلت وما زالت تبذل لتصوير الناصرية على انها مجرد حركة تاريخية تواجدت في فترة من فترات التاريخ وحتى ينتزع منها صفة « الاستمرارية »

أو قدرتها على التلاؤم مع التطورات والمتغيرات تركز هذه المحاولات على السلبيات فتجسمها وعلى الايجابيات فتشوهها حتى تصور في الأذهان ان « الناصرية » عاجزة عن مواجهة ما يحدث في الحاضر كما عجزت عن مواجهة ما حدث في الماضي .

وأمام هذه التحديات فلا أخال أن جهودنا يمكن أن تقتصر على مجرد ندوة تقام ثم ينصرف كل إلى حال سبيله وكأنه أدى واجبه بما يرضي النفس ويقنعها . إذ هناك أسئلة تلح على المرء أرى طرحها أمام حضراتكم :

ـ هل آن الأوان لطبع الأفكار الناصرية وتدوينها وتوزيعها ونشرها على نطاق واسع ؟

ـ هل يمكن أن نفكر في طريقة تكفل الاستمرار في دراسة المتغيرات الدولية والاقليمية وانعكاسها على « الناصرية » التي تؤمن بالتطور لأن النظرية الثورية تزداد ثراء من خلال الممارسة والاحتكاك العملي أثناء التطبيق ؟

ـ هل هناك وسيلة تعلن الناصرية من خلالها صوتها وبصفة مستمرة حتى لا تندثر تحت ضغط الأحداث ووطأتها ؟

ان المسؤولية التاريخية ـ كما كان يقول عبد الناصر ـ تفرض علينا ألا نكتفي بتحليل الأسباب وتفاصيلها وإنما هي تطرح علينا السؤال العام : ما الذي يجب علينا أن نفعله لكي نتصدى للمد الرجعي الاستعماري لتستعيد حركات التحرير السياسية والاجتماعية زمام المبادأة فلا شيء في الأهمية يسبق ضرورة العمل الايجابي ؟

هذا هو السؤال كما يقولون . . .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

تعقيب الأستاذ جاك بيرك :

لقد أخذنا بشكل خاص بالحرارة التي عرض فيها الأستاذ أمين هويدي اسهامه وباللوحة التي رسمها عن تتالي المراحل التي مرت فيها الناصرية ، والتي للأسف لم يقطف الشعب العربي ثمارها بعد ،

ونضم صوتنا إلى صوته في ضرورة تحديد الموقف الذي يطالبنا به .

رؤية عربية من منظور سياسي

الأخضر الابراهيمي

سيدي الرئيس ، سيداتي سادتي .

أود أن أضيف بدوري صوتي إلى صوت الأخوين خالد وأمين بتوجيه الشكر والتحية والتهنئة لأخواننا الشباب العرب الناصريين اللذين نظموا لنا هذه المناسبة ، لنحيي فيها ذكرى واسم عبد الناصر ، لعشر سنوات بعد وفاته . كما أود أن أقول انني أشعر بشرف كبير أن توجه لي الدعوة لأشترك بهذا الحوار وأنا لست مؤهلا لذلك . وأود أن تقبل مساهمتي كتحية أخوية من الجزائر ومن المغرب العربي لأخواننا في المشرق وفي مصر بالذات اللذين يعانون الكثير من جراء الانحرافات التي حصلت بعد وفاة عبد الناصر . ولن ترتفع كلمتي إلى مستوى البحثين القيمين اللذين استمعنا إليهما من الأخوين خالد محي الدين وأمين هويدي وإنما ستكون مجرد انطباعات وخواطر مرتجلة حول الوضع الراهن بالنظر إلى عهد عبد الناصر وعمله .

لقد كتب وقيل الكثير عن عبد الناصر وعهده في أيام زعامته وطيلة السنوات العشر التي مضت منذ وفاته ، فقد رفعه البعض إلى السماء وكاد يؤلهه ، وداس البعض الآخر اسمه تحت الأرجل وحمّله كل ما حدث لمصر وللعرب بل وللعالم من مشاكل ومصائب . وكما هو الحال بالنسبة للكثيرين من الحاضرين حظيت بالتعرف على ذلك الرجل وأعلنت باعتزاز انني كنت أكن له احتراماً عظيماً ، وإعجاباً كبيراً ومودة حقيقية ، وهذه المشاعر لم ولن تتغير . لقد أتيحت لي مناسبات عديدة ، استمعت إليه فيها يتكلم مخاطباً شعبه أو متحاوراً مع مسؤولين عرب وأجانب في مؤتمرات مفتوحة . أو في جلسات مغلقة ولقد رأيته في صحة جيدة ، ورأيته يعاني من المرض . ورأيته مشروح الصدر ، مرحاً ، منتصراً ، كله ثقة في نفسه وفي المستقبل . ورأيته على أبواب اليأس منهزماً حائراً متردداً ، ومشيت مع الملايين من أبناء شعبه وراء جنازته . ولقد اعتقد ان للشهادة لعبد الناصر أو عليه قيمة كبيرة في حد ذاتها ، خاصة في اطار لقاء مثل هذا لأن المطلوب هو ، من خلال الكلام عن عبد الناصر وعن عهده . أن نتكلم عن أنفسنا وعلى أوضاعنا الراهنة ، وعن المشاكل التي تواجهنا والحلول الناجعة التي نريدها أو نستطيع إليها سبيلاً . فمن هذا المنظور وحده يكتسب حوارنا حول عبد الناصر وعهده كل معناه وفائدته .

هنالك ملاحظات أولية . وقد تكون بديهية تطرح نفسها بادىء ذي بدء .

أولاً : لم يخرج عبد الناصر من العدم بل أنجبه شعبه وأمته وعصره ولم يكن إلا حلقة في سلسلة النضالات الطويلة التي خاضتها أجيال متتالية ، منتصرة تارة ، ومنهزمة تارة أخرى .

ثانياً : لن يقلل من أهمية عبد الناصر في شيء أن نقول . إنه لم يعمل وحده ، أو في فراغ ، فما استطاع الاستيلاء على السلطة يوم ٢٣ يوليو ٥٢ وحده . وما قام بالثورة وحده وما حقق انتصاراته وحده . وما أصيب بالنكسات والهزائم وحده . وما كان مسؤ ولا عن التقصير والتفريط والافراط وحده .

وقد تسبب المتملقون الكثيرون الذين حاولوا في عهد عبد الناصر فرض مثل هذه الأساطير الكاذبة في أضرار كثيرة لا تزال آثارها ظاهرة في ساحتنا العربية حيث ان هؤ لاء الناس . أنفسهم أو آخرون من أمثالهم يحاولون اليوم ، إعادة كتابة التاريخ مرة أخرى .

وفي نفس المعنى يجب أن نؤ كد ان عبد الناصر لم يخترع ثقل مصر المتميز ولم يصنع بمحض ارادته أو بقوة ساعديه مكانتها الكبيرة في الوطن العربي . بل فضله وعبقريته انه تعرف على تلك الحقائق والمعطيات التي هي من ثمار تاريخ شعب مصر العريق ووضع بلاده الجغرافي . ثم حاول القيام بالمسؤ وليات المترتبة عليه . فمن السخافة بمكان أن يقال اليوم ان عبد الناصر حمّل مصر أعباء لا مبرر لها . أو انه حاول مسخ الشخصية المصرية في اطار عربي مفتعل . كما انه من السخافة بمكان أن يقال ان عبد الناصر فرض مصر على الدول العربية الأخرى ، لخدمة مصالحه الشخصية أو لخدمة أهداف مصرية محضة . فالحقيقة أن مصر كانت عربية قبل عبد الناصر وبزمن طويل ، والحقيقة ان مصر لن تكون إلا عربية بعد عبد الناصر ، فلم ولن تستغني مصر عن بقية العالم العربي . كما لم ولن يستغني بقية العالم العربي عن مصر ، فما هو مفتعل حقاً . هو ذلك البحث الطائش التائه الغريب عن ذات مصطنعه في اتجاه عكسي للتاريخ كله ونكران مشحون بالأخطار للواقع المعاصر ولارادة الشعوب .

ولعلكم تتفقون معي أيها السادة ، ان مواجهة هذا الاتجاه المنحرف الخطير هو من أهم أسئلة الساعة الملحة ، التي تطرح نفسها على العرب جميعاً داخل وخارج مصر .

لقد كان للحركة التقدمية العربية ، في عهد عبد الناصر ، ما يمكن أن نسميه ، مشروع مجتمع ، متكامل ، عبّر عنه عبد الناصر بشعاره المعروف ، حرية ، اشتراكية ، وحدة . وقد نال ذلك المشروع تأييداً واسعاً لأنه جاء منسجماً مع حاجات شعوبنا ومتطلباتها في تلك الفترة التاريخية المعنية ولأن الجماهير شعرت بأن قادة تلك الحركة يؤ منون حقاً بما يقولون . وقادرون على تحقيق الأهداف المطروحة . ومع الاتفاق على الأهداف العامة ، كانت بطبيعة الحال هنالك خلافات عديدة . بين فصائل الحركة التقدمية ، حول نقاط مختلفة تتعلق بالوسائل الواجب اتباعها

والأسبقيات ، وكيفية التعامل بين الفئات الاجتماعية ، والأحزاب ، والدول . وأشهر تلك الخلافات ـ وليس بالضرورة أهمها ـ هو الخلاف حول ما يجب أن يتقدم وما يتأخر من الأهداف الثلاثة المكونة للشعار المذكور . حرية ، اشتراكية ، وحدة . أم وحدة ، حرية ، اشتراكية .

وقد حورب هذا المشروع بشدة من الخارج من قبل القوة الاستعمارية والامبريالية والصهيونية . ومن الداخل من قبل كتل وطبقات مختلفة رأت فيه تهديداً لمصالحها ولسيطرتها . وفي مثل هذا المناخ الدولي والمحلي الصعب ، تزايدت الأضرار الناتجة عن الخلافات القائمة داخل الحركة التقدمية نفسها ، ولا تزال شعوبنا تعاني حتى الآن من بعض آثار تلك الخلافات والأوضاع .

وبالاضافة إلى ذلك فلم يكن المشروع نفسه يتسم بالكمال ولم يخل من النقائض كما ان محاولات تطبيقه لم تخلو هي الأخرى من الغلطات والتقصير والسوء . ورغم هذا أو ذاك . فقد حقق جيل عبد الناصر المناضل الكثير في شتى المجالات ، وساهمت المنطقة العربية في ذلك العهد مساهمة غير قليلة في كفاح شعوب العالم الثالث كما أن العمل المشترك على الصعيد الافريقي وفي نطاق عدم الانحياز ، هيأ الظروف المواتية للتقدم الذي حققته النضالات المقبلة التي شهدتها حقبة ما بعد عبد الناصر . في السبعينات . وكان معقولاً بل ومطلوباً ، أن تتم مراجعة المشروع الناصري على ضوء المتغيرات الجديدة التي ظهرت على الصعيد العربي والدولي . وبالنظر إلى ما أبرزته الممارسات من نقص أو غلط أو تقصير .

غير أننا شاهدنا ولا نزال ، نشاهد ، اتجاهات ومحاولات ترمي إلى التخلي الكامل عن المشروع وإلى إلغاء أهم انجازات المرحلة السابقة . فأياً كان تقييم المرحلة السابقة ، لا يمكن أن ينكر أحد ان شعوبنا استعادت في عهد عبد الناصر كرامتها القومية ، وانها أبرزت شخصيتها ، وأعلنت عن رفضها للتبعية ، وعن تصميمها على تقديم مساهمتها الخاصة في معالجة القضايا الدولية وها نحن نرى الآن ربع قرن بعد خروج القوات الأجنبية وتأميم قناة السويس ، وعشرون سنة بعد سقوط حلف بغداد والشروع في بناء قاعدة اقتصادية مستقلة ، نرى كرامة الانسان العربي ، تهدر والقواعد العسكرية تعود ، والامكانيات البشرية والمادية المتوفرة في اقتصادنا تشتت .

هذه هي الأسئلة أو بعضها التي يجب على الحركة التقدمية أن تطرحها على نفسها وأن تحاول أن تجاوب عنها اليوم بعد نهاية حقبة البترول ، وبعد عشر سنوات على وفاة عبد الناصر . وشكراً .

تعقيب الأستاذ جاك بيرك :

لقد عرف السيد الأخضر الابراهيمي أن يجمع في كلمته وبلهجة رصينة بين التحليل النقدي والعاطفة ، وإنه لموقف مسؤول أظن أننا نقاسمه إياه جميعنا .

المناقشات

محمد أمين عيساوي :

الذي ألاحظه على التقارير الثلاثة ان التقرير الأول مثلا (خالد محي الدين) حوى حديثاً بليغاً عن مرحلة ما قبل الثورة ومرحلة الثورة لكنه لم يتنه إلى اقامة مقارنة بين المرحلتين ، كيف كان الوطن العربي ، ومصر بالذات ، وكيف كان العالم أجمع ؟ . ما الذي وصل إليه الوطن العربي ، ومصر بالذات ، والعالم . العودة إلى سياسة المحاور تجتاح العالم بأسره ، حيث لم يعد هناك عدم انحياز ، بل أصبح هذا المبدأ السامي عرضة لسياسة المحاور . ـ هذه هي ملاحظتي ـ شكراً .

خالد محي الدين :

موضوع المقارنة من الموضوعات التي طلب إلينا تجنبها عند البحث ، كان الهدف من كتابة هذا الموضوع بخلاف المقدمة عن فكر عبد الناصر ، وتكوينه الفكري والسياسي أن أبين الدور الذي لعبه جمال عبد الناصر في دفع موقف العالم الثالث بإيجابية أكثر في العلاقات الدولية وخلق المناخ الذي مكن شعوب العالم الثالث من أن تحقق حريتها السياسية ثم تقدمها الاجتماعي ، او ما يسمى بثورتها الاجتماعية . وكان عبد الناصر يرى ان تحقيق هذا المناخ يحتاج إلى جو دولي مغاير للصورة التي بدأ بها الحكم في مصر فكان يريد بجانب معرفته لقوانين العالم الراهنة أن يجعل من حركة عدم الانحياز قوة مؤثرة في القرارات الدولية . وبالتبعية أردت أن أبينّ أن عالم اليوم الذي يقال انه عالم الانفراج قد ساهم عبد الناصر فيه بجهد كبير ليس بمجرد مؤتمرات عدم الانحياز ولكن بقضيتين أساسيتين ، الأولى : نضاله هو في مصر وفي العالم العربي ، لانهاء ما يسمى سياسة الكتل والأحلاف والقواعد العسكرية .

ناضل عبد الناصر ، وصفى العالم العربي من القواعد الأجنبية والأحلاف وأخذ العالم العربي صورة الاستقلال واستقلال الإرادة .

القضية الثانية : هي قضية العمل الايجابي لتحرير العالم الثالث . وأعطيت صورة مبرزة لذلك ، افريقيا . في افريقيا في منظمة الوحدة الافريقية ، لأول مرة ، دول مستقلة مسؤولة تنشىء لجنة لمساندة حركات التحرير بالسلاح والتدريب . وهذا شيء جديد في العلاقات الدولية . التي أدت فيا بعد لخلق لجنة المستعمرات في الأمم المتحدة .

من هنا ، كانت مساهمة عبد الناصر ايجابياً ليس بتزعمه لتيار عالمي ولكن بالعمل الحقيقي ، بمساندته للقوى المتحررة .

هل مطلوب أن نقارن إذاً ؟ هذا متروك لحضراتكم .

قباري عبدالله :

استمعت بإهتمام شديد جداً لكل التقارير التي سمعناها جميعاً ، ولكن هناك جانباً مهماً جداً كانت كل القوى المعادية للتقدم ومعادية لفكر عبد النصر ، كانت دائماً تتهمه به ، وهو ، انه كان ديكتاتوراً وانه ضد الديمقراطية والحرية . هذا كلام غير صحيح ، أرجو أن نسأل لماذا لم يتضمن بعض التقارير التي قدمت موضوع الحرية الحقيقية التي أعطاها جمال عبد الناصر لجزء كبير جداً من شعبنا ، ومن ذلك تقرير بنسبة ٥٠٪ على الأقل من مقاعد كل المجالس النيابية للعمال والفلاحين ، وغير النيابية للعمال والفلاحين ، وكان لا يمكن عن الطريق الليبرالي المعروف ، انهم يتقدموا ويدخلوا المجالس النيابية ، في القطر المصري .

ولكن هناك أشياء كثيرة يجب أن نقولها الآن . عبد الناصر تقدم في أول عمله ، كان دائماً مؤمناً بأن الشعب يجب أن يشارك معه في الحكم فقام بتكوين هيئة التحرير لأنه كان مقتنعاً انه أولا وأخيراً ، يجب أن تحرر مصر من كل شيء .

ثم حينما أدت هيئة التحرير دورها ، انشأ الاتحاد القومي الذي ضم كل جماهير الشعب في مرحلة البناء . يود أن يضم الشعب كله ليحررها ويكمل الباقي . ثم حين وصل تطور الثورة إلى مرحلة التغيير الاجتماعي الجذري ، أنشأ تنظيماً أفضل وهو الاتحاد الاشتراكي العربي ، وهو تحالف قوى الشعب العاملة حتى يجنب مصر الصراعات وكانت كل القوى السياسية المختلفة مشتركة في هذا التنظيم السياسي العظيم . هدف جمال عبد الناصر بهذا هو مشاركة كل الشعب وكل الفئات من أجل تقدم مصر والأمة العربية ثم أيضاً رغم هذا لم يسلم جمال عبد الناصر من القوى الرجعية والاستعمار العالمي ، باتهامه ان هذا حزب واحد وان هذه ديكتاتورية فأراد أن يتجنب هذا أيضاً ، فبدأ يبحث عن كل المفكرين المصريين وكل الذين يريدون أن يعطوا جهداً لمصر ولأمتهم ، فقام بتكوين الجهاز الطليعي الذي يأتي به كل المثقفين المصريين حتى ينقلوا مصر نقلة قوية . وكلمة سري هنا أو الجهاز الطليعي ، معناها انه يأتي بالكوادر النظيفة وتكون سرية حتى لا تتعرض للقيل والقال من بعض القوى المعادية للأمة العربية ولشعبنا في مصر . ومع هذا أيضاً تطور هذا الفكر الديمقراطي وبدأ يؤسس منظمة الشباب الاشتراكي وفتح لها المعاهد في كل مكان بتقدم عظيم جداً وبهذا أنا أستطيع أن أقول لك ، أنه لولا وجود هذه الحرية ، كان لا يمكن لمثلي أن يدخل مجلس الشعب ويناضل في صفوف شعبنا العظيم وشكراً .

الأخضر الابراهيمي :

- يبدو لي أن تلك الكلمة ليست سؤالا أو انتقاداً إنما هي في الحقيقة إضافة لما قيل صباحاً ، ونحن مقتنعون به كلنا .

أحمد الجمال :

ـ فيما يتعلق بكلمة الأستاذ الأخضر الابراهيمي ، نحن معه في كل ما قال ، حول ان عبد الناصر لم ينجز ما أنجزه وحده ، وان عبد الناصر كان حلقة في التاريخ النضالي ، لأمتنا العربية . وانه قد عمل ، من خلال الحركة التقدمية العربية ، في مختلف أقطار الأمة العربية . ولكن الذي أبغي التوقف عنده ، وأرجو توضيحه ، هو قضية دور الفرد في التاريخ ، وبدا من خلال السيد المناضل الكبير ، الأستاذ خالد محي الدين تركيز على شخصية عبد الناصر سواء في تكوين تنظيم الضباط الأحرار ، أو في كل المعارك التي خاضها . هنا يبرز دور الفرد في التاريخ ، أو دور الفرد التاريخي . الذي يفهم معطيات التاريخ ، والنقلات التي حدثت ويوظفها لصالح التقدم .

في اطار النظام العالمي الجديد شاهدنا أيضاً أفراداً تاريخيين . هناك في القوتين الأعظم ، وهناك رؤساء بلغوا إلى مستوى الأفراد التاريخيين اللذين استطاعوا أن يلعبوا دوراً خطيراً في النظام الدولي الجديد .

هناك في فرنسا شارل ديغول ، ودوره الكبير في فرنسا .

سؤالي للأستاذ الأخضر الابراهيمي حول تقييمه لدور الفرد في التاريخ منعكساً على جمال عبد الناصر ، وأيضاً ، ما تفسير إضمحلال الدور العربي في إطار النظام الدولي بعد غياب شخص جمال عبد الناصر على وجه التحديد . مات جمال عبد الناصر فتحللت كل الأمور . وما زالت الحركة التقدمية موجودة وما زالت تناضل منذ عشر سنوات ، ولكنها رغم ما أحرزته من انتصارات كثيرة ، إلا انه ، يبقى وجود قيادة تاريخية ، تلعب دورها ، هل هناك دور للفرد في التاريخ في المفهوم الذي لعبه جمال عبد الناصر ؟ .

الأخضر الابراهيمي :

ـ سيدي الرئيس ، أنا لا أعتقد انني مؤهل للاجابة على الجانب النظري من السؤال ، ما هي الأهمية النسبية لدور الفرد ، في العمل السياسي بالنسبة لعمل الجماعة أو العمل الشعبي وغير ذلك . لا أعتقد انني مؤهل للاجابة على هذا السؤال ، وهو سؤال معروف في العلم السياسي . لكن ، الشيء الذي قصدته بالتركيز على أن عبد الناصر لم ينشأ من العدم وانه لم يكن نبياً ، ولا ظاهرة عجيبة ، وطارئة في نضال الأمة العربية ، هو ما يقال عن أن النضال ، انتهى مع وفاة عبد الناصر ، وان مصر والشعوب العربية عاجزة على مواصلة العمل الذي قامت به في أيام عبد الناصر لأن دور ذلك الشخص لم يبقى أحد يقوم به . أنا أقول ان هذا غير صحيح ، نحن نستطيع بعد موت عبد الناصر ، أن نواصل الكفاح والعمل والنضال وتحقيق الانجازات بنفس المقدار الذي استطعنا أن نتقدم فيه في المرحلة السابقة . والشيء الآخر الذي قصدته هو أن عبد الناصر لم يعمل

وحده . لم يكافح الاستعمار وحده لم ينجز ما أنجزه داخل مصر وحده . وهو الذي كان يتكلم باستمرار عن الشعب ، وأظن ان العبارة التي كان يستعملها ، « المعلم الكبير » .

كلامي كان رداً على القول بأن الرجل أو القائد البطل الملهم إذا غاب انتهت امكانيات العمل ، والقول أيضاً من الناحية الأخرى الذي يعطي كل الفضل لشخص واحد أو يحمل شخصاً واحداً كل المسؤولية .

هذا هو ما قصدته .

السيد بصيري :

ـ الحقيقة لدي سؤ الان ، أو تساؤ لان الأول موجه للأستاذ أمين هويدي والآخر موجه للأستاذ الأخضر الابراهيمي .

بالنسبة للأستاذ هويدي فقد طرح جملة من التساؤ لات في القسم الرابع والأخير من بحثه وهي في رأيي تساؤ لات مطروحة وملحة بالفعل .

وكنت أود ولربما كان يود غيري أيضاً ، لو أن الأستاذ هويدي قد حاول الاجابة على بعض هذه الأسئلة والتساؤ لات ولو من وجهة نظره . وخاصة ذلك السؤ ال الكبير ، الذي ختم به بحثه ، وهو ما الذي يجب أن نفعله ، في مواجهة المد الرجعي والاستعماري الجديد في الظروف الراهنة من الصراع الدولي وخاصة في الظروف التي تمر بها الأمة العربية . هذا بالنسبة للأستاذ هويدي .

بالنسبة للأستاذ الأخضر الابراهيمي ، أعتقد أن طرحه لمسألة البرنامج الناصري المتمثل بالنضال من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة هو طرح صحيح وطرح واقعي وقد أصاب فيه الحقيقة تماماً في رأيي لا يزال هذا المشروع بالفعل بل انه يزداد كل يوم إلحاحاً مما يحتم على كل المناضلين العرب وعلى كل الأحرار في العالم ، أن يقوموا بجهد كبير ونضال مرير ومنظم في سبيل تحقيق هذه الأهداف ، فما هي في رأي الأخ الابراهيمي أجدى الوسائل والأساليب والمناهج التي يمكن أن نتوخاها لانجاز مثل هذه المهام القومية والإنسانية .

أمين هويدي :

ـ عندما طرحت هذا السؤ ال ، أنا أنطلق من شعور عميق بأن للحركات العربية والاتجاهات القومية ، دائماً مجهودات كبيرة جداً ولكن محصلة هذا ليست إطلاقاً بقدر ما أعطي لها من جهد . لماذا ؟ لأنها دائماً ينقصها برنامج العمل فلو رجعنا إلى التاريخ مثلاً . في دور هرتزل ، عندما كتب كتابه عن الدولة اليهودية . لم يكن كتاب تيودر هرتزل أحسن ما كتب في هذا الموضوع

بالنسبة للصهاينة ، سبقه الكثيرون ، وبعده أيضاً كثيرون ولكن لماذا كتابه اتخذ (كمنهج) لأنه تكوّن وكان من ضمنه برنامج عمل . قال ان هناك شركة وان هناك تمويل وقال ان هناك هجرة وغيره . وتمسك بهذه الخطة رغم الصعوبات التي واجهته .

مجرد طرحي للسؤال يعني أن الانسان بطبعه متأثر بضرورة أن يكون له برنامج . أما الجواب على السؤال فليس مناسباً هنا لأن موضوع الندوة لم يكن يسمح بهذا أبداً ، لأنها تتكلم عن النظام العالمي ، وأنا فهمته على أساس هل الناصرية تتمشى مع التطورات والمتغيرات الجديدة ، أو انها حركة تاريخية جاءت ومضت وانتهى الأمر . ولكن يمكن أن يكون السؤال هذا ، وهو كبير جداً ومتعدد الجوانب والأطراف ، أن يكون موضوع ، ندوة أخرى ، أو موضوع أوراق عديدة أو موضوع لجان دراسية كبيرة ، تقوم به .

الأخضر الابراهيمي :

ـ أنا محرج مرّة أخرى أن أقول أني غير قادر على الرد على السؤال الذي هو موجه لي . والحقيقة أن السؤال كبير جداً .

الكلام الذي قلناه انه كان هنالك مشروع مجتمع (un projet de Société) برز ، وأخذ شكلاً متكاملاً أو على الأقل مقنعاً لأنه كان متجاوباً تجاوباً كبيراً مع إحساس الناس عندنا ، وطموحاتها . وبالاضافة إلى ذلك كان هناك رأي وأيضاً شعور عند الناس أن هؤلاء الذين طرحوا هذه المشاريع يؤمنون بها وقادرون على تحقيقها . أعطيك مثلاً ، أحد الأخوة المصريين ، قال لي قبل سنوات انه في الحقيقة ليس هناك فرق كبير مادياً بين ما كان قائماً في عهد عبد الناصر وما هو قائم الآن بعد وفاة عبد الناصر . الشعب المصري فقير ، كان فقيراً ولم يزل فقيراً . حاجات الشعب المصري لم يلبيها عبد الناصر وهي غير محققة الآن . لكن هناك ، فرقين أساسيين ، عبد الناصر حقق للمواطن المصري كرامته ، كان المواطن المصري يشعر بالكرامة . الشيء الثاني الذي حققه عبد الناصر ان معظم المصريين كانوا يشعرون بأمل في أن مستقبلهم مقبل على التحسن . في أن أوضاع أبنائهم قطعاً ستكون أفضل من أوضاعهم الحالية . هذا ليس قليلاً . وهذان الشيئان ضاعا في الفترة الحالية .

المطلوب من القيادة السياسية أن تزرع هذا الأمل عند الناس . وأن تجند الناس للسير في الاتجاه الصحيح ، لأن المشاكل لا يمكن أن تحل بين يوم وليلة بل في عقد أو عقدين أو ثلاثة .

فالمطلوب الآن ، أن نتجنب شيئين ، التشاؤم الذي يقول أن عبد الناصر ، مات وانتهى كل شيء . ولا نستطيع أن نعمل شيئاً . وأن نجد في البترول مثلاً بديلاً للتفكير والعمل والنضال والبناء ، كيف يتم ذلك ؟ هذه هي القضية التي يجب أن تشغل الجميع على جميع المستويات ،

وكيف نتعلم من التجربة التي عشناها في ما نستطيع أن نسميه عامة عهد عبد الناصر . الأخطاء التي ارتكبناها ، التقصير الذي صدر عنا من عبد الناصر ومن غير عبد الناصر . في تلك الفترة ، لعمل يكون في مستوى أعلى ، في المرحلة الحالية والمقبلة . لكن كيف بالتفصيل ، طبعاً هذا السؤال الرئيسي والأساسي الذي يواجهنا ولا يزال يواجهنا .

طاهر عبد الحكيم :

ـ السؤال موجه إلى كل من الأستاذ خالد محي الدين والأستاذ أمين هويدي ، باعتبارهما كانا يتوليان مناصب أو مواقع قيادية هامة في التنظيمات السياسية التي سادت في خلال عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . والسؤال هو حول مقارنة ، تنظيم الضباط الأحرار رغم انه كان تنظيماً عسكرياً محدود الحجم وكانت آفاقه الفكرية متواضعة لخصت في برنامج النقاط الست ، استطاع أن يصنع الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واستطاع أن يحافظ على الثورة فترة طويلة ويحسم أزمات لصالح الثورة في السنوات الأولى لها . في المقابل قام تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي ، على أرضية من الانجازات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهامة ، وكان تنظيماً شعبياً واسعاً وتوفرت له آفاق فكرية واسعة ، متمثلة في ميثاق العمل الوطني ومتمثلة في تطوير ميثاق العمل الوطني في شكل بيان ٣٠ مارس وتوفرت له خبرات طويلة ، وتوفر له أيضاً ما تحدث عنه الأستاذ قباري عبدالله ، التنظيم الطليعي الذي كان يضم خيرة كوادر الاتحاد الاشتراكي العربي ، ونعلم أيضاً أن هذا التنظيم الطليعي ، كان له امتداد في القوات المسلحة ، الاتحاد الاشتراكي العربي لم يكن مجرد تنظيم مدني وحسب بل كان له امتداد في القوات المسلحة ومع ذلك لم يستطع أن يحافظ على الثورة ، فهل كان انتصار تنظيم الضباط الأحرار رغم محدوديته رهناً بوجود جمال عبد الناصر ، وهل كان فشل الاتحاد الاشتراكي العربي في المحافظة على الثورة ، سببه غياب جمال عبد الناصر ، بمعنى أصح هل يمكن أن يكون انتصار الثورة وانحسار الثورة مرهوناً بفرد ؟ .

خالد محي الدين :

ـ طبعاً المقارنة بين التنظيمين مقارنة صعبة ، لأن تنظيم الضباط الأحرار هو تنظيم في مركز القوة الموجودة في البلد ، أي القوات المسلحة ، والتنظيم وإن كان سرياً ، لكن مجرد تواجد نواة ثورية في القوات المسلحة يمكنها من أن تستولي على السلطة بسهولة . ولذلك كانت خطة الضباط الأحرار يوم ٢٣ يوليو ، الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة ، هذه الخطة الأولى . إذ بمجرد الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة . تصبح قوة الدولة المصرية أمامها شيئاً بسيطاً ، لأنها هي الحماية الحقيقية للدولة المصرية . طبعاً سر النجاح السياسي الرئيسي لتنظيم الضباط الأحرار ، انه لم يكن فقط تنظيماً في الجيش ، بل انه تنظيم يمثل الوحدة الوطنية المصرية ، وهذه قضية حرص

جمال عبد الناصر ، طول تاريخه على الحفاظ عليها . كان يعطي كل أعماله مفهوماً واسعاً للوحدة الوطنية ، وفي موضوع الاشتراكية سنجد انه أعطاه هذا المفهوم . استطاع في تنظيم الضباط الأحرار أن يجمع كل التيارات السياسية على برنامج موحد ، وعلى هذا البرنامج الموحد كل القوى السياسية استطاعت أن تتفاعل وأن تتماسك ، حتى مع الخلافات وحتى مع ترك بعضهم لمراكز السلطة ، إنما الخط العام لم يكن هناك من يستطيع معارضته ، في مقاومة الاستعمار في إنهاء الاحتلال في القضاء على الاقطاع في منع سيطرة رأس المال على الحكم ، الأهداف المتواضعة التي ذكرها الأخ طاهر كانت تلم شمل الوحدة .

الاتحاد الاشتراكي ، كان قضيةمختلفة ، الاتحاد الاشتراكي ، كانت قضية مربوطة بقضية اجتماعية وبرز منذ اجراءات يوليو الصراع الطبقي في مصر بشكل شديد الحدة . قوي جداً . وفي هذا الصراع الطبقي ، من الأخطاء الكبيرة ان القوى التي كان من المفروض أن تمسك وتتولى ، قيادات الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت والتي هي صاحبة المصلحة ، لم يكن لها هذا الدور .

كان وجود عبد الناصر ، عامل التوازن فعلا ، لكن القوى الحقيقية صاحبة المصلحة ، مثل الأخ قباري وقوى كثيرة ، كانت موجودة ولكن القوة الأساسية التي استمرت مع التغيير وسارت مع التغيير بقيت في مواقع هامة من السلطة ومنها أيضاً مجلس قيادة الثورة الذي كنا فيه .

الاتحاد الاشتراكي العربي كان تنظيماً لكل القوى ، ولكن الخطأ الرئيسي فيه انه كانت هناك قوى تتمركز في مراكز القيادة وتحرم التيارات الواسعة من أن يكون لها قوة التعبير . وفي اللحظة التي استطاع بها أنور السادات ، بعد وفاة عبد الناصر ، بأن يكون في مركز القيادة ، في الحقيقة ان الاجراء الرئيسي الذي قام به هو تصفية الاتحاد الاشتراكي ، وتصفية الجهاز الطليعي ، صفى الاتحاد الاشتراكي ، وأبقاه شكلياً . إنما واقعياً ، فقد بدأ في العملية هذه منذ عشر سنين حتى يصل إلى هذا الغرض وهذا يبين ان الانجازات كانت ضخمة ، وان المقاومة كانت موجودة في العشر سنوات . لكن لا يمكن تحميل الاتحاد الاشتراكي وحده المسؤولية . المسؤولية تحملها كل الحركة الوطنية في مصر ، لأن هذا التراجع تم تدريجياً ولم تتنبه إلى مقاومته كما يجب .

عبد السلام مبارك : (يناقش الأستاذ أمين هويدي) .

ـ أنا لا أرى ان هذه الكتلة انقسمت إلى كتلتي موسكو وبكين .

ملاحظة أيضاً طالما تكلمنا عن موسكو ، هناك في صفحة ٦ عن وجود أوروبا شبه مستقلة ، ففيه عبارة تقول ان الاتحاد السوفياتي راض عن هذا الانقسام أي الانقسام في المعسكر الاستعماري . وانه يستخدم سياسة العصا والجزرة . أنا أود أن أسترشد منه كيف أن الاتحاد السوفياتي يستعمل مع أوروبا سياسة العصا والجزرة .

وملاحظة أخيرة أرجو أن لا تزعج أحداً من الذين نظموا هذه الندوة وخاصة جمعية الصداقة العربية ـ الفرنسية .

نحن قلنا اننا لا نعمل دعاية لأنظمة ولا هجوماً ، ولكنني أرى دعاية للرئيس جيسكار ديستان . أنا أرى أن الأستاذ هويدي عندما تكلم عن أن أوروبا بدأت تأخذ سياسة مستقلة إنما يسترشد بفاليري جيسكار ديستان ، وقبل ذلك تفضل مندوب جمعية الصداقة العربية ـ الفرنسية وتكلم عن ناصرية ديغول وديغولية ناصر ، ضمن هذه الحدود .

أمين هويدي :

ـ أبدأ في الكلمة الأخيرة ، لأقول ان هذا الكلام ليس فيه وجهة نظر لمعسكر دون الآخر . وأجد اننا في تفهمنا للنظام العالمي لا نفكر فعواطفنا ، إنما بعقلنا فقط ، نجمد كل المشاعر ونبتدىء التكلم بلغة العقل لأننا سنجد العملية مختلفة كلية . هذا صراع دولي ، أوروبا فعلاً تحاول ، كما عبرت بالقول (الأولاد الصغار كبروا) ، أوروبا ليست أوروبا مشروع مارشال ، أوروبا أصبح لها مصالحها الخاصة ، وأكبر مثل على هذا ، عندما جاء الرئيس جيمي كارتر قام بخطواته ضد موسكو أيام أزمة أفغانستان ونادى بعدة اجراءات ضد موسكو ، نظر حوله فوجد نفسه وحيداً تقريباً . لماذا ؟ لاعتبارات كثيرة جداً . أهمها ، انه ليس بالضرورة أبداً ، أن ما تأخذه واشنطن توافق عليه أوروبا . وهذا الاتجاه ليس من أيام جيسكار ديستان ، وليس قاصراً على فرنسا . ويلي برانت ، كان متجهاً بسياسته نحو الشرق . ديغول ، هو أيضاً أول من نادى بهذه السياسة الاستقلالية وأخرج فرنسا من القوة الذرية الأطلسية . وبدأ يعمل على هذا الأساس وقال كلمته الشهيرة ، يجب أن تكون لدي قنبلتي الذرية إذ ما الذي سيحصل لفرنسا لو اتفقت الدولتان الكبيرتان ؟ ودار النقاش بعد ذلك هل تكون القوة الذرية لأوروبا أم فقط لفرنسا . موضوع كبير جداً .

تفسيري لموضوع العصا والجزرة ، قطعاً ان أي انقسام في المعسكر الغربي يجب أن يقابل من جانب موسكو بكثير من الترحاب . وأي انقسام في المعسكر الاشتراكي قطعاً يقابل من المعسكر الغربي بشيء كبير من الارتياح .

ما هي سياسة العصا وما هي سياسة الجزرة ؟

سياسة الجزرة ، انه يقوّي علاقاته الاقتصادية دائماً مع أوروبا ، وأنا كتبت إحصائيات ، عن تطور التبادل التجاري بين أوروبا وبين موسكو من السبعينات وفي الثمانينات . ووجدنا مدى ارتفاع حجم التبادل التجاري بينهم ، فعندما تأتي الولايات المتحدة ، اليوم وتقول لا نصدر قمحاً ولا نصدر تكنولوجيا ، لن يتم ذلك . فهنالك اعتبارات وحسابات مصالح من ناحية العصا ، هناك سباق للتسلح في أوروبا سواء في الأسلحة التقليدية أو قوة الردع ، ودائماً نقصد بقوة الردع

القوة النووية . القوة النووية ، تشهد في الاتحاد السوفياتي زيادة بالصواريخ متوسطة المدى ، لدرجة انه يضع قاعدة كل خمسة أيام . كل المحطات النووية ومحطات الاطلاق الموجودة في فرنسا وانكلترا ، لا بد أن تكون تحت سيطرته . أيضاً يزيد عدد قواته التقليدية في أوروبا بشكل خطير للغاية . من هذا الكلام ، نعرف أن أوروبا غير مستعدة بتاتاً لكي تكون ثانية مسرح للقتال بهذه السهولة أبداً . والاتحاد السوفياتي يعمل دائماً على تغذية هذه المشاعر على الأقل حتى يمنع اتمام التجمع ، الذي لو تم لأصبح هناك خوف من اعلان الحرب مباشرة حيث يختل التوازن ويصبح الثقل بجانب دون آخر ، هنا يتهدد السلام العالمي .

أنا لم أقسم العالم . الطبيعة قسمته . مثلما قلت ، ان هناك دولتين كبيرتين من الناحية الاستراتيجية . أميركا والاتحاد السوفياتي ، اللذين أصبح لديهما من المخزون النووي ما يعطيهم هذا الكلام . لدرجة أنهما قد وصلتا إلى حالة الكفاية بل إلى حالة التشبع ، كل دولة عندها ما يكفيها لافناء العالم . ولذلك كثير من الناس العلماء في العالم يقول ما فائدة قتل العالم مرتين ؟ إذاً لا منافس لهما في هذا الاتجاه . ولكن القوة النووية ، هذه القوة الهائلة ، تحمل ثنايا ضعفها في قوتها . طالما هي ليست قابلة للاستخدام وهي فقط سلاح من أسلحة الردع الذي له نظرياته وله مبادئه وله قواعده وله كل شيء . علم كبير جداً تدور عليه كل عملية الصراع الدولي . إذن طالما هذا السلاح النووي لا يستخدم ، فمعايير مقياس القوة العالمية تختلف . ظهرت المانيا كقوة اقتصادية كبيرة . واليابان ، وأوروبا . فليس بالضرورة ان الكلمة الآن أصبحت للدولة التي تملك فقط قوة نووية كبيرة ، بل أصبح هناك كلمة للقوة الاقتصادية لا شك في هذا . طالما حيدنا السلاح النووي ، هذا ما أقصده بالتقسيم . قد تستطيع أن تقسمه تقسيماً آخر . لكن الواضح مثلما قلت ، الأوبك ، هي قوة اقتصادية ، ولكن هل في الطبيعة هي هكذا ؟ .

انقساماتها الحالية ، عدم ادراكها لقوتها الحقيقية واستخدامها السلاح الهائل الذي في يدها لصالح الأماني القومية ، ليس كوسيلة ضغط أبداً ، نحن نطالب بالعدالة فقط بعدالة المبدأ . ان ما أقصده هو أن هناك معايير مختلفة للتقسيم . لأن تطورات هائلة قد جرت . مثلاً الميزان الدولي اليوم يختلف تماماً عما كان سابقاً . قديماً كانت الموازين تختلف بإضافة أو نقص أرض . جيش يغزو ، ويكسب ويكون لصالحه التوازن . أو دولة انتقلت من معسكر إلى معسكر ، اليوم لم يعد ذلك . في الوقت الذي تكون في معملك يتم اختلال التوازن إلى الأعلى أو إلى الأسفل إذا أضيف سلاح جديد . العالم اليوم في معمله هو الذي يمكنه أن يضيف أو يخفف من عملية التوازن . ولذلك لديك تعبيران مهمان جداً . وهما الحرب التكنولوجية وحرب التكنولوجيا .

محمد الاقصاصي :

ـ بودي أولا باسمي الشخصي وباسم رفاقي في الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية المغربي

أن أحيي منظمي هذه التظاهرة المهمة لأنها جاءت في وقتها . وأقتصر على ابداء ملاحظتين اثنتين . على العروض التي قدمت . الملاحظة الأولى في اعتقادي تتعلق ، بالمسعى المنهجي الذي اعتمد في العروض . عندي انطباع وكأن الرفاق اللذين كرسوا وقتهم وجهدهم لدراسة التجربة الناصرية أنهم درسوها من زاوية الماضي وكأنها تراث مضى ، يجب تأمله وتعمقه . في إعتقادي الشخصي أن دراسة التجربة الناصرية كمشروع تحرري ، أصبحت ملحة . وتستمد قوتها من آنيتها الراهنة وأعتقد أن أهمية المشروع الناصري آتية من أوجه ثلاث : الوجه الأول هو وجه الأزمة التي يعيشها العالم الثالث ، وبصفة خاصة تعثر حركة عدم الانحياز التي كان المرحوم عبد الناصر أحد مؤسسيها . إننا نلاحظ في الوقت الراهن انتعاش سياسة الاستقطاب والتنافس لاستدراج عدد من أقطار العالم الثالث . وآية ذلك ان المؤتمر الأخير لدول عدم الانحياز كان مؤتمر أزمة ولم يكن مؤتمر نمو وازدهار هذا الوجه الأول الذي يفسر أهمية التجربة الناصرية . الوجه الثاني وهو وجه التردي والتمزق الذي تعيشه الأقطار العربية ويعيشه الوطن العربي وعبد الناصر كان أحد دعاة الوحدة العربية فيا نراه واقعاً الآن في المشرق العربي وفي المغرب العربي من تناحر الأقطار العربية ومن تناقضاتها وبالتالي من سقوطها في سياسة الاستقطاب هذا يفسر أيضاً أهمية التجربة الناصرية .

الوجه الثالث الذي يمثل أهمية هذه التجربة ، هو وجه التشويه وأحياناً المسخ الذي أخذت التجربة الناصرية تتعرض له من قبل عدد من القوى السياسية وعدد من الأنظمة العربية ، التي أخذت تختزل الناصرية كمشروع تحرري واشتراكي إلى مجرد شعارات فارغة لتغطي أحياناً ، نزوعات سلطوية . هذه الأوجه الثلاث في اعتقادي تجعل من التجربة الناصرية تجربة مهمة وملحة .

الملاحظة التالية ، وتتعلق بالمضمون . اعتقادي ان التجربة الناصرية كمشروع تحرري فيها ثوابت وفيها متغيرات . فالظرف التاريخي الذي وقعت فيه التجربة الناصرية ليس هو الظرف الحالي . لكن مع ذلك فيها ثوابت ما تزال قائمة وأعتقد انه في مقدمة هذه الثوابت حتى أختصر احتراماً للوقت ، ان عبد الناصر ورفاق عبد الناصر والحركة التي قادها عبد الناصر كانت تدرك باستمرار التفاعل الجدلي القائم بين اشكالية التحرير في القطر المصري وفي الوطن العربي وفي العالم الثالث ، وكانت تربط باستمرار بين اشكالية التحرير على هذه المستويات الثلاث . ولم تميز فيا بينها في أي وقت من الأوقات وأعتقد ان هذا ثابت من الثوابت الأساسية في التجربة الناصرية . الثابت الثاني ، العنصر الثاني في هذه التجربة هو عضوية الترابط بين التحرير السياسي والاجتماعي ، واستمرار هذا الترابط باستمرار في نضال عبد الناصر ، ونضال رفاقه يشكل عنصراً ثانياً في مضمون هذه التجربة .

العنصر الثالث من الثوابت الأساسية في هذه التجربة هو الايمان المطلق بدور الجماهير في كل

حركة سياسية وفي كل تحرير ، وجميع الانتصارات التي أحرزها عبد الناصر كانت معتمدة على تعبئة الجماهير ومشاركتها ، والأمثلة متعددة أذكر على سبيل المثال المعركة التي خاضها عبد الناصر مع الجماهير للاطاحة بحلف بغداد ، حرب السويس ، وحرب ٦٧ .

الثابت الرابع وهي حتمية الحل الاشتراكي ، وحتى لا أطيل عليكم يكفي أن تنظر ما بين وثيقة فلسفة الثورة ، وميثاق الاتحاد الاشتراكي ، لنصل إلى أن عبد الناصر لم يصل إلى هذه الخلاصة من نظرية جاهزة مسبقاً ، ولكن من معايشة الواقع ومعاناة الواقع ، الشيء الذي يعطي لهذا العنصر الرابع كل مغزاه السياسي والاجتماعي .

خالد محي الدين :

ـ الحقيقة أنا أحيي الزميل في كلمته الرائعة ، التي قالها ، وخصوصاً الجزء الأخير عن الثوابت والمتغيرات في التجربة الناصرية ولكن كما تقول . الموضوع للندوة هو الناصرية والنظام العالمي الجديد . والناصرية موضوع كبير يحتاج إلى ندوات وندوات . لتغطية هذه التجربة الهامة في حياة مصر وحياة العالم العربي . لكنني أقول للزميل ، ان المشروع الناصري مشروع آني وليس تراثي . ولو كانت المناقشة هدفها مناقشة التراث لما كنا أقمنا هذه الندوة . لأن العالم العربي في أزمة ولأن مشروع عبد الناصر لبناء مجتمع الحرية والاشتراكية والوحدة ، يواجه الآن مشاكل ضخمة وتراجعات ضخمة ، هو الذي دعا أصحاب الندوة إلى هذه الندوة لندخل إلى ما يسمى بالأزمة الآنية عن طريق مناقشة الناصرية والنظام العالمي الجديد ، ومقارنة للكلمات الثلاثة التي ألقيت اليوم ، كلمتي كانت عن الموقف الدولي وعدم الانحياز وموضوع استقلالية عدم الانحياز بين الكتلتين ، ما هي المخاطر التي تتهدد عدم الانحياز ، الأخ أمين هويدي تكلم عن المتغيرات الدولية والمتغيرات في العالم العربي وكيف ان عدم استغلال القوى الجديدة الموجودة في العالم العربي لا يمكنها من تخطي العقبات الموجودة . وبعد ذلك الأخ الأخضر الابراهيمي تكلم عن مشروع عبد الناصر لبناء مجتمع جديد الذي هو الحرية والاشتراكية والوحدة . وكيف ان هذا المشروع لم يكمل طريقه لأن هناك أزمة ، ويدعو إلى فتح الحوار . أنا أقول ان موضوع الأخ هويدي يحتاج إلى ندوة . وموضوع الأخ الابراهيمي يحتاج إلى ندوة ، فنحن لم نتكلم عن الناصرية كتراث ، ولكنها كمنهج للنضال ، يصيبه الوهن والضعف والشلل بسبب مشاكل جديدة . وأنا أعتقد انه إذا كانت الندوة أدت إلى فتح هذا الحوار فقد حققت أغراضها الحقيقية .

القسم الثانـــي :

١ ـ نصوص :

● الناصرية والنظام العالمي الجديد رؤ ية عربية من منظور حضاري ، د. اسماعيل صبري عبدالله .

● الناصرية والقومية العربية والنظام العالمي الجديد ، الياس سحاب .

● رؤ ية الشباب الناصري لمستقبل الناصرية والنظام العالمي الجديد ، حسن صبرا

٢ ـ مناقشات .

الجلسة الثانية مساء ٣٠ سبتمبر / أيلول ١٩٨٠

الناصرية والنظام العالمي الجديد

البعد الحضـــاري[١]

بقلم : الدكتور اسماعيل صبري عبدالله

(١)

ثلاثة مفاهيم يجمع بينها سؤال : الناصرية ، النظام العالمي الجديد ، الحضارة . ودون ادعاء تعريفها جميعاً تعريفاً دقيقاً ، أو جامعاً مانعاً كما كان الفلاسفة العرب يشترطون في التعريف ، نبدأ بمحاولة فهم لكل منها على الأقل في اطار ما نكتب فيه . وعلى هذا فإننا نرى في الناصرية قبل كل شيء ممارسة سياسية[٢] تحكمها أهداف ومثل عليا كما أنها تفرز من وقت لآخر وثائق تأصيلية معرضة عن بناء مذهب متكامل[٣] . ولهذا الفهم لطبيعة الناصرية أهمية خاصة في نظرنا ألا وهي كونها غير حبيسة لنصوص تأثرت بظروف صياغتها وقد يتقادم بعضها في بعض أجزائه على الأقل ، في حين أن الممارسة تتحمل غالباً امكان القراءة الجديدة في ضوء ظروف قد تغيرت بغية الاهتداء بها في التعامل مع الواقع الجديد . وهذا كله لأن تلك الممارسة لم تكن في جوهرها آنية خالصة بل كان يحكمها ويحركها دائماً أهداف ومثل عليا لها طابع الاستقرار وطول البقاء .

أما الدعوة لاقامة نظام عالمي جديد فإن دلالتها العميقة التي تستحق ثمن النضال هي استكمال التحرر الاقتصادي والحضاري[٤] للأغلبية العظمى من البشرية . ذلك ان النظام العالمي القائم ليس إلا وليداً لنمو الرأسمالية الغربية وتطورها ، وهو بالتالي يحمل بصماتها ويعكس وصماتها . فحتى ظهور الرأسمالية وانتشارها لم يكن هناك نظام عالمي أصلا . وتولى الغرب

---

(١) La dimension culturelle

(٢) Praxis

(٣) Doctrine وتستشهد على ذلك بأن أهم وثائق الناصرية التأصيلية وهو ميثاق العمل الوطني الصادر في يونيو ١٩٦٧ كان يفترض رسمياً المراجعة بعد عشر سنوات .

(٤) La décolonisation économique et culturelle

الرأسمالي لأول مرة في تاريخ البشرية توحيد الكرة الأرضية في ظل نظام اقتصادي ـ اجتماعي واحد من خلال الحركة الاستعمارية التي قسمت السيطرة على أقطار الأرض بين الدول الاستعمارية كبراها وصغراها . وكان من طبيعة الأشياء أن يتم ذلك التوحيد لصالح من فرضوه . وكل دعاوى نشر المسيحية بين الوثنيين أو نشر الحضارة العقلانية بين شعوب همجية تحكمها الشعوذة ، أو نشر السلام بين قبائل لا تكف عن التقاتل أو حتى مقاومة تجارة الرقيق . . . لم تكن كلها إلا غطاء أيديولوجيا شفافاً لا يكاد يخفي شيئاً من المطامع الحقيقية للغزاة الفاتحين : نهب الثروات الطبيعية والبشرية للشعوب المغلوبة وربطها بعجلة الرأسمالية برباط دائم من التبعية والاستغلال . ويهمنا في هذا المقام أن نضيف أن تلك الدعاوي التي كان الغرب يتمسح بها لتبرير حركة الاستعمار[٥] كانت بذاتها مخبية تفوح منها رائحة العنصرية أو بالقدر الأدنى التمركز الذاتي الغربي[٦] . فهي جميعاً تقوم على فرضية أن ما يراه الغرب صواباً هو وحده الصواب ، وأن رسالة الغرب الحضارية هي فرض هذا الصواب على بقية شعوب العالم التي قصرت عن أن تدركه بنفسها . وناضلت الشعوب المقهورة ضد الاستعمار . وكان من الطبيعي أن يتركز نضالها على مظاهره وأشكاله الفاقعة أو الملموسة : الحكم الأجنبي المباشر ، قوات الاحتلال . . . الخ . وهكذا نجحت هذه الشعوب في حوالي عشرين عاماً (ما بين الدعوة لتصفية الاستعمار الصادرة في باندونج في ابريل ١٩٥٥ وبين استقلال موزمبيق في مايو ١٩٧٥) في القضاء على الاستعمار بأشكاله التقليدية بحيث لم يبق منه الآن عملياً إلا الاستعمار الاستيطاني في فلسطين والطرف الجنوبي من افريقيا . ولكن الاستقلال السياسي لم يحمل بذاته الاستقلال الاقتصادي ولا العدل الاجتماعي ولا التحرر الحضاري . ذلك ان الرأسمالية العالمية كانت قد نجحت في نسج شبكة كثيفة من الروابط الظاهرة والخفية حول الدول المستقلة حديثاً . وبالرغم مما أصاب الرأسمالية في أوروبا ، مهدها الأول ، بانتصار الثورة في روسيا القيصرية ثم ما تلا ذلك من ظهور المجموعة الاشتراكية ، فإن النظام العالمي ما زال يحكم قبضته بفضل مجموعة من أبنية السلطة[٧] تجمعت تاريخياً في « القلب »[٨] من هذا النظام (الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان وكندا) من شأنها أن تبقي « التخوم »[٩] في حالة تبعية واستغلال : فالقلب يملك القوة العسكرية والسبق الاقتصادي والسيطرة المالية والتقدم التكنولوجي . . . ويملك فيما وراء ذلك الاحتكار الفعلي لوسائل الاتصال والاعلام[١٠] : وكالات الأنباء العالمية الأربع ، الجزء الأكبر من الانتاج السينمائي الموزع في العالم الثالث ، برامج

(٥) Le colonialisme

(٦) Ethnocentralisme occidental

(٧) Structures de pouvoir

(٨) Centre

(٩) La prépherie

(١٠) Moyen de communication et d'information

التليفزيون ، الارسال التليفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية ، الدور المهيمن والمؤثر للجامعات ومراكز البحث العلمي . . . الخ . مما ينفذ إلى عقل الناس ووجدانهم ويشكل أذواقهم وسلوكهم وطرق تفكيرهم في اتجاه واحد هو الاعجاب بالحضارة الغربية والتلهف على محاكاتها في كل شيء .

وهكذا نصل إلى مفهوم الحضارة[١١] . ونحن لا نقصر هذا التعبير على الانتاج الفكري والفني الرفيع الذي يفهم أحياناً من اللفظ الفرنسي . فلدينا في اللغة العربية كلمة ثقافة تؤدي هذا المعنى المتميز . انها تستخدم الحضارة استخداماً قريباً من ذلك الذي يمارسه علماء الاجتماع والانتروبولوجيا الأمريكيون . فهو عنوان يشمل إلى جانب الانتاج الفكري والفني الرفيع ، نظم القيم[١٢] والعادات والتقاليد التي تحكم السلوك الفردي والاجتماعي والفنون الشعبية والنظرة الفلسفية للكون والمجتمع والفرد . وبهذا الفهم لا بد من التسليم بواقع التعدد الحضاري . فإلى جانب ما هو معرفة انسانية عامة (مثل العلوم الرياضية والطبيعية) تتميز البشرية بتعدد حضاراتها ، والقضية ليست قضية تاريخية بمعنى انه كانت هناك حضارة صينية وأخرى هندية وثالثة عربية . . . الخ . ولكنها قضية حالية ومستقبلية كذلك ، إذ انه لا بد من التمييز بين حضارات انقرضت تماماً وحضارات حية بحياة الشعوب التي تتمسك بها . كما أنه يتعين أن نفصل بين وجود الحضارة وبين انجازاتها ذات الدلالة العالمية . فالحضارة الواحدة تعرف عهوداً زاهية وأخرى أقل غنى . وأياً كانت الأسباب التي تهبط بما تقدمه حضارة ما من عطاء لأبنائها وللبشرية عامة في فترة تاريخية ما ، فإن مثل هذه الأزمة لا تعني ضرورة عجز تلك الحضارة حالياً ومستقبلاً عن التجدد واستئناف العطاء . وإذا أخذنا المنطق المعتمد في التأريخ لأوروبا حتى عهد قريب يقال ان تلك القارة عرفت حضارة زاهية على أيدي الاغريق ، انتشرت في العالم المعروف آنذاك على يد الرومان ثم دخلت في العصور المظلمة (القرون الوسطى) لتولد من جديد في عصر النهضة . ودون أن نتبنى هذا المنطق ـ ولسنا في حاجة إلى تبنيه ـ نقول ان كل حضارة لم تندثر تماماً ، تحتفظ بالضرورة بمكنة النهضة والتجدد . وواضح أن هذه المقاربة[١٣] تتنافى تماماً مع أمرين . الأمر الأول هو القول بتفوق احدى الحضارات بشكل مطلق على غيرها من الحضارات ، وهو أمر ما زال شائعاً في الغرب . والأمر الثاني ، هو توهم أن تقدم الشعوب غير الغربية رهن بسلخ جلدها الحضاري وارتداء ثياب الحضارة الغربية على جسد مثخن .

وهذا الفهم للأمور يلقي ضوءاً جديداً على مفهومي التخلف[١٤] والتنمية فالتخلف ليس مجرد تأخر زمني . فعلى العكس مما توحي نظريات التنمية الغربية التي سادت الفكر الاقتصادي

---

(١١) Culture

(١٢) Systems des valeurs

(١٣) Approche

(١٤) Le sous-developpement

والاجتماعي إلى عهد قريب لم تقف الأمم يوماً عند خط البدء في ميدان سباق ثم جرت عند اشارة البدء فوصل البعض منها إلى نهاية الشوط ، وتعثر البعض الآخر في الطريق في حين كانت غاية جهد الأغلبية خطوات معدودات . ومثل هذا التفكير « أيديولوجي » بأسوأ معاني الكلمة . فهو من ناحية يفتح الباب أمام تفسيرات للتخلف لا سند لها في العلم أو العقل : أسباب جغرافية (الحَر يورث الكسل) أو دينية (الاسلام يعلم التواكل) أو عنصرية (تفاوت القدرات المتوارثة من شعب إلى آخر) ووقائع التاريخ تكذب هذا كله . فقد ازدهرت حضارات رفيعة الشأن في مناطق مدارية وشبه مدارية ، ولم يمنع الحر المصريين من بناء الأهرام قديماً والسد العالي بأسوان حديثاً . وفي ظل الاسلام تمت حضارة رائعة أنجزت في ميادين العلم والفلسفة والأدب والفن ما أثرى البشرية في مجموعها . أما التفكير العنصري فلا يستحق حتى مجرد الرد عليه . ونكتفي بأن نقول لأصدقائنا في الغرب شيئاً من التواضع ، ان حضارتكم العظيمة ذات المنجزات الهائلة لا يتجاوزها عمرها قروناً خمسة وعلى مرمى البصر منكم حضارة عمرها يتجاوز خمسة آلاف عام ، ان جاز أن أشير إلى مصر . ومن ناحية أخرى يهدف هذا التفكير إلى ابراء الغرب من مسئولية التخلف في البلدان التي استعمرها ، أحياناً لعدة قرون . والأمر الثابت تاريخياً هو اننا في العالم الثالث لم نُترَك وشأننا ثم قصرت همتنا عن التجدد والتقدم . بل أن بلداننا أخضعت للاحتلال العسكري والقهر السياسي والنهب الاقتصادي والكبت الحضاري لسنين طويلة . وليس التخلف بالمعنى العلمي الدقيق إلا ثمرة ذلك كله . فحتى إذا اقتصرنا ابتداء على الجانب الاقتصادي وحده لوجدنا ان المستعمر قد شكَّل اقتصادات المستعمرات على النحو الذي يخدم مصالحه ، ليس فقط بامتصاص جزء هام من الفائض الاقتصادي(١٥) الذي يحققه كل بلد ، ولكن أيضاً - وهذا هو الأهم - اعادة تشكيل بنية(١٦) البلد الاقتصادية والاجتماعية على النحو الذي يضمن أن تظل مصدراً لمواد أولية معينة وسوقاً لمنتجات المستعمر الصناعية . وأستأذن في أن أضرب هنا مثلا عن مصر ، لا لأنني أعرف عن بلدي أكثر مما أعرف عن البلدان الأخرى وإنما لأن المثل بذاته يكاد أن يكون نموذجياً في التدليل على ما تقدم من حجج . لقد عرفت مصر في عهد محمد علي - وقبل اليابان بأربعين سنة - محاولة « للحاق » بالدول المتقدمة بتطوير الزراعة والبدء في التصنيع وتحسين مستوى التعليم أحرزت نتائج جيدة بدأ أثرها ينتشر في أقطار عربية أخرى . وبأساليب ووسائل ذلك العصر اتجهت التجربة نحو اقامة دولة عربية كبيرة تضم مصر وسوريا وفلسطين ولبنان والحجاز والسودان الشمالي . ولكن الدول الأوروبية الاستعمارية لم تكن لتقبل أن يحل محل الرجل المريض (الدولة العثمانية) التي كانت تتنازع أشلاءه ، دولة عربية حديثة قوية تصد الاستعمار (بدليل انتهاء الحملة الفرنسية بالانسحاب وهزيمة بريطانيا حين حاولت غزو مصر بعد ذلك) . ولذلك

---

(١٥) Le surplus économique

(١٦) Restruction

اجتمعت كلمتها على ضرب هذه التجربة وسحقها عسكرياً . وانتهى الأمر بالاحتلال البريطاني لمصر . فماذا فعل البريطانيون بالمستعمرة الجديدة ؟ لقد أجهزوا على البقية الباقية من محاولة التصنيع ، وصفوا القطاع المملوك للدولة وفرضوا على مصر التخصص في زراعة القطن لتزويد مصانعهم بالأقطان طويلة التيلة . ولتحقيق ذلك تولوا تنمية كل ما له صلة بالقطن : نظام الري والصرف ، شبكة سكك حديدة لنقل القطن إلى ميناء التصدير . جهاز مصرفي حديث لتمويل المحصول ، بورصة متقدمة في الاسكندرية ، معهد لبحوث القطن . . . الخ . وكان تركيز الموارد على القطن وما يتصل به يعني اهمال القطاعات الأخرى في الاقتصاد القومي . وهكذا يتضح ما نعنيه حين نقول ان التخلف في حقيقته الاقتصادية تنمية مشوهة[١٧] متوجهة نحو الخارج[١٨] غير متوازنة وعاجزة عن الوفاء باحتياجات الجماهير لأنها في خدمة اقتصاد أجنبي . ولكن الاقتصاد لا يعيش في فراغ ، بل لا بد له من اطار اجتماعي وسياسي . وهكذا تقرر في ظل الحكم البريطاني مبدأ الملكية الفردية للأرض لأول مرة في تاريخ مصر الطويل . وعملت سلطة الاحتلال على تكوين ودعم طبقة كبار الملاك التي كان النظام الملكي التعبير السياسي عن مصالحها . وكان من الضروري أيضاً لاستكمال روابط التبعية الاستغلال من حملة حضارية تهدف عزل مصر عن بقية الوطن العربي وصلت إلى حد الدعوة لاستعمال اللغة العامية بدل العربية الفصيحة ، وفي صورة أكثر ذكاء لعب البعض لعبة « حضارة البحر المتوسط » ضد مفهوم الحضارة العربية لأن ذلك يربط مصر بعجلة أوروبا بقدر ما يقطع وشائج قومية حقيقية . وإذا تركنا المثال لنعود للأصل العام نكرر أن « التخلف » كتشخيص للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية لبلدان العالم الثالث هو المحصلة التاريخية لارتباط تلك البلدان بالسيطرة الاستعمارية . وما نود أن نضيفه الآن هو أن الاستقلال السياسي لا يكفي بذاته لتحرير بلداننا من سيطرة القلب من النظام العالمي . بل ان استقرار مفهوم خاطىء عن التنمية يقصرها على الجانب الاقتصادي وحده ويجعل تحقيقها مرهوناً بمعونات الغرب ، ويضع لها هدفاً تقليد الغرب ، ان استقرار مثل هذا المفهوم من شأنه أن يبقي على علاقات التبعية والاستغلال . وباسم التنمية تتسابق الحكومات على الشركات متعددة الجنسية صاحبة الأموال والتكنولوجيا وتفتح لها بإرادتها أبواب السيطرة على الاقتصاد الوطني . وتتوهم ان التقدم يعني التغريب[١٩] ولا شيء غير ذلك ؛ فتستورد أنماط الاستهلاك الغربي وتبدد مواردها فيما لا غناء فيه . وبنفس الوهم تنظر « النخب »[٢٠] الحاكمة بتعال إلى الحضارة القومية وتسخر بقيمها .

ان التنمية الحقة تقوم على الاعتماد على النفس ، أي الاعتماد على الجماهير بقدراتها الخلاقة

---

(١٧) Developpement déformé

(١٨) extra-verti

(١٩) Occidentalisation

(٢٠) Les élites

وطاقاتها الكبيرة . وهذا بدوره يقتضي الفهم العميق للحضارة الوطنية واعلاء شأن قيمها الايجابية واستخدامها في حفز المواطنين على بذل الجهد والتضحية من أجل التقدم ، واسترداد الثقة بالنفس . وبعبارة أخرى التنمية هي في التحليل الأخير قدرة المجتمع الذاتية على التجدد . وهذه القدرة لا تنفصل بأية حال عن التمسك بالشخصية الحضارية المتميزة . ان التقدم في بلداننا عماده القدرة على المواءمة الخلاقة بين الأصالة والتجدد[٢١] إذا جاز لي استخدام هذه الصياغة التي صكها جاك بيرك . ومن هنا كان تعريفنا للتنمية بأنها عملية تحرر اقتصادي وحضاري تتم أساساً ـ كما تم التحرر السياسي ـ في مواجهة مع القوى المسيطرة على النظام العالمي وليس في تعاون معها كما يتوهم البعض حتى الآن . وتلك المواجهة لا تعني القطيعة التامة . وإنما تعني ضرورة اقامة نظام عالمي جديد يبنى على التسليم بتعدد الحضارات وتكافؤ ها والاخصاب المتبادل بينها ، وعلى تصفية روابط التبعية والاستغلال التي تحكم النظام العالمي القائم . وبغير هذا المعنى ليس من جدوى للحديث عن نظام عالمي جديد .

(٢)

لقد ظهرت الدعوة لاقامة « نظام اقتصادي دولي جديد » في لغة السياسة والدبلوماسية لأول مرة في المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذي انعقد في الجزائر في خريف ١٩٧٣ ، أي بعد رحيل جمال عبد الناصر بثلاث سنوات . وتكفلت الدراسات والأبحاث والمناقشات التي جرت خلال بقية السبعينات بتحديد أوضح للقضية . فالمطلوب نظام عالمي وليس مجرد نظام دولي (أي يحكم العلاقات بين الدول) لأن النظام الدولي لا يمكن أن يكون عادلا بدون احداث تغييرات جوهرية في داخل الدول المكونة للمجموعة الدولية . وهو لا يقتصر على القضايا الاقتصادية ـ رغم الحاح بعضها ـ وإنما يشمل الجوانب الاجتماعية والحضارية . وإذا كانت الممارسات الدولية ما زالت متخلفة في هذا الشأن ، فإن السنوات الست الماضية شهدت ثورة حقيقية في الفكر التنموي جعلت المشتغلين بها يطرحون القضية بأبعادها المختلفة وليس البعد الحضاري أقلها شأناً . لذلك قد يبدو غريباً أن نقرن الناصرية بممارسات وأنشطة برزت بعد موت القائد العظيم بعدة سنوات . ولكن أولئك الذين عرفوا الناصرية في ديناميكيتها وحرصها على أهدافها ومثلها العليا ، ودرسوا عن كثب التطورات الفكرية المعاصرة بوسعهم أن يضعوا أيديهم على الصلة التي تبدو مفتقدة للوهلة الأولى .

وما دام حديثي يهتم في الأساس بالبعد الحضاري ، فإن خير استهلال له هو محاولة فهم الموقف الحضاري لعبد الناصر . وفي هذا الشأن لا بد من التأكيد على ظاهرتين :

---

(٢١) L'authenticité et le renonveau

الظاهرة الأولى : كان عبد الناصر بلا شك أقل حاكم في العالم الثالث اغترابا[٢٢] أو تغربيا[٢٣] . فالرجل من أسرة متواضعة من صعيد مصر تلقى تعليمه كله في المدارس المصرية وعاش حتى وصوله إلى السلطة في بيئة مصرية خالصة لا صلة له بالمجتمع الخليط من[٢٤] الأجانب وأثرياء المصريين الذي صوره لورانس داريل في رباعية الاسكندرية الشهيرة أبدع تصوير . والتحاقه بالجيش لم يحيء له فرصة السفر لاتمام دراسته في أوروبا . وهو خلال الثمانية عشر عاماً التي أمضاها في الحكم لم يزر أي دولة غربية ، ناهيك عن قضاء اجازة بها[٢٥] وهو لم يرتبط بصداقات شخصية مع رجال دولة من الغرب ، وإنما حرص على علاقات شخصية وثيقة مع نهرو وتيتو وشوان لاي . وعلى العكس كانت زياراته لأقطار عربية ولبلدان افريقية وللهند ويوغسلافيا . وكان ضيوفه المفضلون ـ من خارج الوطن العربي ـ قادة افريقيا وآسيا . ولم يكن ذلك ليعني بأي حال من الأحوال الانغلاق الفكري . فالرجل كان قارئاً نهماً يريد أن يعرف كل شيء ويحرص على أن يلم بمجريات الأمور في الدول الغربية ويتابع صحافتها وما يصدر فيها من كتب هامة . ولكن أهمية هذه الخلفية هي انه لم يكن مبهوراً بحضارة الغرب انبهاراً أعمى ، ولم يكن مفتوناً بنمط الحياة والاستهلاك الشائع في الغرب . وعلى العكس كان مؤمناً ايماناً عميقاً بامكانات الشعوب التي قهرها الاستعمار في احياء حضارتها وبناء نفسها بنفسها . كان حريصاً على تربية الخبرة الوطنية . واتاحة الفرصة أمام المصريين ليتدربوا من خلال حمل المسئولية ولا يلجأ إلى الخبرة الأجنبية إلا في أضيق الحدود . ومن هذا المنطلق أيضاً كان حرصه على الاعتماد على الموارد الذاتية وتأميم الشركات الأجنبية واعادة توزيع الملكية والدخل القومي وتوسيع قاعدة التعليم وتحرير المرأة . كانت قناعته كاملة بأنه لا بديل لجهد الجماهير الذي يتضاعف باحساسها بالثقة بنفسها وادراكها انها تعمل لمصلحتها ومصلحة أجيالها القادمة وليس في خدمة أجنبي دخيل أو مصري مستغل ، والارتفاع المستمر بمستواها التعليمي وحالتها المعيشية ووعيها السياسي . .

الظاهرة الثانية : هي الاختيار العربي الحاسم . فحين وصل عبد الناصر إلى السلطة كانت روابط مصر العربية ـ باستثناء عضوية جامعة الدول العربية ـ روابط حضارية في الأساس . ولكن الطبقات الحاكمة قبله كانت عاجزة عن تصور وضع مصر العربي وتراوحت مواقفها بين التعالي على هذه الأقطار البدوية أو المستعمرة التي تبدو أشد تخلفاً من مصر والاعتقاد بأن مستقبل مصر مع

---

(٢٢) alienation

(٢٣) occidentalisation

(٢٤) cosmopolite

(٢٥) باستثناء اليونان (وهي ليست النموذج الغربي الكامل) وكذلك رحلته إلى نيويورك التي اقتصرت على الاشتراك في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة واستغرقت أياماً معدودة .

أوروبا على نسق ما فعل أتاتورك بتركيا ، ومن ثم التغاضي عن المطامع الصهيونية[٢٦] ، وبين النظر إلى الأقطار العربية المجاورة كمنطقة نفوذ الطبقات الحاكمة المصرية[٢٧] . وعلى العكس طرح عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة منذ ١٩٥٣ أهمية الدائرة العربية « لضمان استقلال مصر وباسم مسئوليات مصر» ثم يتبلور لديه بسرعة إدراك أن الأمة العربية ـ رغم واقع التجزئة ـ أمة واحدة وأن مصر جزء منها ، هذه الأمة التي كانت في ذلك الوقت أقرب إلى التعبير الحضاري منها إلى الواقع السياسي والتي كانت دولها كاملة الاستقلال تعد على أصابع اليد الواحدة . ولم تكن القضية في نظره قضية تضامن في النضال ضد الاستعمار والامبريالية فحسب . فهو قد مارس بفاعلية هذا التضامن مع الشعوب الافريقية بنوع خاص وشعوب العالم الثالث في مجموعها ، ولكنها كانت قضية انتماء قومي . ولتقدير الدور الحقيقي لعبد الناصر في استعادة « مصر لوجهها العربي » لا بد من الاشارة إلى أن قلة قليلة من المثقفين المصريين كانت لهم اهتمامات حقيقية بالأمة العربية وان الفكر الغالب بينهم كان يتجه نحو أوروبا والغرب .

هذا عن الرجل وتفكيره وشخصيته وكلها تبرز أهمية البعد الحضاري عند عبد الناصر ، ففي مواجهة شعار ـ مصر يجب أن تكون قطعة من أوروبا ـ الذي رفعه الخديو اسماعيل ، رفع عبد الناصر قوله الحق مصر جزء من الأمة العربية . وكان ذلك اختياراً حضارياً حاسماً .

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد . فعبد الناصر ناضل منذ وقت مبكر من أجل تغيير النظام العالمي القائم . وإذا تركنا جانباً دوره في باندونج حيث كانت القضية الواردة هي النضال من أجل الاستقلال السياسي فإننا نجد انه أول من وضع حركة عدم الانحياز على طريق أن تكون المتحدث السياسي باسم العالم الثالث . ففي الخمسينات كان النضال المواكب للصراع من أجل الاستقلال هو مقاومة سياسة احتواء الدول المستقلة حديثاً عن طريق الأحلاف والقواعد العسكرية والتبعية للكتل الدولية الكبرى وفي المقام الأول بطبيعة الحال التبعية للمستعمرين السابقين أو لقيادتهم الجديدة المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن ما ان نشطت حركة عدم الانحياز وزادت عضويتها وعقدت مؤتمرها الأول في بلجراد في خريف ١٩٦١ حتى بادر عبد الناصر بطرح قضية الاستقلال الاقتصادي والعلاقات غير المتكافئة بين الدول الصناعية ودول العالم الثالث ، قال عبد الناصر في ذلك المؤتمر :

---

(٢٦) بالرغم من أن الشعور الوطني في مصر كان إلى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله ضد السيطرة البريطانية والهجرة الصهيونية ، أغمضت السلطات المصرية أعينها عن جميع التبرعات في مصر من اليهود وغير اليهود لبناء كيبوتز في فلسطين . وفي ١٩٤٧ عارض اسماعيل صدقي ممثل الرأسمالية الكبيرة دخول مصر الحرب إلى جانب عرب فلسطين .

(٢٧) وكنموذج لم تطرح الطبقات الحاكمة قضية وحدة مصر والسودان على أساس انهما قطران عربيان ، وإنما بنتها على « وحدة وادي النيل » نظراً لمصالح مصر في مياه النيل .

« انه من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم أمام الشعوب التي لم تستكمل نموها الاقتصادي والاجتماعي . وينبغي لنا أن نذكر انه لا يمكن أن يكون هناك استقرار في عالم تتفاوت فيه مستويات الحياة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذي نراه الآن : ومع اني لا أريد أن أثير أحقاداً قديمة ، فإن التقدم الصناعي على سبيل المثال في عدد كبير من بلدان أوروبا كان قائماً على الثروات التي جرى نزحها بطريقة منتظمة في آسيا وافريقيا » .

وغني عن الذكر ان هذه الكلمات لم تفقد جدتها وانها صحيحة اليوم كما كانت صحيحة بالأمس . والفرق الوحيد انها الآن تتردد كثيراً في حين أن عبد الناصر حين قالها كان يندر أن يوجد حاكم آخر في العالم الثالث يطرح الأمور بمثل هذا الجلاء . والأهم من ذلك ان تلك الكلمة لم تبق خطاباً في ملفات المؤتمر ، بل تحولت إلى تحرك فعلي . فقد قرر اجتماع القمة لدول عدم الانحياز إثر هذا دعوة الدول النامية إلى مؤتمر في القاهرة لبحث قضايا التنمية . وانعقد هذا المؤتمر بالفعل وانتهت أعماله بوثيقة أسميت « اعلان القاهرة » في يوليو ١٩٦٢ وتضمنت تلك الوثيقة الدعوة إلى العمل على عقد مؤتمر اقتصادي دولي في اطار الأمم المتحدة » . وقد أفضت جهود دول العالم الثالث بالفعل إلى انعقاد « مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية » (الانكتاد)[٢٨] في يوليو ١٩٦٤ . وقد انتخب رئيس الوفد المصري رئيساً للمؤتمر تقديراً لدور مصر في الدعوة له والاعداد لانعقاده . وفي هذا المؤتمر ـ الذي أخفق بطبيعة الحال في حل القضايا الأساسية ـ تجمعت « الدول النامية » في صف واحد في مواجهة الدول الصناعية وكان عدد دول العالم الثالث المشتركة في المؤتمر سبعاً وسبعين . وهو الاسم الذي ما زال يطلق في دوائر الأمم المتحدة « مجموعة السبعة والسبعين » ، بالرغم من أن عضويتها الآن تشمل حوالي مائة وعشرون دولة . وقد لعبت مصر طوال حكم عبد الناصر دوراً قيادياً في حركة عدم الانحياز التي أصبحت بمثابة الحزب السياسي الذي يدافع عن قضايا العالم الثالث ، وفي « مجموعة السبعة والسبعين » التي تمثل نوعاً من النقابة تضم كل دول العالم الثالث الأعضاء بالأمم المتحدة حتى إذا كان لبعضها روابط بدول الغرب لا تؤهلها لعضوية حركة عدم الانحياز .

وكما هي الحال دائماً كانت سياسة عبد الناصر الخارجية امتداداً طبيعياً لسياسته في الداخل . ففي البدء كان الشعور الوطني المعادي للاستعمار متمثل في المقام الأول في التخلص من الاحتلال البريطاني وتحقيق الاستقلال السياسي الكامل . ولكن فطنة عبد الناصر السياسية جعلته يدرك مبكراً ان الاستقلال السياسي لا دلالة له ما لم يكن سبيلا لتحقيق الاستقلال الاقتصادي . ولذلك فإن تأميم قناة السويس لم يكن عملا انفعالياً أملاه الغضب المشروع أمام الطريقة المهينة التي سحبت بها الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي عرض تمويل بناء السد العالي . ولو كان

---

(٢٨) La CNUCED

الأمر كذلك لما تمكنت الادارة المصرية من تسيير أمور القناة دون أدنى صعوبة . وإنما الواقع ان وضع شركة القناة ونشاطها ونفوذها كانت محل دراسة ومتابعة في مكتب عبد الناصر منذ أمد بعيد بهدف اخضاعها للسيادة المصرية . وكان نجاح تأميم قناة السويس الكامل ذا أثر عميق في مصر والوطن العربي وكل شعوب العالم الثالث . ويهمنا في اطار هذا الحديث هذه النقطة الأخيرة . فقبل ست سنوات من تأميم القناة أممت حكومة مصدق بترول ايران وانتهى الأمر بالتدخل الأمريكي السافر لتصفية التأميم عملياً واقامة دكتاتورية الشاه المطلقة لتلقن الامبريالية بهذا درساً لكل الدول المستقلة حديثاً حتى لا تمس مصالحها الاقتصادية . وساد بالفعل الخوف من كلمة التأميم ونجح الارهاب الامبريالي حتى كان تأميم قناة السويس فتغير مجرى التاريخ. وشيئاً فشيئاً غدا تأميم المصالح الأجنبية أمراً مشروعاً يقره المجتمع الدولي (بشرط التعويض) وسجلته الأمم المتحدة في ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية الذي أقرته الدورة التاسعة والعشرون للجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٧٣ . أما في مصر فقد شجع هذا النجاح على تأميم المصالح البريطانية والفرنسية ثم تدريجياً كل المصالح الأجنبية الرئيسية تحقيقاً لسيادة مصر على اقتصادها . ولذلك فإن المعنى الذي يبقى حياً كاسهام ناصري مستمر حتى وقتنا هذا ، بل كعنصر أساسي في النضال من أجل نظام عالمي جديد هو أهمية الاستقلال الاقتصادي وان مفتاحه هو سيطرة الدولة على مواردها الطبيعية وتأميم الشركات الأجنبية وان الاستثمار الأجنبي لا يقبل إلا استثناء حيث تفرضه ضرورة الحصول على تكنولوجيا متقدمة (انظر في هذا ميثاق العمل الوطني) . والأمر الثاني المميز هو أن الناصرية لم تقع في المأزق الذي توجد فيه كثير من حكومات العالم الثالث حين تطالب بالعدالة في التعامل الدولي وهي لا تمارسها في الداخل . فتراث الناصرية هو الربط بين أهداف الثورة الوطنية وأهداف الثورة الاجتماعية أو بعبارة أخرى ان الاستقلال بشقيه السياسي والاقتصادي لا يرسخ إلا على أساس من العدالة الاجتماعية . ولقد تطورت في الممارسة فكرة العدالة الاجتماعية إلى أن تجاوزت أساليب الاصلاح الاجتماعي واتخذت أشكالا ثورية لاعادة توزيع ملكية وسائل الانتاج وإعادة توزيع الدخل . وهكذا تم تأميم الرأسمالية الكبيرة المصرية وبناء قطاع عام قوي يقود التنمية على أساس من التخطيط الشامل . أي اختارت الناصرية طريق الاشتراكية . وهكذا تبقى الناصرية حية من حيث انها تؤكد ان الطريق الوحيد أمام دول العالم الثالث هو طريق الاشتراكية .

ونختم هذا الحديث بالعودة إلى البعد الحضاري . ولهذا البعد جانبان . الأول الربط في أهداف الناصرية العليا بين الحرية والاشتراكية والوحدة . أي ان الاستقلال الوطني والبناء الاشتراكي وتوحيد الأمة العربية قضايا تتكامل وتتداخل ولا يجوز الفصل بينها . وهل ثمة اعلاء لشأن البعد الحضاري أكبر من تصور الأمة العربية قادرة على تحقيق هذه الأهداف من خلال تأكيد شخصيتها الحضارية وتحويلها إلى تعبير سياسي في مواجهة الامبريالية وقوى التجزئة ؟ ان هذه الثقة

العميقة بقدرات الأمة العربية مبنية على تقييم سليم لتراثها الحضاري وتقدير سليم لامكانات التجدد الكامنة فيها . نفس الثقة التي جعلت عبد الناصر يقتنع بأن ثورة تبلؤ ها حفنة من الرجال يمكن أن تنقل الجزائر من أربعة محافظات فرنسية إلى دولة مستقلة بعد استعمار استيطاني دام أكثر من ١٣٠ عاماً . وهي نفس الثقة بأن الشعب الفلسطيني لا بد أن يسترد حقوقه المشروعة مهما يكن من شأن قوة الصهيونية ومساندة الامبريالية لها . والجانب الآخر هو الحرص على ادخال البعد الحضاري في الاختيار الاجتماعي. فبعد الحديث عن الاشتراكية العربية وما ساق إليه من جدل غير مثمر تدخل عبد الناصر شخصياً ليقول ان الاشتراكية في الجوهر واحدة لأنها دائماً تهدف لتصفية استغلال الانسان للانسان ولكنها في الممارسة تتخذ أساليب وطرقاً ووسائل تختلف باختلاف الواقع الذي تتم فيه التجربة الاشتراكية ومن هنا كانت دعوته « للتطبيق العربي للاشتراكية » أو ما يمكن أن نسميه الطريق العربي للاشتراكية . فخصوصية الأمة العربية الحضارية لا بد أن تنعكس في خصوصية قضايا الاشتراكية في الوطن العربي .

الناصرية والقومية العربية والنظام العالمي

بقلم : الياس سحاب

لا شك في أن من أهم محركات الموجات التاريخية في المنطقة العربية ، منذ عصر انطلاق الدعوة الاسلامية ـ على الأقل ـ النزوع إلى الوحدة ، تعبيراً عن الارادة السياسية ، أما في وجه التفكك الداخلي ، أو في وجه الخطر الخارجي .

ومع أن الامبراطورية العثمانية قد لعبت بشكل أو بآخر (وعلى الرغم من كل الشوائب) نوعاً من دور السلطة السياسية المركزية في المنطقة ، كشكل من أشكال امتداد هذه السلطة من الحقبات المختلفة للدولة العباسية ، إلى الدولة الفاطمية ، إلى المماليك ، فإن التململ العربي داخل الاطار العثماني قد بدأ منذ وقت مبكر ، مترافقاً مع بدايات التمهيد للمطامع الأوروبية في المنطقة ، تلك المطامع التي سبقت راياتها الثقافية والاقتصادية الرايات العسكرية بقرنين أو أكثر من الزمن .

ولعل من المفارقات التاريخية الغريبة التي وقعت ضمن هذا المسار ، ان ظروف الخروج العربي من الاطار العثماني الذي تم في جزء منه بمقاومة عربية ، قد أدت إلى الدخول العربي في مزيد من التجزئة الجغرافية والسياسية المتدرجة والمتفاقمة تحت اعلام الهيمنة الأوروبية التي جاءت راياتها العسكرية والسياسية الجديدة ، تنضم إلى راياتها الثقافية والعسكرية القديمة .

ومع انحسار غبار الحرب العالمية الثانية ، كان ثلاثة أوضاع تاريخية تتبلور وتبرز على الساحة العربية وعلى الساحة العالمية في وقت واحد :

١ ـ كانت حركة القومية العربية قد نضجت عبر سلسلة من الصدمات وخيبات الأمل ، وبدأت تكتشف ذاتها وعناصر قوتها بواقعية ووضوح ، وكان من أهم عناصر القوة المكتشفة : عمق تصادم المصالح العربية مع الوجود الأجنبي الأوروبي (بعد أن كان هذا الوجود لفترة ، يعتبر حليفاً لحركة القومية العربية) ، دور مصر المركزي والأساسي والضروري في أي تحرك نحو استكمال بناء نوع من أنواع المركزية السياسية في المنطقة العربية (بعد سلسلة من مشاريع الوحدة المشرقية بعيداً عن مصر) وقيمة التماسك بين مصر والمشرق العربي (بعد أن كانت مشاريع عديدة للوحدة تضع المشرق العربي في المواجهة مع مصر) ، وكانت كل هذه العناصر الأساسية بالاضافة

إلى القيادة التاريخية لحركة القومية العربية المعاصرة (قيادة جمال عبد الناصر) قد أتمت عملية النضج النهائي على نيران ذروة التحدي بين حركة الوحدة العربية من جهة ، والوجود الأجنبي ورياح التجزئة والتفتيت والتبعية المتدرجة للارادة الخارجية من جهة ثانية ، تلك الذروة المتمثلة في مشروع انشاء دولة اسرائيل على أرض فلسطين .

٢ ـ كانت الحرب العالمية الثانية (استطراداً للحرب العالمية الأولى) قد شهدت نهاية مخاض طويل في التكوينات الاقتصادية والسياسية لتطورات الحضارة الغربية ، تبلور في تكون قوتين أساسيتين جديدتين : روسيا الاشتراكية ، وأمريكا الرأسمالية بتعبيرات جديدة وأساليب جديدة ، أدخلت تعبيرات وأساليب مدرسة الاستعمار القديم متحف التاريخ ، وان كان جوهر صراعات مراكز القوى العالمية قد بقي على حاله كما كان منذ فجر تشكل المجتمعات السياسية .

٣ ـ وفي خضم غرق العالم الغربي القديم ، وتشكل العالم الغربي الجديد ، تحركت في جميع أنحاء آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية ، في تظاهرة تاريخية فريدة من نوعها ، عشرات التجمعات البشرية القديمة ، تنشىء لنفسها كيانات سياسية ، أو تعيد تجديد كياناتها القديمة ، وقد انطلقت هذه التظاهرة التاريخية التي حملت اسم العالم الثالث ، من مؤتمر باندونج التاريخي باندونيسيا ، وحطت رحالها في منظمة الأمم المتحدة بنيويورك .

وسط هذه التفاعلات التاريخية المعقدة والمتداخلة ، برزت التجربة الناصرية كأرقى تعبير معاصر عن حركة الوحدة ، التي تجتاح المنطقة كل حقبة من الزمن ، أما في وجه تفكك داخلي شامل ، أو في وجه خطر خارجي داهم .

وعندما كان جمال عبد الناصر يتخذ قراره برفض الانذار البريطاني ـ الفرنسي الذي كان يخيره في اكتوبر ١٩٥٦ بين الذهاب في التحدي إلى آخر مداه ، وبين التراجع عن قرار تأميم قناة السويس ، كان هناك اثنان فقط على ثقة من أن الذهاب في التحدي إلى آخر مدى ، هو القرار المنطقي ، وهو القرار الراجح : المواطن العربي العادي ، وعبد الناصر . ولعل ثقة المواطن العربي العادي بالنسبة لنتائج القرار كانت أقوى حتى من ثقة عبد الناصر .

منذ تلك اللحظة بدأ الكثير من الأمور في مجرى صراع الارادات في هذه المنطقة يوضع في نصابه ويعاد إليه شيء من التوازن والمنطق .

فعلى مدى ثلاثة قرون ، ومنذ أواسط العصر العثماني ، كانت أوروبا قد بدأت تزرع بكل ثقة ، وبنفس طويل جداً ، كل معوقات التوحد وبروز الارادة السياسية المركزية المستقلة في هذه المنطقة من العالم ، بخطط تضرب في الجذور الثقافية والحضارية للمنطقة ، مبنية على عنصرين أساسيين : تحقيق التبعية الثقافية والحضارية ، وضرب الاسافين في البنية التوحيدية في المنطقة ، عن طريق تعميق فرزها على شكل أقليات ساهمت أوروبا (وخاصة فرنسا) في تصليب تحديد معالمها المتميزة ، وتجذير كيانها الثقافي والحضاري ، وفصل هذا الكيان ما أمكن عن النسيج العام لشعوب المنطقة . ولا ندري أيهما أشد صراحة في هذا المجال : وثائق التاريخ التي لم تعد سراً ،

أم المعاينة المباشرة لما يتدافع أمامنا من أحداث واضحة الدلالات في المرحلة الحالية .

لقد أدت هذه الزراعة التاريخية الطويلة المدى ، التي كانت فيها المنطقة العربية أشبه بالأرض التي لا تملك إلا أن تستوعب ما يبذره فيها زارعها الأوروبي من بذور أدت إلى خلق شبه حقائق تاريخية ، أصبح لها الموقع الأكثر احتراماً وثقة ، ليس على الصعيد العالمي فقط ، بل حتى لدى الشرائح العليا من المجتمع العربي .

فالدوائر الغربية والشارع الأوروبي ، لم يكونا وحدهما على ثقة بعدم قدرة المنطقة العربية على تجسيد ارادتها السياسية في أداة مركزية مستقلة ، بل كانت الشرائح العليا من المجتمعات العربية (في مجملها) تتصرف على هذا الأساس ، ولم يكن يشذ عن هذا المسار سوى الشارع العربي الذي كان يستمد من المخزون التراثي ومن التجليات المعاصرة لهذا التراث ، القدرة على التمييز الواثق بين الحقائق التاريخية ، وشبه الحقائق المزروعة تحت جنح ظلام العهد العثماني .

إن ما فعله عبد الناصر باختصار شديد ، هو رفع هذا الواقع الشعبي العربي إلى سدة الحكم ، ووضعه في موضع صاحب القرار الرئيسي في شؤ ون المنطقة العربية لفترة غير قصيرة من التاريخ العربي المعاصر .

هناك من خطط على أساس أن ذلك غير ضروري ، وهناك من خطط على أساس أنه غير قابل للتحقيق الآن ، وهناك من خطط على أساس أنه مستحيل من الآن وإلى الأبد ، ولكنه تحقق ، وأدى إلى خلق حقائق دولية جديدة سواء بالنسبة للمنطقة العربية ، أو العالم الثالث ، أو العالم ككل .

وعندما وقفت الولايات المتحدة الامريكية ، أيام رئاسة الجنرال ايزنهاور ، موقف الابتعاد عن مساندة آخر غزوات الاستعمار الأوروبي القديم للمشرق العربي ، انتشر الاعتقاد بأن من الممكن أن تكون القوة الغربية الرأسمالية الجديدة التي تمثلها واشنطن ، قد أسقطت أوهام العالم القديم ، ولمست بالتجربة العملية (وليس بالتحليل التاريخي فقط) ان من الأجدى صرف الجهد في البحث عن أفضل وسائل التعامل مع عالم عربي مستقل الارادة السياسية ، مركزي السلطة ، متصل ماضيه بحاضره ومستقبله ، بدلاً من صرف الجهد على تعميق تجزئة هذا العالم وتفتيته وقمع المسيرة التاريخية الطبيعية فيه ، بشتى وسائل القوة والتسلط . بل ان تفاؤ ل البعض وصل إلى حد اعتبار الموقف الاميركي يومها تعبيراً فعلياً عن كل هذه الأفكار الجديدة . ولكن الادارة الاميركية لم تفسح في المجال طويلا أمام المتفائلين ، فجاء مشروع أيزنهاور يحمل عبارات وتوجهات ، لعلها أكثر تركيزاً وتجسيداً لفلسفة الاستعمار القديم ازاء المنطقة العربية ، من مفردات وزارة الخارجية البريطانية أو الفرنسية آنذاك ، فقد حمل المشروع يومها اسم « مشروع ملء الفراغ السياسي » في الشرق الأوسط ، الذي سيخلفه انهيار النفوذ البريطاني والفرنسي في أعقاب حملة السويس الفاشلة ، اذن نفس الاصرار على معاملة المنطقة بأنها غير جديرة (وغير قادرة) بممارسة إرادة سياسية مستقلة . ولعلنا إذا ألقينا نظرة طائر على العقد الأخير من الستين ، الذي أعقبت وفاة جمال

عبد الناصر ، نرى منطق الصراع مع الاستعمار الجديد الذي خاضته المنطقة العربية بين معركة السويس ورحيل عبد الناصر ، قد خفت حرارتها ، فعاد المنطق القديم كما كان سابقاً ، لا يسيطر على الدوائر السياسية الغربية العالمية ، فقط ، بل يشمل الشرائح العليا القيادية من المجتمع العربي . بل اننا إذا قسنا الوضع العربي العام حالياً ، بمقياس فرص الاتجاه نحو الارادة العربية السياسية المركزية الموحدة المستقلة ، وجدنا أنه يقف في نقطة تراجع عما كان عليه في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات .

يقول المفكر العربي الوحدوي الدكتور نديم البيطار ان الضعف العربي يهدد السلام العالمي ، بمعنى أن بقاء المنطقة العربية مجزأة مشتتة الارادة السياسية ، سيبقي أبواب هذه المنطقة الحساسة الكبيرة الثروات ، مشرعة أمام كل احتمالات صراع القوى العالمية عليها ، الأمر الذي قد تعتقد كل قوة دولية على حدة أنه لصالحها دون سواها ، ولكن أية وقفة حكيمة عاقلة أمام هذا الواقع ، تكفي لاكتشاف الأفق القريب لهذه المسيرة المدمرة للجميع في نهاية المطاف ، والتي قد لا نبالغ إذا قلنا انها من أخطر بؤ ر احتمالات حرب عالمية ثالثة .

وعندما نتذكر اليوم الحملة الأوروبية الشعواء على عبد الناصر في الخمسينات بشكل خاص ، والتي دارت حول فكرة تشبيهه بهتلر ، الذي تهدد مطامعه التوسعية أمن العالم ، فإننا نرى حتى المواقف الأوروبية الحالية ، ذات العلاقات المعقولة بمختلف الدول العربية ، أدنى بكثير من استيعاب كل عبر هذه التجارب التي تحمل من الاحتمالات المريرة في المستقبل ، أكثر مما حملت في الماضي .

ولسنا نستثني من هذا الموقف الذي يتراجع كثيراً عن الحد الأدنى المطلوب ، السياسات العربية الرسمية في مجملها . ان الاكتفاء بالنظر إلى هذه المسألة الخطيرة من زاوية تأمين هذا البلد الأوروبي مخزونه النفطي السنوي ، وتأمين هذا النظام العربي ، استقراره الداخلي المنظور ، دليل على نظر قصير جداً ؛ وحوار الطرشان الذي يسود حوار الشمال والجنوب من سنوات ، اسطع دليل على ذلك ، فالعقدة ما زالت تتمثل في اصرار القوى الغربية على عدم الاعتراف بحق العرب (اضافة إلى العالم الثالث كله) بمسيرة حرة باتجاه وحدتهم ، وتجسيد هذه الوحدة بارادة سياسية مركزية (بشكل أو بآخر) .

لقد درج بعض الوطنيين العرب على القول في تعريف قيادة عبد الناصر ومرحلته التاريخية ، ان أهم ما أنجزه هو اعطاء الأمة العربية فكرة عن قدراتها . ويمكننا اليوم بعد مرور عشر سنوات على رحيل عبد الناصر ، أن نضيف إلى هذا التعريف القول بأن أهم انجاز للمرحلة الناصرية على الصعيد العالمي ، هو انها أعطت العالم فكرة عن قدرة العرب على السير الفعلي باتجاه وحدتهم السياسية الشاملة . ومع ان كل ذلك يتعثر الآن ، فإن أصحاب الوهم باستحالة تحقق ذلك ، لم يعد لهم عذر في الاسترسال في أوهامهم ، وأكبر هذه الأوهام الاعتقاد ، سواء على الصعيد العالمي أو العربي ، ان ما يبدو على السطح الآن في المنطقة العربية من ظواهر تجزيئية هو الأساس ، وان المرحلة الناصرية (بما حملته من احتمالات توحيدية) هي الاستثناء .

الناصرية والنظام العالمي الجديد

رؤية موجزة للشباب الناصري
حول دور مصر بعد غياب عبد الناصر

كلمة الأستاذ حسن صبرا

قد يكون من الصعوبة بمكان اقناع الرأي العام الغربي بشكل مباشر ان الفكر السياسي العربي قد حمل في مراحل حديثة عديدة بوعيه أو بدونه عداء للمؤثرات الخارجية الغربية حماية لذاته لدرجة جعلت الغرب يتحفظ أو يعارض ما يعتبره القوميون العرب جزءاً من خصائصهم الذاتية ، ولا يراه الغرب سوى تعصب أو تعبير عن تخلف ذاتي موروث .

ولو شئنا تأكيد هذا الرأي بأمثلة موضوعية من واقع الحياة السياسية العربية لبدا لنا نموذجان ظلا على تماس مباشر مع التأثيرات الغربية وبالذات مع فرنسا ، وجسدا بالتحدي الذي ووجها به ما جعلهما يمثلان الحقيقة الشديدة الوضوح في حياة هذه المنطقة وهما العروبة والاسلام ، والبعض يعتبرهما حقيقة متداخلة ـ جدلية واحدة .

ففي الجزائر حيث ظل الفرنسيون ينظرون إليها كمقاطعة فرنسية طيلة عقود طويلة من الزمن نهضت دعوة العروبة المستندة إلى الاسلام لمواجهة الدعوة الغربية الدخيلة تلك ، لم تكن نهضتها ـ على الأقل في أصولها المباشرة ـ عقائدية لنشر راية الاسلام على الفرنسيين في الجزائر ، وإنما كانت درع حماية لحملة التغريب والعنصرية اللتين تركتا بصماتهما على أجيال كاملة في هذا البلد العربي الاسلامي حتى اليوم .

وفي لبنان حيث ووجهت العروبة بتحدي الانتماء كما لم تواجه في أي بلد عربي آخر لجأت لحماية ذاتها إلى المزيد من التشدد في مواجهة التشكيك والانعزال الذي استند إلى مقولة التفاعل الحضاري مع الغرب واعتبار تلك العلاقة التي نشأت باندفاع غربي للسيطرة على هذه المنطقة في منتصف القرن التاسع عشر علاقة حضارية أو في أحسن الحالات قناة الوصل بين الشرق والغرب .

من هنا ظل العروبيون معنيين في لبنان ليس في الاندفاع للقاء مع اقرانهم في الأقطار العربية الأخرى وتحقيق الأمر الطبيعي الذي يطمحون إليه وهو وحدة المصير بل في خوض المعارك الداخلية مع جمهور عريض خضع لمؤثرات الغرب وكانت الدعوة للانتماء الطائفي ونجاحها هي سبيل النجاح الغربي في فرض منطقه على الجمهور وبالتالي تحييده في قضايا أمته ثم عزله ثم لتستخدم قواه السياسية في نهاية المطاف في قتال الأمة والوقوف في صف أعدائها .

ما علاقة هذه المقدمة بموضوعنا الأساسي وهي رؤية الشباب الناصري للنظام العالمي الجديد على ضوء التجربة الناصرية ، لأن هاتين الخصوصيتين اللتين فرضهما الغرب على الأمة العربية هما اللتان ميزتا الناصرية كدعوة للقومية العربية ذات الروح الاسلامية وصاحبة الحساسية الخاصة فيما يتعلق بالاستقلال الفعلي الذي ناضلت لتحقيقه طيلة فترة تسلمها موضع القرار في مصر في الفترة من ٢٣ تموز ١٩٥٢ حتى ٢٨ أيلول ١٩٧٠ .

ومن هنا يصح أن نحدد ملامح المرحلة القادمة على ضوء تجربة السنوات العشر التي انقضت على غياب صاحب التجربة جمال عبد الناصر خاصين الوضع في لبنان باشارة أساسية من موقع تحليل الخصوصية التي رافقت وضعه السياسي لسنين طويلة ومستمرة . هذا أولا ، ثم من موقع فهم المرض الذي ينخر في جسده هذه الأيام باعتباره يلخص المرض العربي الأكبر وينوب عنه .

ذلك ان خلاصة الوضع المفتوح لكل الاحتمالات في لبنان بعد ١٠ سنوات من غياب جمال عبد الناصر انه نقيض كل التحولات التي سعت مصر عبد الناصر لانجازها على المستوى القومي العربي . ويصح التعاطي مع هذا الرأي في زاويتين ، الأولى داخلية قطرية والثانية قومية عربية .

فعلى الصعيد الداخلي ظل التجاوب أو الاعتراض على نهج جمال عبد الناصر السياسي مرهوناً بخطين متقابلين مثلا طيلة فترة وجوده وما بعده خلاصة النهجين المتقابلين اللذين عرضهما لبنان ما بين دعوة الانتماء العربي الطبيعية ودعوة الغربية المحايدة .

ففي الوقت الذي كان فيه الاندفاع نحو الارتباط بمصر عبد الناصر هو نفسه الارتباط بالدعوة القومية العربية ، حيث كان عبد الناصر نفسه رمزاً عملياً لها . ظهر عداء القوى المنعزلة لعبد الناصر على أشده وهي تراه حاملا دعوة التوحيد القومية مهدداً الكيانات المجزأة في أهم أركانها . وهي التي تود لو تستطيع الهروب بالكيان الذي سهل لها الغرب استلام مقدراته ، لتسكنه قطعة من الأم الحنون فرنسا كما كان يعبر عنه . فقد كانت ترى في نفسها نقطة لقاء الشرق مع الغرب أو لقاح الغرب للشرق . وجمال عبد الناصر هو الارادة التي نهضت لجعل العرب قادرين على مواجهة تحدي الغرب .

هي كانت ترى في نفسها أقلية يبحث لها الغرب عن دور أو موطىء قدم يستند إليه للانطلاق إلى مصالحه . وجمال عبد الناصر قامت دعوته على قاعدة وطنية وحدانية المصالح العربية على أرضها مع شعور كبير بالكرامة رافق كل خطواته السياسية . هذا الواقع لم يكن ليجر إلى صدام مباشر في ظل عبد الناصر لأن ميزان القوى المحلي والعربي لم يكن يسمح لهذه الفئات أن تطرح مشروعها

العملي إلا فيا ندر اضافة إلى رؤ ية ناصرية خاصة تجاه لبنان تميزت بالحرص على اقناع هذه الفئة ان مصالحها الحقيقية هي ضمن الاطار القومي العربي الواحد وليس في اقتناصها فرص المواجهة مع هذه الأمة والوقوف إلى جانب أعدائها .

وعلى الصعيد القومي العربي جاء غياب عبد الناصر ثم مصر عن موقع القيادة القومية ليتيح للقوى التي كثيراً ما أقلقها وأقضى مضاجعها هذا الدور الكبير لمصر أن تستقل عن الدعوة القومية لجوءاً إلى دعوات محلية تراوحت بين الاقليمية المغلفة بالشعارات الوطنية والطائفية والمذهبية المعنونة بشعارات التعدد الحضاري المزعوم ليشكل هذا الاستقلال أو التراجع الفعلي اعترافاً بغياب المركز ـ القطب مصر وليبيح حالة الانحلال التي تعيشها أواصر الأمة . وليتعكس ذلك على لبنان بالذات حيث مأساته الذاتية انه حمل كل تراجعات الدعوة القومية ونتائجها إلى داخله وحيث ان المركز الأكثر تماسكاً وهو مصر في حالة غياب ، فإن الطرف الأكثر تعرضاً لمزاعم التعدد وهو لبنان أكثر تعرضاً للتفتت ومنه يصبح الانطلاق لتعميم نموذجه البشع على ساحات المشرق العربي بأكمله مما يشكل فعلا حالة نقيض الوضع الذي جسده وجود جمال عبد الناصر على رأس مصر .

إلام يقودنا هذا الكلام :

ان شعور العروبيين في لبنان بحاجتهم الملاسة إلى عودة مصر الناصرية إلى دورها فيه شعور العودة إلى الوحدة الوطنية الداخلية ، وفيه الخلاص من حالة التفتت الطائفي والمذهبي . وإذا كان هذا لا يعني ان الأمر يخص الوحدويين في لبنان فحسب ، بل أصبح حاجة ماسة لكل الوحدويين في الأقطار العربية الذين تتعرض بلدانهم لنفس واقع انقطاع آلية الجذب الصلبة ، وتهدد أطرافهم بالتفكك ، فإن لبنان يحمل من الخصائص ما يلزم القول عنه انه أكثر الأطراف تأثراً بكل ما حدث ويحدث في مصر .

لبنان في عصر جمال عبد الناصر كان كياناً قطرياً قريباً من حالة الذوبان الوحدوي ، خاصة بعد أن بلغت دعوة الوحدة ذروتها عام ١٩٥٨ بقيام الجمهورية العربية المتحدة . وكان في ذلك الحل الأمثل لكل معاناته التقسيمية .

ولبنان بعد عشر سنوات من غياب جمال عبد الناصر أصبح قريباً من حالة الانتهاء ككيان واحد بعد أن زرعت في داخله ومن حوله بذور التفكك وكادت تؤ تي ثمارها .

وفي الحالتين لعب حضور مصر القومي وغيابها الانفصالي دوراً مصيرياً لهذا الكيان الصغير ، وبقية الكيانات الأخرى . فكيف ينظر الشباب العربي إلى مصر ، وإلى الناصرية بعد أن عاش في ظلها طموحات الوحدة والتوحد ، وها هو يدفع من مصيره ثمن غياب القرار الناصري ١٠ سنوات من التفكك والتجزئة .

١ ـ ان الحاجة إلى مصر هي حاجة إلى اقليم قاعدة يملك كل مقومات المركز الجاذب . وهي في البداية حاجة مصيرية خالصة قبل أن تكون حاجة عربية ، فمصر القاعدة هي مصر المتماسكة .

أما مصر المنفصلة فاحتمالات العدوى لداخلها قوية ليست بفعل عوامل داخلية بقدر ما هي بفعل عوامل خارجية أهمها دور القوى الخائفة من هذا الاقليم القاعدة . فكلما كانت مصر قائدة كانت قوية ولا تستطيع مصر أن تكون قوية إلا إذا كانت قائدة . فمصر والحالة هذه على علاقة جدلية مع العروبة وهي مجالها الرحب الأول ، فمصر والعروبة طرفا معادلة بدون تكاملهما جدلياً لا ينهض في هذا الشرق دور مركزي يجذب الأطراف الملأى بتناقضات المجتمعات المركبة .

والعروبة في مصر تعكس نفسها على الآخرين خارجها وتفرض عليهم أن يعيشوا هاجس القيادة المركزية الشديدة سواء في القرب منها أو في البعد عنها . وهي تفرض على الآخرين أيضاً حمل تبعات وأعباء الحلم الكبير بمواجهة أعداء الأمة ، لأن مصر القوية هي باب المواجهة مع الأعداء مثلما تكون وهي ضعيفة مفتاح ثأر الأعداء من هذه الأمة .

٢ ـ ان الناصرية خلال سنوات قرارها الحاسم داخل مصر شكلت عملياً قيادة فعلية للدولة القومية المنتظرة ، وهي في هذا المجال مطالبة بأن تبذل الجهد كله للعودة إلى مصر أولا وقبل كل شيء ، لأن عودتها إلى مصر فيه عودة مصر إلى العروبة وعودة العروبة إلى القيادة . وليس صدفة ان انقلاب الانفصاليين على العروبة في مصر عام ١٩٧١ بدأ انقلاباً على الناصريين أولا وأخيراً . لقد شكل الناصريون خلال سنوات غياب مصر عن العروبة وضعف العروبة الرسمي خارج مصر ، جمهور المعارضة الواسع الذي توجه إليه القيادات الحاكمة ضرباتها وتسجنه أسير حدودها الجغرافية وزنزاناتها وساحات اعدامها الجماعية .

٣ ـ ان مصر القاعدة الوحدوية القوية هي ضرورة حيوية للاستقرار والسلام في هذا الجزء المهم من العالم . فبدون مصر القوية يفتح المجال أمام المشروع الصهيوني ـ الغربي بتقسيم الأقطار المحيطة باسرائيل لكي تضمن وجودها قوية على حساب الدويلات المصطنعة الضعيفة . ومصر الوحدوية القوية هي وحدها القادرة على نقل الضعف العربي المحيط باسرائيل إلى قوة ترغم اسرائيل على التراجع عن مشروعها ، ويتيح للنضال العربي بقيادة مصر أن يفتح الطريق نحو ازالة العنصرية الصهيونية واسترجاع الحق العربي الشرعي كاملا في فلسطين .

٤ ـ ان الدعوة الوحدوية القومية وفي القلب منها مصر العربية قادرة ليس فقط على تحقيق قوة الوطن العربي ، بل وأساساً مطالبة بانقاذ الوحدات الوطنية داخل كل قطر عربي على حدة .

٥ ـ ان المستقبل الوحيد لهذه المنطقة من العالم هو في وحدتها . بهذا تستطيع أن تتعامل مع العالم من منطلق التفاعل الحضاري ، فلا هي ترضخ بدويلاتها لأطماع الذين يشهدون سيلان اللعاب على ثرواتها ، ولا هي ترهق الوجود البشري بمشاكلها الذاتية لحساب هذا الطرف أو ذلك ، وفي كثير من الأحيان لحساب طموحات بعض حكامها أو عائلاتها أو عشائرها أو طوائفها الحاكمة .

بهذا وحده نستطيع أن نرى للناصرية مكاناً في موقع القيادة . وهذا الانجاز هو مدخل الحديث عن نظام عالمي جديد حيث تجد الأمة العربية مكانها الذي تستحقه تحت الشمس في هذا

النظام . وبدونه لن يمكن الحديث عن استقرار في هذه المنطقة . بل ستبقى دائماً عنصر مساومة بين الطامعين ، وعنصر قلق يهدد كل نظام دولي . لأنه أمر غير طبيعي أن تتجه إلى التفتت في وقت يتجه العالم كله إلى التكتل بمختلف أشكاله السياسية أو الاقتصادية أو التجارية . . . الخ .

وأخيـــراً :

لئن مثل هذا الكلام وجهة نظر شباب ناصري من لبنان فهو تعبير عن وجهات نظر العروبيين الناصريين في كل أرض عربية ، فإن أهم انجاز استطاعه جمال عبد الناصر تأثيراً في الوجود العربي ان الأجيال التي عاشت حلم الوحدة وأملها قبل عبد الناصر بكثير ، عبرت عن نفسها من جديد من خلال كل الذين وجدوا في جمال عبد الناصر قائداً لهذه الأمة في حياته ورمزاً للوحدة القومية من المحيط إلى الخليج بعد رحيله .

المناقشات

ـ اسمهان البلداوي : الدكتور (إسماعيل صبري) ، عرض علينا كل الأوجه الايجابية في الناصرية ، ولن أناقشها لكن ، في ناحية الربط بين أهداف الثورة السياسية والأهداف الاجتماعية . تهيأ لي أنه أنهى بها الحديث . هذا الربط يبدو ان فيه خللاً لأن فئات ظهرت الآن ، هي أيضاً ظاهرة من الناصرية ، من ناحية ثانية لم تستطع الناصرية أن تعرف الوسائل الكفيلة بالمحافظة على المكتسبات التي قدمتها لغالبية الشعب .

ـ د. إسماعيل صبري : طبعاً أنا أشرت إلى أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة ، قضية الحرية قضية ذات شقين ، الحرية الاجتماعية والحرية السياسية . وإذا أردنا أن نرى كيف طرحها عبد الناصر في المستوى الفكري ، وارد في الميثاق ما نصه بالتقريب ، ان الحرية الاجتماعية والحرية السياسية هما جناحا الديمقراطية وان بدون أحد الجناحين لا يمكن أن تتحرك الديمقراطية . وجانب الحرية الاجتماعية ، التغييرات الثورية التي تمت في هيكل الاقتصاد والمجتمع المصري ، كانت أولا تغييرات عميقة ، ثانياً لم تكن الكلمة الأخيرة للناصرية فيما يتعلق بالتغييرات ، وأنا أحب أن أذكّر هنا بأنه في إحدى المرات كان عبد الناصر في لقاء مع مجموعة من الشباب في بور سعيد وسئل متى تنتهي إجراءات التحول الاشتراكي . كانت إجابته ، حين ينتهي إستغلال الإنسان للإنسان . والأخ قبّاري في تدخله عبّر عن شعور القاعدة العريضة من جماهير الشعب المصري أي الفلاحون والعمال الذين وجدوا فعلاً أن الناصرية أتت لهم بحرية لم يكن يعرفونها قبل ذلك . أيضاً الميثاق كان هناك تصوّر للممارسة السياسية الديمقراطية مبني على مبدأين ، الأول هو انتقال السلطة تدريجياً من المركزية إلى الحكم المحلي ، ثانياً ان في كل مستوى الأسبقية والأولوية للمجالس الشعبية على الهيئات التنفيذية ، ولكن بكل انصاف ، هذه التجربة التي تصورها عبد الناصر نظرياً تعثرت في التطبيق ولا شك انه حدثت بالفعل تجاوزات كان المثقفون أكبر هدف لها . وعانى بعضهم منها . لكن نحن لسنا في معرض تقييم الناصرية بسلبياتها وايجابياتها . ولكننا في معرض تقرير ما تحمله الناصرية من تراث صالح لمواجهة مشاكل الثمانينات . الناصرية تكونت في الخمسينات والستينات ونحن نحاول أن نجد فيها ما يصلح لمعالجة قضايا الثمانيات . وليس بين المشاركين في الندوة من له نظرة سلفية ، يطالب بأن نعود إلى ما كنّا به في الستينات . لأنه لو كان عبد الناصر على قيد الحياة لكانت حصلت تطورات أكثر بكثير وأعمق من التطورات التي حدثت في الستينات .

نقطة توضيحية أخيرة ، ليس صحيحاً بصورة مطلقة القول بأن الطبقات التي نمت حالياً في المجتمع المصري كانت من نتاج التجربة الاشتراكية أو تجربة عبد الناصر هذا غير صحيح على الاطلاق . هناك عناصر فعلا كانت جزءاً من النظام وبعد ذلك تنكرت له وتحولت في اتجاهات

أخرى . لكن ما أسماه حزب التجمع بالرأسمالية الطفيلية والفئات الطفيلية كانت تقاوم وتبعد في عهد عبد الناصر عن مراكز السلطة السياسية والاقتصادية وتحاسب على ما تأتيه من أعمال ترفضها الأخلاق ، أو يأباها القانون ، مثل الرشوة والعمولة ، هذه المسائل كانت من المحرمات في عهد عبد الناصر . أخيراً عبد الناصر انسان ، وعمل في ظروف في غاية التعقيد ، وعمل مع الشعب المصري ، ومما لا شك فيه انه كان يتمتع بتأييد شبه إجماعي من الشعب المصري . ولكن رغم ذلك فهو كإنسان ويعمل في ظروف معينة كانت هناك حدود موضوعية تفرض نفسها على حركته . لم يكن مطلق الحركة ، ولم يكن المجتمع المصري قطعة من الصلصال ، يستطيع عبد الناصر أن يشكلها كيفما يشاء . كان هناك صراع طبقي وكانت هناك قوى اجتماعية وهناك توازنات كان يجب أخذها في الاعتبار . في كل مرة كان يتعامل مع هذه التوازنات في المرات العادية كان ممكناً أن يكون هذا التوازن معتدلا ، أو أن يرضي الجناح اليميني للثورة ، وفي مرة أخرى يكون أكثر تقدماً . لكن الهام في هذا ، في المنعطفات الخطيرة للثورة ، كان إنحياز عبد الناصر دائماً إلى جانب القوى الشعبية . نحن لا نؤله عبد الناصر ، ولا نقول انه لم يخطىء . وأي إنسان معرض للخطأ بلا شك وكما قلت في كلمتي السابقة بيتاً من الشعر . سأستشهد ببيت آخر من نفس القصيدة ، للجواهري يقول :

لا يعصم المجد الرجال وإنما
كان العظيم المجد والأخطاء

- صابر سليمان : استفسار موجه للأستاذ خالد . أنا لاحظت عموماً أن رجال الثورة الذين قاموا بالثورة سنة ٥٢ ، حصل بينهم انشقاق فيما بعد ، منهم من سار على درب معين وآخرون خرجوا عن الخط . وأنا أقول ان الأستاذ خالد هو من الناس الذين بقوا على هذا الخط والدليل على ذلك أنه في عهد عبد الناصر حصل خلاف بين الأستاذ خالد وبين عبد الناصر ، لكن على ما أعتقد أن هذا الخلاف لم يكن في الصورة المخيفة في الوقت الحالي رجال الثورة هم الذين يحكمون ورجال الثورة هم الذين يعارضون . كما أرى أنا .

أريد أن أسأل لماذا وصلنا إلى هذا الواقع ؟ .

النقطة الثانية ، في الوضع الحالي ، عدت إلى مصر بعد غيبة عشر سنين ذهلت لما رأيته ، ولاحظت أن الأغلبية تضع كل شيء على عاتق عبد الناصر كل الأخطاء الموجودة في مصر حالياً ، يضعونها على أكتاف عبد الناصر ، رغم أنني عشت في مصر عهد عبد الناصر ، وفي فترة كان مستوى المعيشة فيها معقولا ، وكانت الحياة الاجتماعية معقولة . فأنا أستغرب كيف أن كل الأخطاء الحالية تلصق بعهد عبد الناصر . علاوة على ذلك ، يقال حالياً أن حرب اكتوبر هي انجاز للوضع الحالي ، أنا كنت في فرنسا سنة ٦٧ . ونزلت إلى مصر سنة ٦٧ وكنت أعلم أنني سأدخل الجيش ، بقيت ثلاث سنوات كانت فترة إعداد للمعركة الأولى بين ٦٧ حتى ٧٠ وتركت مصر سنة سبعين .

إذاً حرب اكتوبر بدأت في فترة عبد الناصر . وما أستغربه هو وضع كل الأخطاء الحالية على

أكتاف عبد الناصر. أنا لا أنكر أن هناك أخطاء في عهد عبد الناصر ولكن على ما أعتقد أن حسناته أكثر من عيوبه. إضافة إلى أن التناقضات التي كانت تحصل بين أعضاء مجلس قيادة الثورة لم تكن ملحوظة مثلما هي اليوم. أتمنى لو أن هناك توضيحاً لهذه الأمور.

ـ خالد محي الدين: ثلاثة موضوعات هي التي طرحتها بكلامك.

بالنسبة لأعضاء مجلس قيادة الثورة، ليس صحيحاً أنهم هم الذين يحكمون وهم الذين يعارضون. لأنه ليس مجلس الثورة هو الذي يحكم بل أن الذي يحكم هو أنور السادات بمفرده. لأنه لو كان المجلس لكانت أهداف الثورة هي التي تحكم. هذه نريد أن نستبعدها. لأن هناك تنكراً كاملاً لمبادىء الثورة، رغم كل الكلام الذي يقال. أهداف الثورة التي تتركز في ثلاثة أهداف رئيسية، مقاومة الاستعمار أو السيطرة الأجنبية، ثانياً التوجه العربي وثالثاً التحول الاشتراكي بمعنى العدالة الاجتماعية. هذه الأهداف الأساسية هناك تحول كامل عنهم. فيبقى أي كلام عن الثورة نسبياً، لأن داخل ثورة يوليو هناك إيمان بدرجات متفاوتة بهذه الأهداف الثلاث. لكن هناك حداً أدنى في النهاية، جعل أغلبية أعضاء مجلس الثورة يعارضون الحكم القائم سواء منهم من في الأحزاب وأنا في حزب التجمع أو خارج الأحزاب. الظاهرة الايجابية أن الأعضاء الآخرين من مجلس الثورة، الذين هم خارج الأحزاب ويعيشون حياة خاصة بعد أن قرروا الابتعاد عن السياسة. عندما جاء اتفاق كمب ديفيد والمعاهدة المصرية الاسرائيلية. الأربعة الموجودون خارج الساحة باستثناء واحد لأنه قرر العمل بالاقتصاد والتجارة، الأربعة كتبوا البيان الشهير الذي هاجموا فيه أنور السادات في البرلمان في مارس وهو يعرض المعاهدة. هذا يوضح أن أعضاء مجلس قيادة الثورة رغم الخلافات التي تمت، ما زالوا محافظين إلى حد ما على الأهداف الرئيسية لثورة يوليو. وعندما ترى البيان الذي كتبه الأعضاء الأربعة في مجلس قيادة الثورة، وكيف أن أهداف البيانات الأخرى سواء التي أصدرها حزب الوفد أو حزب التجمع تجد أن المعالجة لأخطار هذه المعاهدة، تقريباً شبه متشابهة. وهذا شيء ايجابي يبين أن أعضاء مجلس قيادة الثورة بالنسبة لأهداف الثورة متمسكون بها. هذه قضية أساسية.

المسألة الثانية أنك عندما عدت إلى مصر، فوجدت كل الناس. أنا أعارض هذا التعبير، لأنك من غير المعقول أنك قابلت كل الناس، لكنك دائماً تقابل محيطاً معيّناً من الناس وهو طبعاً في حدود طبقات معينة دائماً تحب أن تلقي الأعباء التي نحن موجودين بها على عاتق الاخرين.

لكن لو أنت اتصلت بمجموع القاعدة العريضة من العمال والفلاحين وصغار الموظفين، لكنت وجدتهم يقولون لك مباشرة انهم كانوا يعيشون في عهد عبد الناصر وسط ظروف أفضل.

شيء غريب انني أسمع الآن أن الكل يحمل عهد عبد الناصر، أنا سمعت منذ أيام وأنا أركب سيارة تكسي اننا حتى في وقت الهزيمة كنا قادرين أن نعيش.

أما كلام الأجهزة المعبأة الآن لتقول ان الأخطاء التي نحن فيها سببها التجربة الاشتراكية بينما

رأينا نحن أن السبب هو منع التجربة الاشتراكية من الوصول إلى منتهاها ، لذلك نحن واقعون في مشاكل . فلنترك كلام الأجهزة جانباً .

المسألة الثالثة قضية حرب ٧٣ . يكفي أن السادات أكد في خطابه في ٢٨ سبتمبر عام ٧٣ ، وكان من عادته أن يلقيه كل سنة بمناسبة وفاة عبد الناصر ثم أحجم عن ذلك بعد ٧٤ و ٧٥ . إنما في خطابه عام ٧٣ وكان خطاباً مهماً لأنه لم يكن أحد يعلم ان حرب اكتوبر ستقع بعد اسبوع . ذكر ان المعركة التي نخوضها ، نخوضها تحت علم الناصرية ، يجب أن تعودوا إلى هذا الخطاب . تصرّف ناصرياً وتكلم تحت علم الناصرية بمعنى أنه عندما جاء ليدخل المعركة عمل عملاً هو ، كما قلت ، من أهم ما أثر عن عبد الناصر وجعل « الوحدة الوطنية » من أبرز سمات الناصرية . فقرر إرجاع الصحافيين الذين كان عزلهم من الصحافة من أصحاب الاتجاهات المعارضة له . ولم يقل أن هناك معركة لكنه قال إنه يعيد كل الناس حفاظاً على وحدة البلد ووحدة الأمة وهذا في نظري تصرف ناصري .

ـ ناجي عبد الله : تفضل الدكتور إسماعيل في محاضرته فأشار إلى أن هناك أشكالاً جديدة من الاستغلال في العلاقات الدولية خصوصاً مع بلدان العالم الثالث . ألا يخشى مع هذا الوضع أن تؤدي التنمية القطرية إلى مزيد من التناقض بين أقطار الوطن العربي وبالتالي تباعد في مسيرة الوحدة العربية ؟ .

ـ د. اسماعيل صبري عبدالله : إن مجموعة الدول الغربية الرأسمالية تمارس بشكل واضح استغلالاً واستلاباً على بلدان العالم الثالث ، ان علاقات التبعية والاستغلال في صورتها الجديدة لا تعتمد أساساً على الأساليب القديمة من احتلال وقواعد عسكرية أو حكم استعماري مباشر ، وإنما تعتمد على ربط بلدان العالم الثالث بالدول الرأسمالية بشبكة كثيفة من العلاقات في كل مجالات الحياة بحيث تصل حتى مستوى توجيه تفكير المفكرين في هذه البلاد ، ومن باب أولى توجيه قرارات متخذي القرار في هذه البلدان ، وإذا حاولنا أن نعطي صورة تشبيهية لتصوير هذا الوضع ، فلدي صورة محببة أذكرها في كثير من مثل هذه الندوات التي تتعرض للنظام العالمي وهي الآتية : تصور انك أخذت أو جمعت مجموع خرائط الطرق الجوية لكل شركات الطيران الدولية ثم وضعتها الواحدة فوق الأخرى على ورق شفاف فستأخذ صورة حقيقية من تشابك هذه الخطوط عن الشبكة الحقيقية التي تحكم العالم الثالث . فيما يتعلق ، وهذه النقطة الثانية ، فيما يتعلق بالبلدان العربية فيمكن أن نقول بصفة عامة ثلاثة أمور : الأمر الأول ان الفقر النسبي وسوء الادارة الاقتصادية يفتح باب التبعية عن طريق القروض من الدول الغربية والاستثمارات من الدول الغربية والواردات من الدول الغربية ، وأخص هنا بالذكر الواردات الغذائية ، حينما نجد ان الوطن العربي في مجموعه يعتمد بأكثر من نسبة ٥٠٪ من وارداته الغذائية على الولايات المتحدة نفسها تقريباً ، وضع كهذا يحد من استقلال هذه البلاد رغم ما حققته من استقلال سياسي ورغم

ما حققته من سيطرة على مواردها الطبيعية بتأميم شركات النفط . . الخ . الدول الفقيرة تخضع وتتبع الاستعمار أساساً عن طريق العلاقات الاقتصادية وما يرتبط بها من عمليات نقل التكنولوجيا ونقل المعرفة الفنية وتدريب الاطارات التي تعمل في مشروعات التنمية وفي ادارة الدولة ، كل هذا عملية تشكيل فكر ، ويجب أن نعرف ان كل تكنولوجيا ليست مجرد معدات ، ولكن هذه المعدات مصحوبة باختيار اجتماعي لأن المعدات تنتج سلعاً معينة ، وهذه السلع يوجد فئات معينة من المجتمع هي التي تستهلكها ، فهي اختيار اجتماعي ، اختيار التكنولوجيا هو اختيار اجتماعي لأن المعدات تصحب معها الخبرة التكنولوجية وهي الخبراء الأجانب الذين يأتون إلى بلادنا ويعملون دراسات عن التنمية ويقولون ان هذا المشروع يصلح وذاك لا يصلح ، إنها تصطحب أيضاً بتدريب أبنائنا وان عملية التدريب عملية ليست فنية مطلقة وبريئة من القيم الاجتماعية والسياسية والأيديولجيات التي تحملها ، وأخطر مظهر لهذا ظهر في كثير من الأحيان ويتعلق بالتسليح ، لاعتماد جيوش معينة ، كجيوش أميركا اللاتينية واعتمادها لسنوات طويلة على التسليح الأميركي ، حيث ترتب عليه وجود جيل كامل من ضباط وقيادات هذه الجيوش شكل عقلهم في المدارس الأميركية ويفكرون بالطريقة الأميركية وتعلموا ان العدو في الداخل وليس في الخارج وان العدو هو الحركات التقدمية وليس صدفة ان هذه الجيوش تعمل للانقلابات العسكرية الفاشية أو الرجعية .

الجانب الثاني الملفت للنظر في حالة الوطن العربي هو أن الثروة الكبيرة تؤدي إلى التبعية . فإذا أخذنا الدول العربية ذات الفوائض فنجد ان هذه الفوائض موظفة أساساً في الولايات المتحدة وبصفة عامة في اطار النظام الرأسمالي العالمي ، وهذه الفوائض في ضوء علاقات القوى بين دول العالم الثالث والدول الصناعية تجعل صاحب الفائض في الموقف الأضعف من المدين الذي توظف عنده هذه الفوائض لأن المدين يستطيع أن يجمد هذه الفوائض في أي وقت وهذا ليس فرضاً نظرياً بل مورس ضد إيران . لا أريد أن أطيل في هذا لكن أقول مثلاً ان منظمة « الأوبيك » على قوتها ، لا تستطيع حتى الآن أن تأخذ قرارا يتفق مع مصالحها الوطنية بتخفيض الانتاج في بعض الدول التي تنتج أكثر من احتياجها إلى الاستيراد ، لأن تخفيض البترول بنسبة عالية ٢٠ أو ٣٠٪ من الممكن أن يعتبره الغرب كحالة حرب ويتدخل عسكرياً لاستمرار التدفق ، وهذه أمثلة أذكرها على ما يسمى بالاستعمار الجديد أو الوسائل الحديثة التي تربط دول العالم الثالث بمزيد من الروابط مع الدول الصناعية المتقدمة ، وهذا كله مبني على مسلمة أن كل تبادل بين دولة من العالم الثالث ودولة من الدول الصناعية هو بالضرورة تبادل غير متكافىء وتستفيد منه الدولة الصناعية أكثر مما تستفيد منه الدولة المنتمية إلى العالم الثالث . ستسألني ما هو البديل ؟ البديل هو الاعتماد على النفس بدءاً بالمستوى القطري ، ثم الاعتماد الجماعي على النفس بالعمل العربي الاقتصادي المشترك ، بالتكامل ، بالمشروعات العربية المشتركة . . الخ . بالاعتماد على الخبرة العربية بدل تفضيل الخبرة الأجنبية . . سنوياً الوطن العربي ينفق مليارات الدولارات على الخبرة الأجنبية وعندنا عدد من الخبراء العرب يعيشون في الدول الغربية لا يستهان بهم ، فضلاً عن الموجودين داخل الوطن العربي ، والمسائل تصل إلى حد المضحك المبكي حين تتعاقد دولة عربية مع شركة

أميركية من بيوت الخبرة فتحضر لنا خبراء عرب يحملون جوازات سفر أميركية . فالأميركي هو الوسيط في العملية كلها ، وهذا ما ينطبق مثلاً على القضية المثارة أخيراً فيما يسمى تدوير الفوائض البترولية . صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والبنوك المتعددة الجنسية طرحت هذه القضية وتقول انه يجب أن يذهب جزء من الفائض إلى البلدان النامية . . نحن موافقون ، لكن لماذا يمر هذا الجزء بالمؤسسات الغربية ؟ لماذا لا تنشأ علاقة مباشرة بين دول الفائض وبين الدول العاجزة داخل العالم الثالث دون وساطة أوروبا وأميركا والمؤسسات الدولية التي يسيطرون عليها . هذه صور من علاقات التبعية والاستغلال ولمحة عن كيفية مقاومتها . وطريق المقاومة ليتضح فكرياً أكثر وأكثر . وما بين ظهور الفكرة وتحولها إلى قوة فاعلة في التطبيق يوجد فترة زمنية من الممكن أن تختصر . لكن لا يمكن أن تلغى تماماً . السبيل أمامنا للتحرر الحقيقي ازاء الغرب هو اننا نتعاون مع بعض وهنا تأتي فكرة استقلال كل قطر عربي ، حتى ولو لم تكن هناك وحدة عربية سياسية . في الواقع تتوقف إلى حد كبير على استقلال البلاد العربية الأخرى ، ونمو كل قطر عربي مرتبط بتنمية عربية شاملة . ليس هناك تناقض بين تنمية قومية وتنمية قطرية وإنما واقع التناقض هو الآتي : هو من ناحية التكامل مع الاقتصاد الغربي وهو تكامل تبعية أما التكامل بين الدول العربية فهو تكامل تكافؤ . . وشكراً .

ـ صالح بشير : بالنسبة للناصرية والنظام العالمي الجديد . . إذا راجعنا تاريخ الاستعمار مراجعة بسيطة ، نلاحظ ان الحضور الاستعماري في العالم قام على تغييب الشرق العربي الاسلامي . وأول ما بدأ التاريخ الاستعماري الغربي بدأ بمحاولة تجنب الشرق العربي الاسلامي . أميركا اكتشفت لتجنب الشرق العربي الاسلامي ، المشكلة كانت قائمة في طريقة الوصول إلى الهند ، إلى توابل الهند وخيراتها دون واسطة العالم العربي الاسلامي ، وهذه القضية صاحبت التاريخ الاستعماري بكامله ، يمكن القول ان النظام العالمي الجديد أسس منذ أن تمكن عبد الناصر من انهاء عملية تغييب الشرق العربي الاسلامي ومنذ جعله حاضراً من خلال سياسته وتحديداً سياسة تأميم قناة السويس الذي وضع حداً لمعاملة العالم الاسلامي كممر نحو عوالم أخرى ، من هنا نستطيع القول ان الناصرية مستمرة حتى الآن وليس فقط في أذهان هذا التنظيم السياسي أو ذاك ، أو لدى هذا الكاتب أو ذاك ، أو خلال هذه الندوة ، أو ندوات مشابهة ، بل من خلال ممارسة سياسية نراها حالياً حتى لدى أناس ليسوا بالضرورة تقدميين مثلاً : ان تقوم الحرب الحالية بين العراق وايران والقوى الكبرى في حالة حياد ، لأن أي تدخل منهما سيعرض مصالحهما للخطر ، أن تقوم حرب من هذا النوع ، فهذه تحتل (نقطة) مهمة جداً في التاريخ الاستعماري الجديد دون أن تكون «Robelage» من طرفيها ، ودون أن تستطيع أن تتحكم بمسارها ، فهذا شكل من أشكال الناصرية ، شكل من أشكال جعل شرقنا حاضراً على الساحة العالمية . هذه النقطة ربما يطول عنها الحديث ، لكن لست أدري بالنسبة للناس الذين عايشوا عبد الناصر ويدرسون عبد الناصر . فهل يمكن النظر للقضية من هذه الزاوية ؟

ـ خالد محي الدين مدير الندوة : سأترك للزملاء مسؤولية الرد ، ولكن بالنسبة للناصرية شيء ، وربطها بالحرب الايرانية ـ العراقية شيء آخر ، بمعنى أنا لا أعتقد ان الدول الكبرى بعيدة ، فالولايات المتحدة ليست بعيدة عن هذه المعركة ، وهذا مثل غير دقيق اجمالا .

ـ سحاب : أنا توجهت في مساهمتي في هذه الندوة على أساس هذه الفكرة بالضبط ، ولا أدري إذا كنت وفقت في هذا المجال ، فعلاً ، خلاصة الناصرية ، هي طرح حقيقة نهائية وهي ان المنطقة العربية يحق لها أن تنزع إلى الاستقلال السياسي وإلى التعبير عن اراداتها السياسية المستقلة في نوع من الكيان السياسي الموحد ، موحد بشكل أو بآخر ، بمعنى انه في فترة عبد الناصر كان يوجد احساس بأن هناك شيئاً من المركزية العربية ، مع العلم انه باستثناء الثلاث سنوات والنصف التي توحدت خلالها مصر وسوريا لم يكن هناك أي وضع دستوري يجسد أي مركزية سياسية عربية ، وهنا احدى مزايا المرحلة الناصرية ، انها استطاعت حتى أن تعبر عن روح الوحدة العربية استباقاً للأشكال الدستورية ، فالعالم كله ، بغربه وشرقه ، كان يتوجه إلى عبد الناصر كزعيم الأمة العربية مع أن هذه الزعامة لم تكن مكرسة في أشكال دستورية ، وهذه خلاصة المساهمة التي قدمتها ، لأنه حتى الغرب الذي يريد أن يتعامى أحياناً ويقول هذه المنطقة لا تستطيع أن تتوحد ، وحتى بعض الشرائح العليا من المجتمعات العربية ومن الطبقات الحاكمة أيضاً تبني نظرياتها وتوجهاتها وسياساتها على هذا الأساس ، أثبتت التجربة الناصرية ان كل هذا التوجه وهم سواء في الغرب أو لدى بعض الدوائر العربية الحاكمة ، هذا هو المعنى الكبير برأيي للناصرية ، وأظن هذا كان واضحاً في جميع الأوراق التي قدمت في جميع المناقشات ، لا خلاف على هذه الفكرة أبداً .

ـ مصطفى : واضح انه في أوروبا الغربية اليوم يزداد اهتمام هذه الدول أو صحافتها على الأقل بالاتجاهات الاسلامية في العالم العربي بشكل عام أو العالم الاسلامي ، وسؤالي هو ان العالم العربي أو الاسلامي يشهد اليوم تطوراً للاتجاهات الدينية على مختلف مشاربها ، وما أود أن أعرفه هل يمكن للامتداد الناصري اليوم أن يستوعب هذه الاتجاهات في اطار من العلمانية التي تسمح بتطوير السمات الخاصة في هذا العالم العربي الاسلامي ؟ .

ـ د. اسماعيل صبري عبدالله : لو أذن الأخ مصطفى لبعض التصحيح ، أولا : التوحد الكامل بين العرب والاسلام غير حقيقي . فالعرب لا يمثلون أكثر من ١٥٪ من مسلمي العالم . نحن ١٠٠ مليون عربي في مقابل ٨٠٠ مليون مسلم في العالم . ثانياً : ان العرب ليسوا كلهم مسلمين وان من بينهم نسبة ١٢٪ من المسيحيين . وفي الواقع ما يشغل الغرب في الظاهرة الاسلامية هي ارتباطها بحركة الشعوب العربية . لأن مجال المواجهة الأساسي كان يتم دائماً ما بين شمال البحر الأبيض وجنوبه ، وهذا في التاريخ الطويل كله ، وان البلدان العربية باستثناء الجزائر كانت آخر البلاد التي تقع في يد الاستعمار ، بعضها لم يكن محتلاً اطلاقاً مثل السعودية ، وكانت من أولى الدول التي حصلت على استقلالها السياسي ، فالعرب طول عمرهم مشكلة للغرب ،

زيادة على هذا الوضع ، وجود البترول والنتائج المترتبة عليه ، فهذه قضية تشغل الغرب تقليدياً ويجب أن نعرف ان كل النعرات الواعية وغير الواعية بما فيها النعرة الصليبية الناتجة عن الحروب الصليبية ، تظهر في المسلك اليومي للغرب ازاء العروبة والاسلام معاً . ثالثاً : تعبير العلمانية لا معنى له في الاسلام لأن العلمانية نشأت في أوروبا بمواجهة الكنيسة ، في الاسلام لا يوجد كنيسة ولا يوجد رهبنة ولا يوجد قساوسة ولا توجد سلطة دينية ، وبالتالي مفهوم العلمانية غير وارد ، يجب أن نبحث عن تعبير آخر ، في معالجتنا للواقع العربي الاسلامي ، وهذا مظهر من مظاهر تحررنا الفكري ازاء الأنماط الفكرية التي نشأت في المجتمع الغربي والتي ليست قابلة للتعميم عندنا ، نحن عندنا في البلاد العربية والاسلامية الصراع الحقيقي الموجود هو ما بين الاتجاه السلفي وما بين الاتجاه التجديدي في الاسلام ، وهذه ظاهرة ليست وليدة اليوم ، والغرب دائماً يتنبه حين تصيب رأسه ضربة قوية كالضربة الايرانية فتكتشف فجأة الاسلام . الاسلام طول عمره موجود ، الاسلام كان روحاً ملهمة للمجاهدين في الجزائر ، الاسلام لعب الدور الأساسي في حركة مقاومة الاستعمار منذ القدم . ظهور الاتجاه التجددي في الاسلام ليس حديثاً ويرجع ، على الأقل ، لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أي منذ أكثر من مئة عام . فحركة الاحياء الاسلامي وتجديد الاسلام وتخليصه من الشوائب التي تراكمت خلال عصور تدهور وعصور عدم ازدهار مرت بها الدول الاسلامية اتجاه أصيل وموجود .

وأخيراً : أياً كان موقف الفرد منا ، من التدين كعلاقة بين الفرد والخالق ، كل عربي يجب أن يسلم بأن الاسلام مقوم رئيسي من مقومات القومية العربية ، لا يمكن تصور القومية العربية بدون البعد الإسلامي حتى بالنسبة للمسيحيين العرب ، وليس صدفة ان ميشال عفلق المسيحي ألف كتاباً اسمه «محمد النبي العربي» ، لأن هذا التراث تراث مشترك ، وبالتالي الدعوة للعلمانية عندنا غير واردة ، وإنما الدعوة الواردة هي الدعوة للتجدد الاسلامي والتمسك بروح التسامح الاسلامي الأصيل ، وأذكر في هذا الصدد ، ان الاسلام كان أول دين يعترف بالأديان السابقة له بحق الوجود وحق ممارسة الشعائر في ظل الدولة الاسلامية ، وهذا تم من ١٤ قرن مضى ، يعني تعتبره أوروبا كسباً ضخماً لحضارتها انها عملت التسامح الديني ، هذا التسامح أوجده الاسلام منذ ١٤ قرناً بالضبط ، ولم ينشأ حروب صليبية ولم يجبر مسيحي على تغيير دينه في ظل الاسلام اطلاقاً ، بالعكس كان له حق الاحتفاظ بدينه ، وكنا نتعلم من دروس الشريعة انه حتى من علامات احترام حقوق المسيحيين واليهود ان من حقهم أن يصنعوا الخمر وأن يتاجروا فيها رغم انها محظورة على المسلمين ، وكان المسيحيون في ظل الخلافة ، وفي ظل الدولة الاسلامية ، ينتجون الخمر ، ويستهلكونها ، وكان علماء أهل الفقه في الاسلام يدرسون في الشريعة ان الخمر لدى المسلم ليست مالاً ، فلو أراقها مسلم أو سرقها لما وجب عليه الحد ولا التضميم ، أما الخمر في يد الذمي فهي مال مقوم فإذا سرقها مسلم وجب عليه الحد ، وإذا أراقها وجب عليه التضميم ، أي التعويض ، وكان من نتائج هذا ان المسلمين الذين لا يحرصون على الممارسة الدينية وجدوا منفذاً لأنفسهم عبر شرب الخمرة من عند المسيحيين ، وهذا ما خلف لنا باب الخمريات في الشعر العربي كاملاً . (ضحك وتصفيق) .

ـ عبد السلام مبارك : عودة إلى النظام العالمي الجديد ، في الحقيقة الملاحظة للدكتور اسماعيل صبري عبدالله هو انه وضع عدة دوائر باهتمام شديد ، وهي الدائرة العربية ودائرة التعامل مع الدول الرأسمالية العالية التطور ، على أساس ان سياسات وممارسات عبد الناصر في مواجهة الدول الرأسمالية العالية التطور ساهم في هز وزعزعة النظام العالمي القائم ، بمعنى النظام الذي تسيطر عليه الرأسمالية العالمية ، لكن الحقيقة كنت أرغب ، إلى جانب اهتمام الدكتور اسماعيل الجاد بهذه الدوائر ، اضافة دائرة أخرى في سياسات وممارسات عبد الناصر ساهمت فعلا في زعزعة النظام العالمي القائم ومحاولة ايجاد شروط جديدة للتعامل بين الدول المتحررة أو بلدان العالم الثالث والدول الرأسمالية . هذه الدائرة هي دائرة علاقات وممارسات مصر مع الدول الاشتراكية ، هذا الموضوع كان يحتاج إلى احاطة أوسع قليلاً ، وتخص الإضافة في أن العلاقات السياسية والعسكرية ، اضافة إلى المعاملات الاقتصادية والمبادلات التجارية التي حققتها سياسة عبد الناصر ونفذتها سلطة عبد الناصر مع الدول الاشتراكية ساهمت فعلا ، وليس لمصر والدول العربية فقط ، بل ساهمت فعلا في زعزعة النظام الرأسمالي القديم وفي وضع شروط جديدة بين العالم الثالث والدول الرأسمالية الكبيرة ، ولكي لا أطيل سأضرب أمثلة قليلة جداً مثلاً : احتكار السلاح في جانب ، أمثلة اقتصادية : القروض التي حصل عليها عبد الناصر من البلدان الاشتراكية والطويلة المدى وبشروط معقولة جداً حيث بسببها اضطرت الرأسمالية أن تعيد النظر وأن تتعامل بطريقة أخرى ، وحصلت دول أخرى من العالم الثالث من الدول الاستعمارية على شروط أفضل . . الخ . لهذا أرى ان علاقات عبد الناصر السياسية والاقتصادية ، الاستراتيجية والتكتيكية ساهمت فعلاً في زعزعة النظام القديم ، وساهمت وتساهم بالتدريج في خلق أسس جديدة في النظام العالمي الجديد ، وهذه تحتاج إلى اهتمام .

ـ د. اسماعيل صبري : موضوع الحديث كان البعد الحضاري وليس مجمل السياسة الناصرية ، كنت أتفادى التكرار مع من سبقوني من الزملاء ، وفي الواقع حينما تكلم عن دور عبد الناصر إزاء الاستعمار ، فالأخ العزيز خالد تحدث عن هذا الدور في تصفية الظاهرة الاستعمارية القديمة وبالنسبة للعلاقات مع الدول الاشتراكية هي بدأت من قضية محددة ، وهو أن العدو هو الامبريالية ، وبالتالي فكل من يحارب الامبريالية ويقف ضدها بينهم حلف موضوعي سواء عبر هذا الحلف عن نفسه أو لم يعبر ، وان في حالة مصر ، هذا الحلف عبر عن نفسه سياسياً واقتصادياً وعسكرياً كما ذكرت . ولكن في تفكير عبد الناصر ان مجرد وجود الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى كسب كبير جداً لشعوب العالم الثالث ، حتى لو لم يقم الاتحاد السوفياتي بتقديم مساعدة مباشرة لهذه الدول ، وأوضح دليل على هذا ، انه إذ كنا اليوم نقول في حرب عراقية ـ ايرانية والدولتان العظميان على الحياد . فالحياد الأميركي مفروض بموقف الاتحاد السوفياتي ، لأنه لو تدخلت أميركا لتدخل الاتحاد السوفياتي ، مما يفرض عليها الحياد ، النقطتان واردتان لكن سبقني الزملاء إلى الكلام فيهما ، وكانت صلتهما بالجانب الحضاري الذي هو أساس ورقتي صلة محدودة ، لأن هذه العلاقات مع الاتحاد السوفياتي وغيره من الدول الاشتراكية ، لم يكن لها مساس باختيارات عبد

الناصر الداخلية ، يعني عبد الناصر لم يختر الاشتراكية لأن له علاقات مع البلدان الاشتراكية ، وإنما اختارها من واقع الممارسة السياسية وانطلاقاً من الخط البادىء من الوطنية ، مقاومة الاستعمار ، الاستقلال السياسي الذي لا يستكمل إلا بالاستقلال الاقتصادي ، والاثنان لا يمكن استقامتهما إلا على أساس من عدالة توزيع الثروة والدخل ، فالاختيار الاشتراكي كان اختياراً داخلياً أصيلاً ، وكان يؤكد هذا المعنى حرص عبد الناصر على تعبير التطبيق الاشتراكي ، لهذا أنا أشرت في الورقة إلى أن النظام العالمي حصل فيه ثغرة أساسية في ظهور الاتحاد السوفياتي ومجموعة الدول الاشتراكية وأنا لم أشر إليها إلا في الكلمة المكتوبة كاشارة عابرة لأن آثارها الحضارية محدودة .

ـ س : كلنا يعرف ما آلت إليه تجربة الاتحاد الاشتراكي العربي في حياة عبد الناصر كتجربة لتنظيم الجماهير وكتعبئة للقوى العاملة وسيطرة البيروقراطية عليه وعلى كل أجهزته مما عطل إلى حد ما حركته وتفتت القوى الناصرية بعد موت عبد الناصر أكبر دليل على ضعف هذا التنظيم . السؤال ما هو التصور الحالي لدى الفكر الناصري للتنظيم الجماهيري عام ١٩٨٠ ؟.

ـ خالد محي الدين ـ مدير الندوة : السؤال خارج عن موضوع الندوة لأننا لسنا بصدد تقييم التجربة الناصرية من جميع جوانبها ، الندوة مقتصرة على الناصرية والنظام العالمي الجديد وينبغي أن تصب الأسئلة في هذا الاتجاه ، ويمكن للأخ إذا أراد أن يعرف تصورات الناصريين لتنظيم الجماهير وحركتها ، لكن ليس مكان السؤال في هذه الندوة أو هذا الوقت .

قضية الاتحاد الاشتراكي وتقييمه كتجربة يحتاج لندوة كبيرة ، وما هو المنهج الذي تراه الحركة الجماهيرية الناصرية للعمل التنظيمي هذه قضية في كل قطر عربي ولا تقتصر على مصر ، وهذا سؤال ، لأنه في الأقطار العربية تقوم أحزاب ، وفي مصر جزء كبير من الحركة الناصرية موجود في حزب التجمع وجزء خارجه ، أي يوجد انقسام ، فهذه قضية تحتاج إلى وقت أطول للدراسة ، وأظن لا يستطيع أن يرد عليه لا د. اسماعيل ولا أنا ، ولقد سألت الزملاء فقالوا بصعوبة الرد على السؤال .

كلمة وحيدة فقط . . الاتحاد الاشتراكي شكل ومحتوى . المحتوى الأساسي في اعتقادي ما زال قائماً هو فكرة تحالف الشعب العامل . الشكل الذي يأخذه هذا التحالف لا بد أن يختلف بالضرورة من قطر عربي إلى قطر آخر ، ويمكن من ظرف تاريخي إلى ظرف آخر على حسب التصور ، لكن فكرة أن كل القوى التي لها مصلحة في التغيير الاجتماعي ومعاداة الاستعمار تتحالف فكرة أساسية وجوهرية وستظل صالحة .

القسم الثالث :

١ - نصوص :

- رؤية عبد الناصر لطريق الانتقال إلى الاشتراكية ، د. فؤاد مرسي .
- الناصرية والنظام الاقتصادي العالمي الجديد ، د. حسام عيسى .

٢ - مناقشات .

الجلسة الثالثة صباح ١ أكتوبر / تشرين أول ١٩٨٠

رؤية عبد الناصر
لطريق الانتقال إلى الاشتراكية

بقلم : الدكتور فؤاد مرسي

مقـدمـــة

هناك حقيقة تاريخية لا شك فيها . فلقد تسارعت خطى العملية الثورية في الوطن العربي في أعقاب انتصار ثورة يوليو / تموز ١٩٥٢ ، وبصفة خاصة بعد احباط العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

وسرعان ما انتقلت الثورة العربية في مجملها إلى مواقع أرقى . انتقلت من مواقعها الوطنية التقليدية إلى مواقع وطنية أكثر تقدماً ، مواقع تجمع بين تصفية الاستعمار والعداء لرأس المال . ولا شك ان دور جمال عبد الناصر في هذه العملية كان حاسماً .

طرح قضية الاشتراكية

كان من خلال المعارك الوطنية لكسب الاستقلال السياسي والمحافظة عليه ان تفتحت رؤ ية عبد الناصر للثورة العربية كثورة مستمرة تمتد آفاقها حتى الاشتراكية . لقد تطلع فيما بعد القضاء على الاحتلال البريطاني ، إلى أن يكون للاستقلال مضمون اجتماعي . ومن ثم كان لا بد أن يتصدى لقضية تصفية الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومجموع العلاقات الاقتصادية الخارجية التي تقيم قاعدة منيعة للتبعية الاقتصادية . وهكذا برزت للمقدمة ، من خلال معارك الاستقلال السياسي مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة . وفي مواجهة التخلف العتيق بدت حتمية التنمية الحديثة التي ينبغي أن تفرق بين البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي لها . فقد كان من الضروري بناء اقتصاد وطني يكون لكل مواطن نصيب عادل فيه بحيث يكون من شأنه العمل على تقليل حدة الفوارق بين الناس . كان لا بد من اقتران التنمية بعدالة التوزيع . ومن ثم كان من الخطر أن تقود الرأسمالية هذه التنمية الشاملة .

وفي مواجهة المحاولات المستميتة في الداخل والخارج لدفع مصر إلى طريق التنمية الرأسمالية وجذبها إلى السوق الرأسمالية العلمية ، تصاعد الحاح عبد الناصر على حقيقة التناقض

الرئيسي الذي لا يقبل المصالحة بين المصالح القومية للشعوب العربية وبين المصالح الاستغلالية للاحتكارات الامبريالية ، التي تعتمد بدورها على قوى الردع والقمع المحلية الممثلة في اسرائيل الصهيونية والرجعية العربية ، وبفضل هذه الحقيقة الكبرى وبعد سلسلة من التجارب والأخطاء ، استطاع عبد الناصر أن يستكشف معالم الطريق إلى الاشتراكية . ففي البلدان العربية ، كما هو الحال في أغلب بلدان العالم الثالث ، يتم الانتقال إلى الاشتراكية من خلال معارك التحرر الوطني والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي ، وكل ذلك في صراع ثابت ضد الامبريالية العالمية وعلى رأسها الامبريالية الأمريكية . وبصفة خاصة فإن كل تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية ، أي جديرة بهذا الاسم بحيث تصبح ولا رجعة فيها ، لا يمكن أن تجري إلا بالتناقض المتصاعد مع النظام الرأسمالي العالمي ـ مع الرأسمالية العالمية ومع الرأسمالية المحلية على السواء .

في منتصف الخمسينات ، فيما بعد تصفية العدوان الثلاثي ، طرحت قضية طريق التطور على بساط البحث ، في ظل ظروف عالمية كانت تشهد اضمحلال نفوذ انجلترا وفرنسا كقوتين امبرياليتين واستمرار الامبريالية الأمريكية في الصعود ، وقوة جاذبية الاشتراكية متمثلة في نجاح الاتحاد السوفيتي الذي قطع المسافة من بلد متخلف وتابع إلى قوة صناعية عالمية في فترة قصيرة ، ومتمثلة أيضاً في نجاح ثورة الصين في اخراج ربع البشرية من رقعة التخلف والتبعية . ومع اضطراد نجاحات حركة التحرر الوطني العربي في سوريا ثم في العراق وبعدهما في الجزائر ، ومع قيام الوحدة المصرية السورية ، تهيأت ظروف أفضل للبت في طبيعة طريق التطور المقبل . وفي نهاية الخمسينات ، كان من الواضح ، انه لا بد من الدور الحاسم للدولة في تعبئة الموارد الاقتصادية وتطوير الفروع الرئيسية للاقتصاد الوطني ، وتخطيط أو على الأقل برمجة التنمية الاقتصادية وضمان التنمية الصناعية المتناسقة .

وهكذا ، وفي بداية الستينات ، كانت قد تحددت آفاق التطور المطلوب . ففي مواجهة مخاطر التنمية الرأسمالية التي جربتها البلاد ، وهي مخاطر تتمثل في قيام هياكل اقتصادية جديدة هي هياكل اقتصاديه واجتماعية مشوهة ، تتخذ شكل تنمية جانبية أي لجانب من جوانب الاقتصاد ، تنمية هامشية أي لجانب ليس هو الجانب الأساسي الذي يظل بلا استثمارات وبالتالي بلا تنمية ، تنمية باهظة التكلفة الاجتماعية إذ تزيد من حدة الفوارق الاجتماعية ، انحاز عبد الناصر للمثل الأعلى الاشتراكي . ودعا للقيام باصلاحات ثورية ، تتيح تصفية الطبقات الاستغلالية والاستجابة لمطالب الطبقات الشعبية ، لقوى الشعب العاملة . ومن ثم وضع معالم التطور الاقتصادي والاجتماعي الشامل على أساس سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والدور القيادي للقطاع العام ، والتخطيط الشامل المضطرد ، والتعاون لتطوير الانتاج الصغير ، وعدالة التوزيع للدخل القومي ، كما قرر نقل السلطة السياسية إلى قوى الشعب العاملة . وفي مجال السياسة الخارجية ، كان لا بد من السعي للقضاء على الاستغلال الدولي للامبريالية ، وتطوير التعاون مع بلدان العالم الثالث ، ودعم العلاقات الاقتصادية وتغذية روابط مصر بكل اقتصاد اشتراكي ، ومن ثم أعلنت الاشتراكية العلمية منهاجاً للعمل الثوري .

مع تأميمات يوليو / تموز ١٩٦١ التي وجدت صيغتها النظرية في الميثاق الوطني عام ١٩٦٢ ، أصبح طريق التطور يبدأ من رفض الرأسمالية وينتهي بالاشتراكية . فلقد تبنى عبد الناصر طريق التحولات الاشتراكية ، أو ما سمي بطريق التطور اللارأسمالي . ويتمثل جوهر العملية الموضوعية التي يجريها مثل هذا التطور اللارأسمالي في قطع الطريق على النمو الرأسمالي غير المحدود إلا بحدود رأس المال نفسه . انه يوقف عملية تركز وتمركز رأس المال . وهي العملية التي تعتبر أساس التطور الرأسمالي كله . ويتم ذلك كله من خلال القيام باصلاحات ثورية ، تتمثل في تحولات وطنية وديمقراطية معادية للامبريالية وبقايا وأشباه الاقطاع والاحتكارات ، والاعداد المباشر لظروف تطور هذه المرحلة الوطنية الديمقراطية من الثورة إلى المرحلة الاشتراكية .

فالبلدان العربية سواء سميت نامية أو متخلفة ، هي جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الرأسمالي العالمي . لكن هناك عوامل تدفعها إلى معارضة الرأسمالية كنظام للتطور ، ومن ثم تدفعها إلى الابتعاد التدريجي عن طريق الرأسمالية . ويتم هذا الابتعاد التدريجي من خلال تقييد واقصاء العناصر الرأسمالية في الاقتصاد الوطني . ولا يكون مثل هذا العمل انفصالا تاماً عن الاقتصاد الرأسمالي العالمي وعن قوانينه الموضوعية ، ولا حتى عن الوضع غير المتكافىء الذي توجد فيه البلدان العربية بداخله . لكنه يكون زعزعة لعمل الأوضاع التي ربطت بشكل عام هذه البلدان العربية إلى النظام الرأسمالي العالمي والتي تفتح أمامها آفاق التطور الرأسمالي فقط . كل ما هنالك انه مع اضطراد التحولات الاقتصادية والاجتماعية المعادية للرأسمالية ، يتم نظرياً وعملياً رفض الطريق الرأسمالي للتطور .

وبينما يجري التطور في ظل الطريق الرأسمالي بأسلوب عفوي ، أي طبقاً للقوانين الرأسمالية الموضوعية المعروفة ، يحتاج التطور في ظل الطريق اللارأسمالي إلى الاختيار الواعي والقيادة العلمية . وبغير ذلك ، فإنه لا مفر من أن تستمر عناصر الرأسمالية في النمو ، ولهذا فإن الدولة هي القوة الوحيدة المؤهلة لتأمين القيادة الفعالة لعملية التطور الاجتماعي والاقتصادي الواعية . ففي البلدان المتخلفة أو النامية ، لم تكن لعبة قوى السوق دائماً شاملة ولا كاملة . ولقد ظلت قوى السوق فيها متخلفة دائماً ، لقد خلقت بالطبع عمليات تحلل بطيئة داخل الاقتصاد الوطني ، لكن ظل الاقتصاد الطبيعي والاقتصاد الصغير يسودان . وليس من شأنها سيادة قوى السوق .

وتتصدى لقيادة الدولة في مثل هذه الظروف عناصر ثورية تنحدر من أصول طبقية تنتمي للفئات الوسطى وشبه البرولتارية ، تعكس مصالح هذه القوى الثورية ذات المصلحة في النضال ضد الامبريالية وفي الاصلاحات الاجتماعية . ان الفئات البورجوازية الصغيرة وفي مقدمتها الفلاحون ، تدخل حلبة النضال الثوري من أجل مطالبها الملحة وحتماً فانها تحمل معها إلى مجمل الحركة الثورية فكرة ثورية ذات طابع وطني وديمقراطي وتقدمي ، غير انها لا تخلو من أوهام وتخيلات رجعية ونواقص وتطلعات . ومع ذلك ، فانها موضوعياً تتصدى لرأس المال . تهاجمه وتفضحه وتشل قدراته على التضليل . وكل هذا يقود موضوعياً إلى أن يصبح الفلاح ، والعامل ،

والفقير ، وشبه البروليتاري ، وهو الشخصية الغالبة سواء في القرية أو في المدينة ، معادياً تلقائياً وبشكل طبيعي للرأسمالية .

من أجل أن يحدث ذلك كله ، لا بد من توافر مجموعة متكاملة من الظروف أو الشروط المواتية سواء على الصعيد الاقتصادي أو الصعيد السياسي . فعلى الصعيد الاقتصادي ، يفترض طريق الانتقال تصفية الاستغلال الاستعماري تصفية تامة ، والقيام باصلاح زراعي يتكفل بالغاء العلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة في الزراعة وتأمين الفلاحين الفقراء والمعدمين واطلاق شرارة التعاون لتطوير الانتاج الصغير في الريف ، واقامة قطاع للدولة يكون مسئولا عن قيادة عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، والتصدي من ثم للنهوض بالمستويين المادي والروحي لمعيشة أوسع الجماهير .

ان جوهر النضال الطبقي على الصعيد الاقتصادي يتلخص في نهاية المطاف في الصراع بين اتجاهين للتطور احداهما رأسمالي والآخر لا رأسمالي ، فالخصائص الجذرية للبلدان النامية أو المتخلفة لا تشكل فيها في البداية حركات اشتراكية . وعلى الرغم من حصر حرية النمو الرأسمالي والتضييق المضطرد على الرأسمالية لحساب القوى العاملة ، وعلى الرغم من ازدياد الطابع الجذري للاصلاح الزراعي ، بفضل نضال الفلاحين ، فإنه لا يوجد أي مبرر لابعاد القطاع الخاص في المراحل الأولى من الاستقلال الوطني عن المشاركة النشطة والفعالة في التنمية الاقتصادية . فلم تنضج بعد للقيام بمحاولة اقصائه لا المقومات المادية ولا المقومات الاجتماعية . وليست هناك ضرورة تاريخية ولا اقتصادية لذلك .

أما على الصعيد السياسي ، فإن الطريق الانتقالي إلى الاشتراكية يفترض عدداً من الشروط البالغة الأهمية . انها تكمن أساساً في وضع السلطة في الدولة بأيدي تحالف متعدد الطبقات يضم الأقسام التقدمية من البورجوازية الوطنية ، والفلاحين وصغار المنتجين والطبقة العاملة . ولما كانت الظروف المادية لم تنضج بعد لقيادة الطبقة العاملة ، فإنه غالباً ما تقع قيادة الدولة بأيدي البورجوازية الصغيرة وبخاصة عناصرها الأكثر تقدماً .

من هنا كانت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة صيغة نضالية لاستمرار الثورة أكثر منها صيغة واقعية لقيادة الدولة . لكنها طرحت بذلك امكانية التحول السلمي إلى الاشتراكية بشرط الديمقراطية . ان التطورات الاقتصادية والاجتماعية الثورية هي التي ترسي الأساس الموضوعي للديمقراطية السياسية . ويبقى بالتالي أن تتحول هذه الديمقراطية الكامنة إلى ديمقراطية فعالة بأيدي الجماهير الثورية والمنظمة سياسياً واقتصادياً وثقافياً في أحزاب ونقابات واتحادات وجمعيات .

من هنا كانت الأرضية السياسية بالغة الأهمية . وكان من الضروري اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتصفية قوى الثورة المضادة بلا انقطاع ، ولجم القوى الرأسمالية النامية ، وتعبئة القوى الثورية والثقة في قدراتها غير المحدودة . وكان معنى ذلك :

أ) حرمان الرأسمالية الكبيرة من السلطة السياسية .

ب) الاضعاف المستمر للعناصر الرأسمالية النامية .
جـ) اطلاق حرية العمل السياسي أمام قوى الثورة .

ومن وراء هذا كله ، كان لا بد من اللقاء مع قوى الاشتراكية العالمية . ففي الصراع المتنوع الأشكال والمتعدد الميادين ضد الامبريالية العالمية ، يستطيع العرب أن يجدوا إلى جانبهم ، وفي نفس المعركة ، ولأول مرة في التاريخ الحديث قوة عالمية جبارة تشارك الدول النامية والمتخلفة نضالها لتصفية الامبريالية العالمية ولهذا فإن الامكانية المتاحة للبلدان العربية ، والمتمثلة في الطريق الانتقالي إلى الاشتراكية ، لم تر النور إلا في اطار عدم انفراد الامبريالية بالعالم ، وفي ظل قيام مجموعة عالمية تناضل هي الأخرى من أجل الاشتراكية . ان هذا الطريق الانتقالي إنما يصبح واقعاً فعالا بفضل الدعم الذي يكون بوسع النظام الاشتراكي العالمي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، ان يقدمه للبلدان المتحررة . والميزة الكبرى لمثل هذا الدعم انه يصدر عن نسيج اشتراكي يخلو عادة من الاستغلال والتبادل غير المتكافىء .

الطبيعة الانتقالية للطريق الانتقالي

لا شك في أن الثورة الوطنية الديمقراطية الراهنة ليست هي الثورة البورجوازية المألوفة فالثورة تقودها الفئات الوسطى بالاعتماد على الشعب العامل . لكن لا شك أيضاً في ان هذه الثورة ليست هي بعد الثورة الاشتراكية تحت قيادة الطبقة العاملة . ان طريق التطور اللارأسمالي ليس هو الاشتراكية بعد ، وان نجاح السير إلى الاشتراكية على هذا الطريق ليس مضموناً تماماً ، بل ان هذا الطريق لا يستبعد العودة إلى الرأسمالية . وهنا تشكل قضية السلطة وطبيعتها الطبقية أهم قضية تواجهها الثورة عندئذ .

إنه شكل جديد للسير نحو الاشتراكية ، بدون القيادة المباشرة للطبقة العاملة وهذا الشكل الجديد ليس بالطبع مدعواً لأعداد التربة لنمو الرأسمالية الوطنية مما يزيد من خطر الاستعمار الجديد ، لكنه ليس مدعواً أيضاً لتعزيز امتيازات شريحة صغيرة من الاستغلاليين المحليين المرتبطين بالاحتكارات الخارجية .

ففي مواجهة الاختيار بين الرأسمالية والاشتراكية ، يرفض هذا الطريق المتاح أن يختار الرأسمالية بالقطع . لكنه يولي وجهه شطر الاشتراكية ، بأمل بناء مجتمع إشتراكي في المستقبل. ولسوف يستمر لذلك عشرات السنين ، في صورة مرحلة أو مراحل انتقالية جديدة ، مشحونة بالصراع السياسي الحاد ، من أجل انجاز مهمته وهي ارساء القاعدة المادية والروحية للانتقال إلى الاشتراكية ، بالاستناد إلى الملكية العامة في قطاع الدولة والملكية التعاونية في قطاع التعاون الانتاجي .

مهمة هذا الطريق الواضحة هي الحيلولة دون انتصار الرأسمالية في النهاية . إنه لا يلغي الرأسمالية ، لا يلغي العلاقات الرأسمالية ، بل يكتفي فحسب بتصفية الملكية الكبيرة لرأس

المال . ويبقى على الرأسمالية الوطنية التي لا تقف عقبة في طريق التحولات الاجتماعية الجذرية . وبتصفية رأس المال الكبير في الاقتصاد الوطني ، إلا في بعض قطاعات التجارة الداخلية والمقاولات يصبح مسموحاً لرأس المال بالوجود والنمو والعمل في الحدود التالية :

أ) أن يوجد في اطار الرأسمالية الوطنية ، وفي كافة مجالاتها النوعية المقررة قانوناً .

ب) أن ينمو في اطار الرأسمالية الوطنية ، أي كرأسمالية صغيرة أو متوسطة ، لا تنمو إلى رأسمالية كبيرة .

جـ) أن يعمل في اطار الاقتصاد الوطني ، في الداخل والخارج ، من غير التداخل العضوي مع رأس المال العالمي .

ومعنى هذا كله ان عملية وقف النمو الرأسمالي تفترض منع رأس المال من التطور بحرية إلى أقصى مداه ، ومن ثم فلا بد من الاهتمام الدائم بما يجري داخل المجتمع من عمليات تمايز طبقي والحذر من الاتجاهات الرأسمالية وشبه الاقطاعية التي تتستر وراء العلاقات الأبوية والقبلية . وينبغي الانتباه إلى الصراع الحاد الذي يتخذ صورة محاولة اقامة علاقات انتاجية جديدة هي علاقات انتقالية من أرضية ما زالت رأسمالية في وجه المحاولات المضادة للحيلولة دون اقامة هذه العلاقات وتغليب العلاقات التقليدية . وهو صراع لا يمكن أبداً أن يحسم بمعزل عن الحركة المنظمة لأوسع الجماهير الشعبية ، وبخاصة العمال والفلاحين .

ولهذا قلنا ان الطريق إلى الاشتراكية ، طريق انتقالي ، وله طبيعة انتقالية . فليس محتوماً أن يبدأ ، وليس محتوماً إذا بدأ أن ينجز ـ ولكنه امكانية مطروحة ، تتوقف على مجموعة متكاملة من الظروف والشروط المواتية ـ الموضوعية والذاتية بهدف خلق المقومات اللازمة للانتقال اللاحق أي بناء الاشتراكية . وإلا فإنه يؤدي إلى عودة الرأسمالية لا محالة ولو من سم الخياط .

عودة الرأسمالية في السبعينات إلى مصر

بلغت رؤية جمال عبد الناصر لقضايا التطور ذروتها في منتصف الستينات ، حينما بدأت تشغله حركة الجماهير . ففيما وراء الأبنية والهياكل الاقتصادية والاجتماعية التي أعيد تشكيلها ، ومع نجاح الخطة الخمسية الأولى وتعثر البدء في الخطة الخمسية الثانية ، انشغل عبد الناصر بحتمية تنظيم الجماهير من أجل تأمين الثورة ، وطرح عندئذ قضية الحزب والحزبيين ، وقضية أولوية العمل الحزبي على العمل الحكومي . وفي خضم هذه المحاولات ، فرضت عليه حرب ١٩٦٧ ، وأتت الهزيمة العسكرية فأصابت بالجمود كل شيء .

نحن نتكلم كثيراً عما يسمى بالاستعمار الجديد ، لكنا نادراً ما نمسك بجوهره . جوهره ذاك هو الابقاء على البلدان النامية أو المتخلفة في اسار الاقتصاد الرأسمالي العالمي وتنميتها طبقاً للأسلوب الرأسمالي للانتاج . ان جوهر الاستعمار الجديد هو تشجيع التطور الرأسمالي في البلدان النامية أو المتخلفة والركون إلى المفعول التلقائي للقوانين الموضوعية للاقتصاد الرأسمالي ، فلسوف

تكمل هي المهمة في الابقاء على تبعية تلك البلدان للرأسمالية العالمية ، وذلك من خلال اللقاء الطبيعي والعضوي بين الرأسمالية الكبيرة المحلية ورأس المال العالمي . ولهذا يلح علماء ومفكرو الرأسمالية على العالم الثالث ليبقى احتياطياً قوياً لتجديد قوى الرأسمالية في العالم .

نحن ننسى أحياناً أن المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز قد انعقد في بلغراد في شهر سبتمبر / أيلول من عام ١٩٦١ ، أي بعد شهور معدودة من التأميمات الكبرى التي جرت في مصر والتي أنهت السيطرة الأجنبية وسيطرة الرأسمالية الكبيرة وبقايا الاقطاع على الاقتصاد المصري . وعندما كانت مصر على وشك الانتهاء من خطتها الخمسية الأولى للتنمية ، وبعد أن كابدت صعابها ومشاكلها وتعلمت منها دروساً قيمة ، اجتمع مؤتمر القمة الثاني لدول عدم الانحياز في شهر اكتوبر / تشرين من عام ١٩٦٤ ، ليطرح على الملأ قضية التنمية الاقتصادية في العالم الثالث ، ويلقى عندئذ بذرة الدعوة لتغير النظام الاقتصادي العالمي .

لذلك كان الهدف الرئيسي لحرب ١٩٦٧ هو هزيمة النموذج الذي طرحه عبد الناصر لتطوير البلدان النامية أو المتخلفة . وتعرضت مصر وتعرض العالم العربي ، فيما بعد حرب ١٩٦٧ لهجمة ضارية من قبل رأس المال العالمي ، بقيادة الولايات المتحدة وبادارة اسرائيل . وعندما بدأت السبعينات ، لم تكن الهزيمة العسكرية بكل ثقلها قد حققت بعد لرأس المال العالمي كل ما يريد .

كان تحطيم النموذج المصري للتنمية الشاملة يستدعي عملاً من شقين : الأول اعادة الرأسمالية إلى مصر ، وترسيخ قاعدة الرأسمالية في العالم العربي ، ولسوف يذكر تاريخ حقبة السبعينات ان ما عجزت الهزيمة العسكرية عن انجازه قد تكفلت به سياسات الانفتاح الاقتصادي في مصر وسياسات التنمية الاقتصادية في البلدان العربية النفطية ، وجرى ذلك في ظل ما يمكن أن نسميه الحقبة النفطية ، وهكذا أصبح التمويل الأساسي في تحطم النموذج المصري على فعل ومفعول كافة القوى المواتية الكامنة داخل العالم العربي .

وتسللت الرأسمالية الجديدة في مصر عبر نواقص التصميم وأخطاء التطبيق ، استخدمت المصاعب الطبيعية الناشئة عن قيام التخلف العام ومحدودية الموارد وحداثة التجربة . فلقد عمقت الاصلاحات الزراعية مثلا من التناقضات الاجتماعية وزادت من قوة تطور عناصر الرأسمالية في الريف . كما أفرز القطاع العام وجهاز الدولة عناصر الرأسمالية البيروقراطية التي ضاربت على أغلب المنجزات الاقتصادية ، وكان هذا طبيعياً ، فلم يكن التفكير في التغيير الاجتماعي مجرد رد فعل للرأسمالية في الأساس ، وإنما كان نتيجة للوعي الاجتماعي الذي شكل من خلال الحركة الوطنية المعادية للاستعمار ، من خلال اعتبارات المعركة الوطنية والتنمية الاقتصادية . ومن ثم كان لا بد أن تنحسر عن الثورة فئات وأقسام اجتماعية لم تعد تقبل بالتطور إلى الاشتراكية ، ولو بعد أجل طويل . كذلك لم يكن البدء في العمل الاجتماعي مرسوماً طبقاً لوعي مسبق مستند إلى نظرية الاشتراكية العلمية وإنما كانت الممارسة أسبق من النظرية . ومن خلال النضال العملي ومن صميم

الممارسة اليومية ، وعن طريق منهج التجربة والخطأ ، أخذ الوعي يتكامل . وكان هذا طبيعياً أيضاً ، فقد جرى التحول إلى منهج الاشتراكية العلمية والقادة الثوريون في قمة السلطة ومن ثم طغت أسبقية حركة الدولة من أعلا على حركة الجماهير من أسفل ونمت روح التخوف من حركة الجماهير .

وعندما بدأت الحقبة النفطية في السبعينات ، اتبعت الرأسمالية في استعادة سيادتها أسلوب الانقلاب البطيء ، وعندما بدأ الجو مواتياً في أعقاب حرب ١٩٧٣ ، أعلنت سياسة الانفتاح الاقتصادي ، فأتى إلى السلطة الاقتصادية والسياسية بممثلي الرأسمالية الكبيرة التي أعادت تشكيل نفسها ، من جديد ، لكنها تحتذقت في الأنشطة الاقتصادية الطفيلية وبالدعم المباشر من رأس المال العربي والعالمي نمت الرأسمالية الطفيلية بسرعة وأحكمت قبضتها على مصر ، ومثلما استعدت رأس المال العالمي وفتحت له أبواب مصر ، لم يكن غريباً عليها أن توقع اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع اسرائيل . وغدت مصر نموذجاً للتبعية من جديد . وخبا النموذج الذي كان يهدي العرب إلى طريق التقدم .

ازدياداد اندماج الاقتصاد العربي في الرأسمالية العالمية

وخاض العرب في السبعينات معارك حاسمة من أجل استكمال تحرير مواردهم الطبيعة وفي مقدمتها النفط . ، ومن أجل اعادة النظر في تقسم العمل الدولي المفروض عليهم من قبل العالم الرأسمالي ، فلم يكن بيد الشركات الوطنية للنفط حتى عام ١٩٧٠ سوى ٣٪ من مجموع النفط المستخرج في الأقطار العربية المنتمية إلى منظمة الدول المصدرة للنفط . ولذلك فإن هذه الأقطار قد عمدت بعد رفع اسعار النفط من جانبها إلى استكمال تحريره . وتدفقت عليها عوائد النفط التي كان الكل يتوقع منها الخير كله لكن الموارد المالية الضخمة المتجمعة في أيدي الأقطار العربية النفطية ، وطبقاتها الحاكمة لا تضمن بذاتها وبصورة تلقائية تقدم المجتمع العربي ، بل اكثر من ذلك فان التاريخ يعرف عددا غير قليل من الحالات التي قاد فيها مثل هذا التركيز في الثروات الى ركود اقتصادي داخلي والى نزعة اجتماعية محافظة ، والتي تحول فيها تراكم الثروات في مظهره الخارجي الى روح عدوانية .

والواقع انه عندما يتصرف المجتمع بموارد مادية ضخمة فانه يواجه مسألتين ملحتين هما : ـ

اولا ـ الاستخدام الكفء لهذه الموارد وثانياً ـ التوزيع العادل لثمراتها .

ان اغلب الموارد التي تدفقت على الدول النفطية قد استخدمت بالفعل في مشروعات ضخمة للتنمية الاقتصادية . وادى هذا الخط الطموح من التنمية الى توسع الدولة في التصدي للنشاط الاقتصادي .

غير ان هذا الخط يعتمد في الواقع على دور الشركات المتعددة الجنسية التي تستغل ببراعة حاجة الدول العربية الى التصنيع الحديث ، والتكنولوجيا المتقدمة ، والاستهلاك المتزايد .

وبينما تتدخل الدولة فعلا على مستوى القرارات الاقتصادية الكبرى ، فان القرار النهائي انما يوجد في خارج البلاد ، بايدي مراكز التقرير في الاحتكارات دولية النشـاط ، ومـن ثم قامت صناعات عربية ضعيفة الارتباط باقتصادها القطري بغض النظر عن الاقتصادي القومي . وباسم سد الفجوة التكنولوجية قامت صناعات تحويلية هامشية ، تتضمن مرحلة واحدة او مرحلتين على الأكثر من مراحل التحويل ، سواء بالاستناد إلى خامات معدنية أو زراعية محلية . أو تتضمن عملية التحويل في نهاية الحلقة لانتاج سلع استهلاكية معمرة استنادا الى قطع او اجزاء مصنوعة في الخارج . ومن ثم ازداد ارتباط الاقتصاد العربي واندماجه في الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

ان الخط الحالي للتنمية العربية عبر التكامل المتزايد مع السوق الرأسمالية من شأنه ان يظل الاقتصاد العربي في مجموعه اقتصادا تابعا ، مندمجا في الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

وهذه التبعية الجديدة ، التي ما زالت تقوم على تصدير الخامات واستيراد المصنوعات مربوطة بهيكل جديد ويحكم كل الاحكام من العلاقات بين البلدان العربية والاحتكارات الدولية .

ومع استمرار هذا الخط الخطير للتنمية ، تتراجع اهمية الزراعة ، ويزداد حجـم الفجـوة الغذائية ، ويزداد اعتماد الوطن العربي على العالم الخارجي في استهلاك الغذاء وذلك بدلا من ان تؤدي التنمية الى تطوير الزراعة التي تخلق الصناعة التي تنمي الزراعة وتقودها . وفي الوقت نفسه ينكشف الأمن النفطي للعرب ، باستنزافه وعدم الاستخدام الكفء لعوائده . فانه بالاستناد إلى بيروقراطية الدولة ، يتحول النفط العربي الى اوراق وقيود كتـابية في دفاتـر السـوق الـرأسمالية العالمية ، ويتلقى العرب الفوائد او الارباح ـ وهي دخول اقرب في طبيعتها الى الريع . واصبح للعرب في عام ١٩٧٩ استثمارات تبلغ ٤٩,٥ مليار دولار في الولايات المتحدة وحدها ، منها ٦,٦ مليار في اذون وشهادات الخزانة الاميريكية و١٢ مليار في سندات الحكومة الامريكية ، و١٥,٣ مليار ودائع في البنوك الامريكية ، و٦,٩ مليار في صورة اسهم خاصة و٢,٩ مليار في سندات خاصة ، بالاضافة الى ٣٥٤ مليون دولار في استثمارات مباشرة . والى جانب ذلك فان للعرب ودائع في الفروع الخارجية للمصارف الامريكية تبلـغ ٣٣,١ مليار دولار . واصبح بلد مثل ابو ظبي من اكبر المساهمين في شركة الطيران الامريكية (تي ، دبليو ، ايه) بل واكبر مساهم في شركة الطيران الامريكية (ايسترن اير) لا تسبقه في ذلك سوى اسرة روكفلر .

وطبيعي ان يكون من شأن الاستثمارات العربية في السوق المالية العالمية ان تضعف الحاجة لدى الدول العربية النفطية الى التكامل العربي . وامام ضخامة المصالح المتزايدة للدول العربية والمتشابكة مع الدول الصناعة ، يجنح الحكام الى تكريس اوضاع التبعية بمـا تحملـه من تجـديد للتخلف وادامـة للتجزئـة . ان وزير مالية البحـرين يعلن لمجلـة مالية امـريكية هي (The Institutuional Investor) في عددها الصادر في شهر اغسطـس/ اب من العام الحالي انه :

« لا توجد امكانية حقيقية لان ينفصل الاستثمار العربي او ان تفصل الجماعة المالية العربية نفسـها عن الولايات المتحدة والوضع المالي في بقية العالم . نحن مضطرون للاستمرار في استيراد

التكنولوجيا والسلع المصنوعة والاستمرار في الاحتفاظ بعلاقة معينة مع الدولار ، العملة الاحتياطية التي لا يمكن ان تحل محلها عملة اخرى .

ويضيف الرجل المسؤول قائلا انه « يوجد تطور ثقافي لا مفر منه حيال الغرب ، وبعد فاننا لسنا اليابانيا ، وبسبب العلاقات التاريخية والاقتصادية فان ما يحدث في اوروبا والولايات المتحدة ، وبخاصة اذا ما حدث شيء سيء للدولار ، فلسوف ينعكس علينا :

مثل هذه التصريحات غنية عن اي تعليق ، لكننا نقول ان العالم العربي وقد ازداد اندماجه في الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، مهدد ايضا بخطر التحول من اقتصاد انتاجي ـ ولو في حدود الاستخراج إلى اقتصاد ريعي تلعب فيه العوائد المالية من النفط ثم العوائد المالية من العوائد المالية النفطية ، هذا الدور الحاسم الذي يحتله النفط حاليا في حياة العرب . وعندئذ قد تتحول المزارع الحديثة والمصانع الكبرى والمطارات الواسعة والفنادق الفخمة والقصور الضخمة الى اطلال عصرية او شبه اطلال .

خاتمة

هذه الصورة القاتمة للاقطار العربية في مجموعها هي التي تكمن في خلفية الازمة التي تمر بها الثورة العربية منذ الهزيمة العسكرية في عام ١٩٦٧ حتى اليوم ، وانما نستطيع ان نقرب ساعة التغلب على هذه الازمة ، اذا ما وضعنا في الاعتبار الحقائق التالية : ـ

اولا ـ زيادة سيطرة البلدان العربية على مواردها الطبيعية ، واستحواذها على موارد مالية هائلة واقدامها على تطوير هياكلها الاقتصادية القديمة وانتقال مراكز القرار فيها الى الداخل باضطراد ، وذلك كله مبعث لوعي عربي متزايد .

ثانيا ـ فزع الرأسمالية العالمية ، منذ نهاية السبعينات ، من تطلع الدول العربية مع الدول النامية الى اعادة هيكلة علاقاتها الاقتصادية الدولية ومن ثم سعى الرأسمالية العالمية التي تفتيت وحدة البلدان العربية خوفا من قوتها الاحتمالية اذا ما توحدت كلمتها اقتصاديا او عسكريا او سياسيا .

ثالثا ـ التمييز داخل الاقطار العربية بين الحكومات ، والشعوب ، فايا تكن مواقف الحكومات ، فان الارادة السياسية القومية للشعوب العربية هي الحاسمة . وهذه الارادة واضحة تماما في الاصرار على وضع حد لعمليات الارتداد عن طريق التطور الى الاشتراكية ومهما يطل ليل الردة ، فلا بد من عودة الشعوب العربية عاجلا الى طريق التطور اللارأسمالي على صعوبة دروبه والا فان الثورة الاشتراكية سوف تدخل العالم العربي مستقبلا من اوسع ابوابه .

الناصرية والنظام الاقتصادي العالمي الجديد

د. حسام محمد عيسى

مقدمـــة :

١ـ ليس هناك من قضية شغلت انتباه رجال السياسة والاقتصاد في العالم الثالث ، كما في العالم الأول ، طوال السنوات السبع الماضية ، مثلما شغلت قضية اقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

وبغير مبالغة نستطيع القول بأن هذه القضية كانت محور اهتمام مباشر أو غير مباشر لمعظم المؤتمرات والندوات الدولية ، الحكومية وغير الحكومية ، السياسية وغير السياسية ، التي عقدت في تلك الفترة .

٢ ـ وبشكل مبسط للغاية يمكن القول بأن اقامة نظام اقتصادي دولي جديد يعني محاولة اعادة تشكيل العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة بين الدول الصناعية المتقدمة ودول العالم الثالث النامية ، بشكل يسمح بتوفير موارد أكبر لدول العالم الثالث من أجل دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها ، دفعة تمكنها من تضييق الفجوة الهائلة القائمة بينها وبين الدول الصناعية المتقدمة .

٣ ـ وبشكل أكثر تحديداً فإن النظام الاقتصادي الدولي الجديد يهدف أساساً إلى :[١]

أ ـ تغيير النمط السائد لعلاقات التجارة الدولية ، بوقف التدهور المتزايد لنسب التبادل التجاري بين الدول النامية والدول المتقدمة ، ووضع حد لتقلبات أسعار المواد الأولية التي تشكل الجزء الأكبر من صادرات الدول النامية إلى الدول المتقدمة .

---

(١) راجع من أجل مزيد من التفصيلات ، المؤلف الهام للدكتور اسماعيل صبري عبدالله : نحو نظام اقتصادي عالمي جديد ، الهيئة العامة للكتاب ، الاصدارة الثانية للطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٧١ وما بعدها .

ب ـ اقامة نظام نقدي دولي جديد يضع حداً للفوضى السائدة بعد انهيار نظام بريتون دودز ، وما ترتب عليه من ارتفاع معدلات التضخم بشكل هائل في الدول الرأسمالية المتقدمة ، ونقل هذا التضخم بآليات متعددة ومختلفة إلى دول العالم الثالث النامية .

جـ ـ ايجاد حل لمشكلة المديونية الخارجية لدول العالم الثالث ، التي تشكل عبئاً هائلاً على موارد هذه الدول ، يمنعها من المضي في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

د ـ تنظيم نشاط الشركات المتعددة الجنسيات في الدول النامية ، بوضع تقنين لسلوكها ، بشكل يضمن بقاء استثمارات هذه الشركات في اطار خطط التنمية القومية للدول المضيفة ، ويضع حداً للممارسات الحالية لهذه الشركات والتي تهدد استقلال الدول النامية .

هـ ـ وضع تنظيم جديد يسمح بنقل التكنولوجيا الحديثة إلى الدول النامية بمقابل معقول ، ويضمن انسياب المعلومات العلمية والتكنولوجية من دول العالم المتقدم إلى العالم الثالث .

٤ ـ ويلاحظ هنا ان قضية اقامة نظام اقتصادي دولي جديد قد طرحت لأول مرة في بداية السبعينات في مرحلة تفاؤل تاريخي ، تلك التي أعقبت حرب اكتوبر التحريرية الكبرى ، وانتصار الشعب الفيتنامي التاريخي على الولايات المتحدة الأمريكية ، استقلال المستعمرات البرتغالية في افريقيا ، ثورة الفلاحين في أثيوبيا ، انهيار الفاشية في أوروبا (البرتغال ، اسبانيا ، اليونان) . الأمر الذي ساعد على نشر الاعتقاد بامكانية احداث تغييرات بنيانية في علاقات الاقتصاد الرأسمالي الدولي مع البقاء في اطار هذه العلاقات نفسها .

من هنا كانت نقطة البداية لعملية تفاوض طويلة بين دول الشمال ودول الجنوب داخل وخارج اطار الأمم المتحدة وأجهزتها المتعددة ، من أجل اقرار نظام اقتصادي دولي جديد .

٥ ـ على ان ما تم تحقيقه حتى الآن في اطار هذه المفاوضات ، جاء مخيباً للآمال إلى حد بعيد . فإذا أخذنا أياً من قضايا النزاع الحالية لوجدنا ان التقدم بطيء للغاية ان لم يكن معدوماً . ومؤتمرات الأمم المتحدة المتعددة والمتنوعة ، سواء في التجارة والتقنية (نيروبي ، ومانيلا) ، أو في العلم والتكنولوجيا (فيينا ١٩٧٩) متعثرة . والتناقضات داخل مجموعة السبعة وسبعين (٧٧) (دول العالم الثالث) ليست أقل حدة من التناقضات القائمة بينها وبين دول العالم الأول .

٦ ـ ويحاول البعض تبرير هذا التعثر بأننا بصدد عملية نضالية طويلة ، لن تؤتي ثمارها إلا على المدى الطويل . على اننا نرى ان حقيقة الأمر غير ذلك تماماً . فالنظام الاقتصادي العالمي الجديد قد مات يوم دخل حلبة الأمم المتحدة ، لأنه خرج بذلك من دائرة الصراع إلى دائرة التفاوض والتوافق والاتفاق .

فالقضية ليست قضية تفاوض ، أياً كان شكل هذا التفاوض أو الاسم الذي يطلق عليه : حوار الشمال والجنوب ، الحوار العربي الأوروبي . . . الخ .

لأن أعظم ما يمكن أن يحققه الحوار الدائر الآن ، هو احداث بعض تغييرات وتعديلات

سطحية ، أو ادخال بعض الرتوش الهامشية على ما هو قائم الآن دون أن يغير في طبيعته ، أو دون أن يغير جوهره ، ألا وهو علاقات التبعية السيطرة التي تميز السوق الرأسمالي العالمي .

٧ ـ على ان هذا لا يعني رفض الحوار ابتداء ،ولكنه يعني طرح القضية بشكل مختلف تماماً ، أعني بذلك طرحها ابتداء من منطلق الحوار ، أي من أين يبدأ الحوار .

نقطة الانطلاق في العملية النضالية على المستوى العالمي ، وهنا يجيء درس الناصرية الهام ، هي المشروع السياسي القومي الداخلي ، أقول المشروع السياسي أو الحضاري ، وليس نمط النخبة الداخلية ، فالمشروع الحضاري أعم بكثير من نمط التنمية[٢] .

كان ذلك هو درس السويس العظيم (١٩٥٦) بما أحدثه من تغييرات هائلة في موازين القوة على المستوى العالمي ، حيث استقر بشكل نهائي بعده حق دول العالم الثالث في السيطرة على موارد الثروة فيها وتأميمها . هذا الحق الذي يعتبر اليوم واحداً من أهم مبادىء ما أسمي بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد .

القضية إذاً ليست قضية حوار وتوافق ، ولكنها قضية صراع على المستوى العالمي . . صراع يحسمه أولا وقبل كل شيء . . . الاختيارات الداخلية في اطار المشروع السياسي القومي المستقل .

وسوف نعود فيها بعد بالتفصيل إلى هذه النقطة .

٨ ـ في الوقت الذي يتعثر فيه الحوار حول ما اسمي بالنظام الاقتصادي العالمي الجديد ، بدأت تتحدد بالفعل على أرض الواقع ملامح نظام اقتصادي جديد يختلف تماماً عن ذلك الذي تسعى لاقامته دول العالم الثالث . نظام جديد للتبعية والسيطرة على المستوى العالمي .

ان تبيان معالم هذه التبعية الجديدة قد يساعدنا في تصور اجابة لسؤ ال هام وملح : لماذا ضربت الناصرية في عام ١٩٦٧ ؟ . هل كان الأمر صدفة ، أما ان للتوقيت هنا معنى يمكن تفسيره تاريخياً ؟ .

معالم التبعية الجديدة :

٩ ـ نستطيع القول بأن النظام الرأسمالي شهد وما زال يشهد منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين بداية مرحلة جديدة تتميز بما يمكن أن نسميه دولية الانتاج ، أو بتعبير أفضل عالمية الانتاج . إذ أصبحت العملية الانتاجية ، داخل المشروع الرأسمالي ، تتم لا على المستوى القومي

---

(٢) راجع في هذا الشأن الأعمال الرائدة لانور عبد الملك :

Egypte Société Militair: Paris ed. Senil 1962.

La dialectique Sociale: Paris ed. Sevil 1972.

Gamal 'Abdel-Naçer, on le Rêve de la Revolution arabe: Jenne Afrique, Paris 1977, PP.199-225.

ثم مقالة الهام احتجاب مصر والاطلالة على المستقبل : المستقبل العربي أغسطس ١٩٨٠ ص ٦ وما بعدها .

كما كان يحدث في الماضي ، أي داخل حدود الدولة ، وإنما على المستوى العالمي ، بحيث أصبح الاقتصاد العالمي يحل تدريجياً محل الاقتصاديات القومية المختلفة كإطار لعملية الانتاج الرأسمالي .

ولقد كانت أداة هذا التحول ووسيلته ، كما نعرف جميعاً ، هي الشركات المتعددة الجنسيات .

ولقد بدأ هذا الاتجاه على يد الشركات الأمريكية الدولية النشاط في بداية الخمسينات ، ولكن سرعان ما حذت الشركات الأوروبية حذو الشركات الأمريكية ، وتلتها الشركات اليابانية ، حيث تقوم كل من هذه الشركات اليوم بإنشاء وحدات انتاجية خارج حدود دولتها الأم ، وذلك في اطار استراتيجية انتاجية عالمية موحدة .

١٠ ـ في بداية الأمر كان اتجاه هذا النوع الجديد من الاستثمارات الدولية المباشرة فيما بين دول العالم الأول ، وبالذات من الولايات المتحدة الأمريكية إلى أوروبا . إلا انه منذ نهاية الستينات بدأت الاستثمارات الدولية المباشرة في شكلها الجديد تتجه بصورة واضحة إلى دول العالم الثالث ، ودول المعسكر الاشتراكي .

١١ ـ ولقد ترتب على ذلك تغيير هام في نمط تقسيم العمل الدولي . إذ بدأت تتحدد ملامح نمط جديد لا يلغي النمط القديم للتخصص وتقسيم العمل الدولي ، ولكن يضيف إليه ويرتكز عليه .

نحن نعرف ان التقسيم القديم للعمل الدولي كان يقوم على تخصيص دول العالم الثالث « المتخلفة » في انتاج المواد الأولية المعدة للتصدير ، بينما تخصصت الدول الرأسمالية المتطورة في انتاج السلع الصناعية .

أما اليوم فلم تعد الاستثمارات الدولية المباشرة ، التي تقوم بها الشركات المتعددة الجنسيات ، تقتصر على قطاع انتاج المواد الأولية المعدة للتصدير ، وإنما أصبحت تتجه أيضاً إلى القطاع الصناعي .

فالذي يميز الشركات المتعددة الجنسيات عن غيرها من الشركات ذات النشاط الدولي التي عرفها النظام الرأسمالي من قبل ، هو ان هذه الشركات تقوم بنقل وحدات انتاجية من الدولة الأم التابعة لها ، إلى دول أخرى مختلفة ، مع استمرار سيطرتها على هذه الوحدات وإدارتها مركزياً ، في اطار استراتيجية انتاجية عالمية موحدة.فالطابع المميز للشركات المتعددة الجنسيات هي انها تدول العملية الانتاجية ، بمعنى ان المراحل المختلفة للعملية الانتاجية لم تعد تتم ، كما كان الحال في الماضي ، على المستوى القومي ، ولكن على المستوى العالمي ، بما يترتب على ذلك من تدويل عناصر الانتاج داخل المشروع الرأسمالي الواحد ، كل هذا مع استمرار خضوع العملية الانتاجية لسيطرة مركزية موحدة ، تمارسها القلة الرأسمالية المتحكمة في هذه الشركات ، والمتمركزة في الدول الصناعية الكبرى في العالم الرأسمالي .

١٢ - ويؤدي هذا النسق الجديد للانتاج الذي أقامته الشركات المتعددة الجنسيات إلى تغيير هام في هيكل تقسيم العمل الدولي السائد منذ بداية الرأسمالية الصناعية .

فتقسيم العمل الدولي الجديد لا يرتكز كسابقه على أساس التفرقة بين نوعين مختلفين من الأنشطة الانتاجية : انتاج المواد الأولية في مقابل الانتاج الصناعي ، وإنما على أساس التفرقة بين المراحل المختلفة للعملية الانتاجية الواحدة ، بحيث تتم بعض هذه المراحل في دول معينة ، والبعض الآخر في دول أخرى مختلفة ، كل هذا بالطبع في اطار السيطرة المركزية للشركات المتعددة الجنسيات .

١٣ - ولكن على أي أساس يتم توزيع المراحل المختلفة للعملية الانتاجية على المستوى العالمي ؟

بشكل عام جداً يقوم تقسيم العمل الدولي الجديد على أساس نقل المراحل التنفيذية ، أي النهائية ، داخل المشروع المتعدد الجنسيات ، بما يرتبط بها من أعمال الادارة اليومية ، من الدولة الأم التابعة لها الشركة ، إلى مختلف دول العالم ، مع استمرار تركيز كافة سلطات الادارة العليا للمشروع داخل حدود الدولة الأم .

وتشمل هذه السلطات : تحديد الأهداف العامة للمشروع ، وضع خطط وبرامج الانتاج على المدى الطويل والمتوسط ، بما يتضمنه من تحديد السياسة المالية والاستثمارية للمشروع ، كل هذا في ضوء المعلومات التي تتجمع في المركز الرئيسي (الشركة الأم) من الوحدات الانتاجية المنتشرة في مختلف دول العالم ، والتنسيق بين هذه الوحدات والرقابة عليها . أي باختصار وضع السياسة الاستراتيجية للمشروع على النطاق العالمي .

أما توزيع المراحل الانتاجية التنفيذية على مختلف دول العالم فيتم وفقاً لاعتبارت متعددة أهمها المستوى الفني والتكنولوجي لهذه المراحل .

فإذا كانت المرحلة الانتاجية تقتضي استخدام أساليب فنية وتكنولوجية متقدمة ، فالغالب ان توطن في بلد رأسمالي متطور ، أما الوحدات الانتاجية التي تستخدم أساليب فنية متخلفة ، أو كثيفة الاستخدام لعنصر العمل فالغالب ان تنقل إلى دولة نامية .

وبديهي ان ثمة عوامل أخرى تتدخل في تحديد نمط التوزيع . فالمراحل الملوثة للبيئة تنقل إلى دول العالم الثالث حيث لا توجد في معظم الأحيان أية تنظيمات لحماية البيئة ، كذلك فإن عمليات التصنيع المبدئية للمواد الأولية تتم في الغالب حيث توجد هذه المواد . . . الخ .

١٤ - أياً كان أسلوب توزيع الوحدات الانتاجية على المستوى العالمي ، فالذي يعنينا هنا بشكل خاص هو ان كل وحدة من هذه الوحدات لا تؤدي إلا وظيفة انتاجية جزئية ومتخصصة داخل المشروع المتعدد الجنسيات ، ومن ثم فليس لها أي سيطرة على العملية الانتاجية الكلية . إذ تبقى هذه السيطرة حكراً في يد سلطة الادارة المركزية للشركة القابضة داخل حدود الدولة الأم .

وبالتالي فإن كل وحدة من هذه الوحدات الانتاجية ليس لها في غالب الأحيان من قيمة اقتصادية إلا باعتبارها جزءاً من كل متكامل ، أي باعتبارها حلقة في سلسلة متصلة على الصعيد العالمي ، يتحكم فيها رأس المال المسيطر على هذه الشركات . وهذا هو سر قوة هذا النوع من الشركات وقدرتها على السيطرة ، وعلى التخلص من الرقابة التي قد تحاول فرضها أي دولة من الدول المضيفة (أي التي تستقبل الوحدات الانتاجية) على نشاط هذه الشركات داخل حدودها .

هذا التكامل على المستوى العالمي هو الذي يشكل دون جدال أولى وأهم آليات التبعية الجديدة .

١٥ ـ ويعني هذا التكامل على المستوى العالمي ان الوحدة الانتاجية التي تنشئها الشركة المتعددة الجنسيات في الدولة المضيفة هي جزء لا يتجزأ من المشروع المتعدد الجنسيات ، اتجاهه الأساسي للخارجي ، وارتباطه بالاقتصاد القومي المحلي واه للغاية ، بحيث لا يمكن أن يكون نقطة انطلاق لعملية انتاجية متكاملة على المستوى القومي .

١٦ ـ ولظاهرة عالمية الانتاج سببان رئيسيان :

أولا : اتجاه معدل الربح إلى الانخفاض في الدول الرأسمالية المتطورة ، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ، بسبب زيادة درجة التركز الرأسمالي في المشروعات الكبرى ، وارتفاع الأجور .

إذ يترتب على ارتفاع معدل التركز الرأسمالي ان أي استثمارات اضافية في هذه المشروعات ، لغرض زيادة التصدير للأسواق الخارجية سوف تؤدي بالضرورة إلى انخفاض معدل الأرباح المتحققة .

ثانياً : اختلاف مستويات ودرجات نمو الاقتصاديات القومية ، بما يترتب عليه بالضرورة من اختلاف معدلات الأجور على المستوى العالمي . وهذا هو الذي يفسر السبب في اتجاه الاستثمارات الأمريكية المباشرة بشكل أساسي ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى بداية السبعينات ، إلى دول أوروبا الغربية حيث كان يمكنها الحصول على أيدي عاملة فنية ذات انتاجية عالية ، ولكن بأجور تقل كثيراً عن أجور العمال الأمريكيين .

وهذا هو الذي يفسر لنا سبب اتجاه الاستثمارات الدولية المباشرة اليوم إلى الدول الرأسمالية الأقل تطوراً (اسبانيا ، البرتغال ، اليونان) وإلى دول العالم الثالث ، بل وإلى دول المعسكر الاشتراكي .

١٧ ـ الشركات المتعددة الجنسيات ليست اذن ، كما يدعي بعض منظريها ، أداة لنقل المعرفة التكنولوجية والتقدم الفني والاقتصادي على المستوى العالمي . ذلك ان وجود هذه الشركات مرتبط بوجود هذا الاختلاف والتمايز في مستويات النمو والتقدم الاقتصادي والتكنولوجي بين الدول والمناطق المختلفة داخل المحيط الاقتصادي العالمي .

واستراتيجية هذه الشركات تقوم على استغلال هذا التمايز لا على الغائه ، كما يدعي بعض الاقتصاديين الغربيين .

هذه الحقيقة هامة للغاية لفضح سياسات الانفتاح الاقتصادي في العالم العربي ، إذ يدعي البعض ان مثل هذه السياسات هي الوسيلة الوحيدة للحاق بالتقدم التكنولوجي العالمي .

١٨ ـ والشركات المتعددة الجنسيات ليست أيضاً ، كما يدعي أنصار سياسات الانفتاح الاقتصادي في العالم العربي اليوم ، أداة لنقل رؤوس أموال جديدة إلى العالم الثالث ، إذ غالباً ما تعتمد هذه الشركات في تمويل استثماراتها المباشرة في هذه الدول على المدخرات المحلية . وأبلغ دليل على ذلك هو الدور الذي تلعبه فروع البنوك الأجنبية العاملة في مصر اليوم في تعبئة مدخرات المصريين العاملين بالخارج واستخدامها في تمويل نشاطاتها المختلفة ، وبشكل أساسي في تمويل عمليات التجارة الخارجية .

١٩ ـ والهدف النهائي للشركات المتعددة الجنسيات هو زيادة معدلات أرباح رأس المال المسيطر ، والمتمثل قانوناً في الشركة الأم ، ووسيلتها إلى ذلك استغلال الاختلافات القائمة في مستويات النمو والتقدم الاقتصادي والتكنولوجي بين الدول المختلفة داخل المحيط الاقتصادي العالمي .

على ان التمايز بين الدول المختلفة لا يقتصر فقط على مستويات النمو الاقتصادي والتكنولوجي ، بل ان هناك اختلافات أخرى في النظم التشريعية والضريبية ، المالية والنقدية . وتعمد الشركة المتعددة القوميات إلى استغلال هذه الاختلافات إلى أقصى حد ممكن ، وبأساليب متعددة ومتنوعة ، تحقيقاً لهدفها النهائي : زيادة أرباح الشركة الأم .

نقطة البداية في استراتيجية الشركة المتعددة الجنسيات اذن هي العمل على زيادة أرباح الشركة الأم المسيطرة ، وللوصول إلى هذا الهدف ينبغي أن تتضافر جهود كافة الشركات الوليدة (التي تقوم على ادارة الوحدات الانتاجية) المتناثرة في كافة أنحاء العالم ، دون ما اعتبار لمصالحها الذاتية أو لمصالح الدول المضيفة التي تعمل فيها هذه الشركات الوليدة . ولذلك فإن تقييم اداء كل شركة من هذه الشركات الوليدة لا يتم على أساس ما تحققه من نتائج ذاتية ، وإنما على أساس مدى مساهمتها في الوصول إلى أهداف المشروع المتعدد الجنسيات ككل . ذلك انه ليس هناك بالضرورة تطابق بين المصالح الذاتية لكل شركة من الشركات الوليدة وبين مصالح المشروع المتعدد الجنسيات ككل ، إذ قد تقتضي مصلحة المشروع الكلية ، والتي تختلط في نهاية الأمر بمصلحة الشركة الأم المسيطرة ، التضحية بمصلحة شركة وليدة أو أكثر لحساب شركة وليدة أخرى أو لحساب الشركة الأم مباشرة .

بعبارة أخرى فإن استراتيجية الشركة المتعددة الجنسيات هي استراتيجية كلية تتحدد على نطاق عالمي ، دون ما اعتبار للمصالح الجزئية للأطراف المتعددة التي تمسها هذه الاستراتيجية (الدول المضيفة . . العمال المحليين في الوحدات الانتاجية ، الدائنين المحليين ، المساهمين

المحليين في الشركات الوليدة . . . الخ .) . أما الشركات الوليدة نفسها فليست في حقيقة الأمر إلا أدوات لتحقيق وتنفيذ الاستراتيجية الكلية ، تتحكم فيها سلطة مركزية موحدة وتوجهها لخدمة غرض واحد[٣] .

٢٠ ـ وتستخدم الشركة المتعددة الجنسيات أساليب مالية ومحاسبية متعددة ومتنوعة لتحقيق هذه الاستراتيجية الكلية . ولكن أياً كان مدى تنوع وتعدد هذه الأساليب فهي تعتمد في نهاية الأمر على ما تمارسه الشركة الأم من سيطرة على الذمم المالية لشركاتها الوليدة ، الأمر الذي يتيح لها أن تطبق على هذه « الذمم » ما يمكن أن نسميه « الترجمة المالية والمحاسبية لنظرية الأواني المستطرقة » ؛ حيث تستطيع الشركة الأم بمحض ارادتها ، ووفقاً لما تقتضيه مصلحتها الذاتية ان تنقل الأرباح التي تحققها إحدى الشركات الوليدة إلى شركة وليدة أخرى ، أو ان تستخدم بعض الأصول المالية المملوكة لاحدى وليداتها لتمويل نشاط شركة وليدة ثانية . ومما يسهل على الشركة الأم مهمتها في هذا الشأن سيطرتها الكاملة على هيكل الأثمان داخل المشروع المتعدد الجنسيات . فهي وحدها التي تتولى تحديد أثمان السلع والخدمات التي تتبادلها الشركات الوليدة . وغني عن الذكر ان تحديد الأثمان هنا يتم في اطار الاستراتيجية الكلية للمشروع ، ومن أجل تحقيق الغرض النهائي ، وهو زيادة أرباح رأس المال المسيطر .

٢١ ـ وترتبط استراتيجية الشركة المتعددة الجنسيات ارتباطاً وثيقاً بالاستراتيجية الاقتصادية والسياسية للدولة الأم . وهذا أمر بديهي حيث ان الشركة المتعددة الجنسيات ليست في نهاية الأمر إلا امتداداً على المستوى العالمي للشركة الأم المسيطرة التي ترتبط باقتصادها القومي الأصلي وتبقى مرتبطة به بعد خروجها إلى العالمية . بل ان سيطرة الشركة المتعددة الجنسيات على المستوى الدولي ليست في نهاية الأمر إلا تعبيراً عن سيطرة الاقتصاد القومي للدولة الأم داخل المحيط الاقتصادي العالمي . وفي نفس الوقت فإن الشركة المتعددة الجنسيات هي أداة هذا الاقتصاد القومي في تحقيق سيطرته على الاقتصاد العالمي .

وطبيعي في مثل هذا الاطار أن يكون الولاء السياسي للشركة المتعددة الجنسيات للدولة الأم ، خاصة وان هذه الدولة هي التي تكفل لها في نهاية الأمر الحماية السياسية ، وأحياناً العسكرية على المستوى الدولي . وعليه فليس بمستغرب ان تصدر قرارات الشركة الأم المتعلقة بنشاط شركاتها الوليدة المتناثرة في مختلف أنحاء العالم متأثرة بمقتضيات الاستراتيجية والاقتصادية بل والعسكرية أيضاً للدولة الأم ، الأمر الذي يشكل تهديداً خطيراً لسيادة الدول المضيفة التي تعمل هذه الشركات الوليدة داخل أراضيها .

دروس الناصرية

٢٢ ـ ولنعد الآن إلى السؤال الذي طرحناه في المقدمة ، لماذا ضربت الناصرية في سنة

(٣) لمزيد من التفصيل راجع : د. حسام عيسى : الشركات المتعددة القوميات ، دراسة في الأوجه القانونية والاقتصادية للتركز الرأسمالي المعاصر . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

١٩٦٧ لتصفي بعد ذلك كاملا بعد سنة ١٩٧٣ ؟ هل كان الأمر صدفة ، أما ان للتوقيت معنى يمكن تفسيره تاريخياً ؟ .

كما كان من الضروري في القرن التاسع عشر ضرب وتصفية كافة المشروعات السياسية القومية المستقلة ، كمشروع محمد علي في مصر والمشرق العربي كتمهيد لفرض نظام الرأسمالية العالمي القديم ، بنسقه الخاص لتقسيم العمل الدولي (انتاج المواد الأولية في الاقتصاديات التابعة ، تقابل الانتاج الصناعي في أوروبا) .

كان أيضاً من اللازم تصفية مشروع سياسي قومي مستقل كمشروع عبد الناصر المصري العربي ، كتمهيد لفرض الرأسمالية لنظامها الجديد ، بنسقه الخاص لتقسيم العمل الدولي ، وبآلياته الجديدة للتبعية .

٢٣ ـ والحقيقة ان الناصرية لم تكن مجرد أسلوب « غير رأسمالي للتنمية » ولكنها كانت أكبر من ذلك بكثير ، فقد كانت الناصرية مشروعاً لنهضة قومية مستقلة في منطقة من أكثر مناطق العالم أهمية من الوجهتين الاقتصادية والجيوبوليتيكية (ملتقى قارات ثلاث ، ثلثي احتياطي العالم من البترول ، ماضي حضاري يؤهلها للنهضة . . . الخ) .

ومنذ اليوم الأول فهمت الناصرية جيداً ان بناء مثل هذا المشروع القومي يقتضي أولا إرادة سياسية ذاتية مستقلة ، وهذا هو الذي يفسر ما أفاض فيه الزملاء بالأمس ، أعني سياسة عدم الانحياز ، والعلاقة مع المعسكرين الشرقي والغربي .

ولقد كانت أحداث السويس في عام ١٩٥٦ فرصة هائلة لتلقى الناصرية ولتلقن درسها الثاني ، وهو ان بناء القاعدة الاقتصادية للنهضة يقتضي أولا الاعتماد على النفس ، وان رأس المال الأجنبي لا يمكن أن يتولى هذه المهمة . ولذلك عندما رفض البنك الدولي ، تحت ضغط القوى الاستعمارية ، المساهمة في تمويل السد العالي ، كان الرد هو تأميم قناة السويس ، تمهيداً لاستخدام عوائدها في تمويل هذا المشروع الكبير .

ولكن أهم من هذا وأكبر كان درس السويس ان احداث تغييرات في علاقات القوى على المستوى الدولي انما يبدأ باقتلاع جذور التبعية في الداخل ، وان الصراع هو أداة هذا التغيير ، وليس التفاوض والتوافق والاتفاق .

٢٤ ـ ثم كان ما بعد حرب السويس من تأميم لرأسمال الأجنبي في مصر ، ثم في مرحلة تالية تصفية الرأسمالية المصرية التابعة بتأميم معظم قطاعات الاقتصاد المصري الحديثة ، ونقل ملكيتها إلى الدولة ، وسيطرة الدولة على التجارة الخارجية كوسيلة لتنفيذ خطة التنمية الاقتصادية الشاملة « ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ » ، والتي حققت بالفعل أعلى معدلات للنمو الصناعي عرفها الاقتصاد المصري الحديث ، جاء كل هذا ليحمل في طياته درسين هامين .

أولهما : ان بناء قاعدة صناعية من أجل خلق اقتصاد قومي مستقل لا يمكن أن يتم في اطار

الخضوع لمنطق السوق الرأسمالي العالمي وعلاقات المبادلة السائدة فيه بشكل كامل . وانه وان كان صحيحاً ان من غير اللازم لتحقيق هذا الهدف الانفصال كاملاً عن علاقات السوق الرأسمالي هذا في اطار عزلة تامة ، إلا انه من الضروري اخضاع علاقات المبادلة الخارجية لمقتضيات التنمية الداخلية وهو ما يقتضي سيطرة الدولة على قطاع التجارة الخارجية وتوجيهه هذه الوجهة . وبالتالي فإن ما أسمي فيما بعد بمرحلة الانغلاق الاقتصادي هي ضرورة تاريخية لبناء قاعدة اقتصادية وطنية مستقلة .

بعبارة أخرى ان بناء قاعدة اقتصادية وطنية مستقلة يتطلب بالضرورة رفض نمط تقسيم العمل الدولي السائد ، وعلاقات المبادلة الخارجية القائمة على أساسه .

ثانياً : ان بناء قاعدة اقتصادية قومية مستقلة يقتضي بالضرورة تدخل الدولة وتدخل الدولة كطرف أساسي في العلاقات الاقتصادية ، ليست بدعة بلشفية ، كما يدعي أنصار الانفتاح الجديد في مصر والعالم العربي ، فقد لعبت الدولة في تاريخ الرأسمالية دوراً أساسياً في بناء القاعدة الاقتصادية المستقلة . ففي انجلترا وفرنسا ، كما هو الحال في الولايات المتحدة والمانيا وايطاليا ثم في اليابان كان دور الدولة في بداية مراحل الرأسمالية الصناعية أساسياً ، سواء في فرض الحماية الجمركية للصناعات الوليدة ، أو في تمويلها لمشروعات البيئة الأساسية أو في خلق النظم المالية والتقدية الملائمة ، أو في فرض الاصلاحات الزراعية بغرض تحقيق الكفاية الذاتية الغذائية .

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن تدخل الدولة في بلدان العالم الثالث النامية يبدو أكثر ضرورة ، حيث نشأت البورجوازيات المحلية في إطار علاقات التبعية وارتبطت تاريخياً برأس المال الأجنبي المسيطر . وباتت بالتالي عاجزة عن بناء تلك القاعدة الاقتصادية القومية المستقلة .

٢٥ ـ ان بناء قاعدة اقتصادية قومية مستقلة يعني أولا اقامة سلسلة متصلة الحلقات من الصناعات المتكاملة ذات التوجه الداخلي ، بغرض إشباع الحاجات الأساسية لجماهير المواطنين بصفة أساسية . أما قبول وحدات انتاجية جزئية هنا وهناك كتلك التي تقيمها الشركات المتعددة الجنسيات اليوم ، في اطار سياسات الانتاج العربية ، فلا يمكن أن تؤدي إلى اقامة تلك القاعدة الاقتصادية القومية ، حيث ان تلك الوحدات الانتاجية هي مجرد حلقات في سلسلة متصلة على الصعيد العالمي ، وليس على المستوى القومي ، توجهها الأساسي للخارج ، وتتحكم فيها سلطة مركزية على المستوى العالمي .

ولا يجدي في تبرير هذه السياسات الادعاء بأن هذا هو السبيل الوحيد للحصول على التكنولوجيا الحديثة ، واللحاق بركب التطور العلمي والفني . ذلك انه بفرض ان الشركات المتعددة القوميات تنقل بالفعل هذه التكنولوجيا الحديثة إلى العالم الثالث ـ وهو الشيء الذي يكذبه واقع الأحداث ـ فإن قدرة اقتصاديات الدول النامية على استيعاب هذه التكنولوجيا الحديثة ، ثم تطويرها ، إنما تعتمد أساساً على مدى تقدم القاعدة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية القومية في كل منها ، وبالتالي فإنه من الضروري أولا بناء تلك القاعدة النامية قبل الدخول إلى السوق

العالمي ، في اطار نمط تقسيم العمل الدولي الجديد .

٢٦ ـ لقد آن الأوان لفضح أكذوبة نقل التكنولوجيا التي تستخدمها برجوازيات العالم الثالث بصفة عامة ، والعالم العربي بصفة خاصة ، لتبرير قبولها لمنطق التبعية الجديدة .

ان العوائد الهائلة التي تحصل عليها الشركات المتعددة القوميات ، مقابل ما أسمي كذباً بنقل التكنولوجيا ، هو في الكثير من الأحيان مجرد مقابل لاستخدام علاقات تجارية لتكنولوجيات نمطية قديمة ومعروفة .

وحتى في الحالات التي يتم فيها بالفعل نقل بعض المعارف التكنولوجية الجزئية الجديدة ، فإن الشركات المتعددة القوميات تصر في معظم الأحيان على ادراج هذه المعارف الجديدة مع غيرها من المعارف التكنولوجية النمطية القديمة في اطار صفقة كلية لا تتجزأ«Package» . وبديهي هنا أن يتحدد المقابل الذي تحصل عليه هذه الشركات باعتبار الصفقة كلها ، حتى ولو كانت المعرفة التكنولوجية الجديدة لا تمثل إلا جزءاً واهياً منها ! (وهو ما تتبعه هذه الشركات في اطار ما أسمي بـ Turnkey Formula حيث تقوم هذه الشركات بنقل مصانع جاهزة وكاملة إلى دول العالم الثالث ، مع فرض مقابل باهظ « للتكنولوجيا الحديثة ») .

خاتمة

٢٧ ـ وبعد فنحن نعرف اليوم انه ليس من طريق ملكي مفروش بالورود إلى النهضة . وان السبل إلى النهضة متعددة ومتنوعة ولكن درس الناصرية الأكبر هو انه أياً كان السبيل فإن هناك خطوة أولى لا بد من اتخاذها ، وهي الخروج من دائرة التبعية .

لذلك فقد كان من الضروري ضرب الناصرية وتصفيتها لتعود مصر وليعود العالم العربي إلى تلك التبعية الجديدة تحت اعلام الحرية الاقتصادية والانفتاح ، والتكنولوجيا الحديثة .

تلك هي أزمة اليوم . . وهي أزمة لا شك ان الناصرية قادرة على اجتيازها . . ليعود الوطن العربي كله من جديد .

محلا لسعادتنا المشتركة نبنيه بالحرية والفكر والمصنع .

المناقشات

ـ أمين هويدي : في الواقع أنا سأتكلم فترة بسيطة جداً ، واسمحوا لي بإضافة ، إذا سمح لي الأخ الدكتور فؤاد مرسي ، لعل ضيق الوقت لم يسمح له بإضافتها .

الاضافة في الواقع سأضيفها من واقع تجربة الانسان إلى جوار عبد الناصر ، الانسان الذي عمل تحت قيادته في انتصاراته وفي هزائمه وحتى وفاته . يمكن أهم ميزة تتميز بها الناصرية في موضوع التحول الاشتراكي هذا هي قدرتها على التحريك والتنفيذ . لأنه ليس من ثورة قامت وعاصرت ثورة عبد الناصر ، عملت وغيرت من الواقع بمثل ما عملته الناصرية .

وهذه نقطة مهمة جداً لأن الفكرة في رأسي صاحبها هي مجرد فكرة . لكن أن تصبح الفكرة قراراً ثم أن يتحول القرار إلى أمر واقع . هذه في تقديري أنا المعيار الحقيقي على مقدار ثورية أي اتجاه وأي نظام . كان عبد الناصر يتحرك دائماً وفي يده اليمنى فكرته . وفي يده اليسرى سلاحه وفأسه .

الفكر يتفاعل مع العمل ، والعمل يتغير بتغير الفكر وهكذا ، كلٌ يعطي لصاحبه شيئاً ، كان من السهل جداً رفع شعار الحرية . أو الاشتراكية أو الوحدة . وهذا سهل ، لكن أن تتحول هذه الشعارات إلى أعمال ، أعمال قد تكون لها أخطاؤها ، وقد تكون لها ايجابياتها . ليس هذا الأساس . إنما أن لا يكتفي عبد الناصر بالشعار وأن يكون قادراً على التنفيذ ، وأي تنفيذ ؟ في وسط عواصف هوجاء وضغوط شديدة جداً عليه ، من الداخل والخارج . رأيت عبد الناصر وله القدرة الخارقة على التحريك والتنفيذ في وقت انتصاره كما قلت وفي وقت هزيمته ، فما كان يمكن للتحول الاشتراكي ، أن يتم وينقلب من شعار إلى تنفيذ وإلى واقع إلا بحيوية عبد الناصر وقدرته على التنفيذ ، والرجل لم يكتف أبداً ولم يقف أبداً عند شعار ، بدليل أن نفس الميثاق كان موقوتاً ، كان موقوتاً لعشر سنين . وكان من المفروض أن يتغير . وكان قادراً على التغيير .

عبد الناصر يجب حينما ننظر إلى أعماله في رأيي أنا . تجعلنا النظرة العلمية دائماً تنظر إلى التنفيذ ضمن ظروفه القائمة . المناخ الذي يحيطه ، والضغوط التي تقع عليه ، من الخارج ومن الداخل ، الامكانيات المتاحة ، الكوادر الجاهزة . رد الفعل لدى الطوائف المختلفة . . الخ .

نابوليون عبر الألب . وانتهى الأمر . وهذا يأتي نصف سطر في التاريخ . لكن ليس هناك سوى نابوليون واحد ، كان قادراً على عبور الألب بالرغم من الصعوبات التي كانت موجودة ،

وكان عبوره في فصل الشتاء ، وسط الثلوج ، وجيشه يعاني من نقص الألبسة والتموين . . الخ . ولكنه في النهاية عبر الألب .

فالذي أريد أن أقوله . أن قدرة الناصرية على تنفيذ التحول الاشتراكي لأول مرة وبالطريقة التي تمت بها ، في الساحة العربية ، هذا في حد ذاته عمل كبير جداً . حينا تحدث عبد الناصر عن الانتاج ، مثلاً . لم يتحدث عنه فقط ، لم يقل أن هناك ثورة في الصناعة أو ثورة في الزراعة . ولكنه حوّل هذا الشعار إلى انتاج حقيقي ، بحيث ان المرء حينا يدخل إلى مكان مثل عمر أفندي مثلاً . يجد من الباب الخارجي لغاية الداخل ، كل ما يحويه ، إنتاجاً محلياً . لم يكن هناك شيء مستورد . هذا في حد ذاته قدرة ثورية خارقة في التعامل مع موضوع التحول الاشتراكي .

التحول الاشتراكي ليس توزيعاً فقط وليس تأمياً فقط . ولكنه قبل هذا وذلك انتاج وقدرة على الانتاج ، والعطاء وليس الأخذ . أنا في رأيي أن هذه النقطة ، أردت أن أضيفها من واقع التجربة بسلبياتها وايجابياتها التي لمسها الانسان .

ـ د. فؤاد مرسي : أعتز بالاضافة التي تفضل بها الأخ المفكر والمناضل أمين هويدي والذي كما قال ما زال مفكراً ومناضلاً حتى اليوم باسم الناصرية هذه الاضافة لم تكن بعيدة عن ذهني بالمرة وإنما جاءت ضمن كلمتي ويكفي للدلالة على عظمة عبد الناصر التنفيذية ، انه في عام واحد وستين ، أي منذ حوالي عشرين عاماً أجرى التأميمات الضخمة . وأتبعها بأخرى أكبر وأشد وأكثر أهمية هذه التأميمات التي إذا ما ذكرت اليوم في مصرنا العزيزة ، كانت رجساً من عمل الشيطان . وقيل عن عبد الناصر بسببها انه شيوعي وملحد ، ولم يكن عبد الناصر شيوعياً ولم يكن ملحداً . ولكنه كان ابناً حقيقياً لهذا الشعب المصري . ابن عامل البريد الذي ظل حتى نهاية أنفاسه الأخيرة ، يذكر أصله الطبقي ، ويعتز به وينظر إلى انجازاته ، التي تمت بأنها لم تحقق بعد أمل العامل والفلاح فيه . كنا اسماعيل صبري ، وأنا معه في جلسة في يناير ٦٨ وكانت المشكلة التي طرحها علينا ، كنا بعد الهزيمة وكانت القضية المطروحة هي قضية تسليم مصر لرأس المال الأجنبي . ليس باسم الهزيمة العسكرية التي تمت في يونيو ٦٧ وإنما باسم هزيمة الاقتصاد المصري التي كان الآخرون يعملون على اثباتها ، في نهاية ٦٧ . كانت المشكلة التي تحيره في ذلك الحين ، هي أنه عندما يتوجه بسيارته يقودها بنفسه من القاهرة إلى القناطر الخيرية ، ما زال يرى الفلاح المصري كما كان قبل الثورة ما زال يعيش على لقمة العيش « البتاو والبصلة وقطعة الجبن » وانه بالتالي لم يفعل شيئاً بعد للفلاح المصري ، هذا الرجل الذي استطاع في عام ٦٢ أن يضع في مصر العتيدة ، بإقطاعها السابق العتيد وبرأسماليتها الكبيرة العتيدة ، وبالمصالح الامبريالية العنيفة ، بداخلها ، أن يضع شعار الاشتراكية العلمية وأن يتصدر به من أعلى قمة الدولة لكي يضعه في التنفيذ والتطبيق الفعلي . وليس كمجرد شعار .

هذا الشعار رفعناه نحن من قبل عبد الناصر ، لكنه ظل شعاراً يناقش ينفذ أولا ينفذ ، فضل عبد الناصر ، انه وهو في قمة السلطة رفع الشعار ونفذه ، بل انه نفذه قبل أن يرفعه ، منذ

تأميات يوليو ٦١ . من هنا نحن نعتز بعبد الناصر ليس فقط كقائد رفع شعارات الاشتراكية العلمية ، وليس فقط كما يريد الأخ أمين هويدي أن يقول ، تفذ هذه الشعارات . ولكنه القائد الذي وقف في مصر العتيدة برجعيتها ، يعلن انه لا حل سوى الاشتراكية ويضع هذا الشعار في التطبيق ويضع له تطبيقاً جديداً ، يصبح نموذجاً لمستقبل بلدان العالم الثالث المتخلفة أو النامية ، على حسب ما نعتبر عظمة عبد الناصر ، لا تقال في خطب ولا تقال في كلمات حماسية بقدر ما تلمس بما انجزه في مصر . هذه الانجازات التي كما تحدث زملاء عنها بالأمس جزء كبير منها اهدر وصفي لكن جزءاً آخر كبيراً أيضاً ما زال موجوداً في مصر يصعب النيل منه حتى الآن . القطاع العام بعد ست سنوات من تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي ، ما زال قطاعاً عاماً . وما زال يناضل من أجل ألا يصفى . بعض قياداته وأغلب قواعده تناضل من أجل عدم تصفية القطاع العام . أخيراً في سنة ثمانين بعد ست سنوات من تطبيق سياسة الانفتاح ، استطاعوا أن يخترقوا القطاع العام اختراقاً كبيراً . وهذا تأييد لما ذكرته من قبل من أن ما يجري في مصر هو سياسة الانقلابات البطيئة . وليست الانقلابات السريعة ، كما هي شأن الانقلابات ، الانقلاب البطيء إنما يعبر عن مقاومة عنيفة قوية ما زالت كامنة أو معلنة داخل المجتمع المصري ، ومن ثم أحب أن أطمئن الأخ هويدي إلى أن إنجازات عبد الناصر في مجملها هي انجازات عزيزة علينا جميعاً نحن اللذين نتمسك بالاشتراكية العلمية .

ـ نور الدين باعروش (تونس) : أريد أن ألقي بعض الملاحظات ، بخصوص الحديث عن التجربة الناصرية من خلال بناء الفترة الانتقالية إلى الاشتراكية ، هناك حديث عن التحالفات الداخلية والقوى الداخلية التي اعتمد عليها عبد الناصر في بناء الاشتراكية . لكن من الناحية الخارجية لم يلفت النظر إلى الاعتماد على القوى الاشتراكية في الساحة العالمية إذ ذاك ، فالتعاون مع البلدان الاشتراكية شيء ضروري في البناء الانتقالي إلى الاشتراكية . وضربات العدو كانت موجهة للاطاحة بالتجربة الناصرية ولذلك فما مدى التحالف الذي وجد والذي بناه ناصر بين القوى الثورية الداخلية وبين القوى الاشتراكية العالمية . بأنواعها ، أطلب من الأخ أن يوضح هذه النقطة التي اعتبرها جيدة وقيمة .

ـ د. فؤاد مرسي : لا شك ان هذه نقطة جيدة وهي نقطة لم تفتني عند كتابة الورقة وقد عالجتها في الورقة مطولا . لكني كنت في محاولة التركيز اليوم على المقومات الاقتصادية والمقومات السياسية لطريق الانتقال . أردت أن أركز من الناحية السياسية على جانب داخلي وهو جانب السلطة في الدولة وعنيت ببيان الطبقات الأساسية التي تشكل التحالف الثوري الذي يقوم بعملية الانتقال إلى الاشتراكية . وإنما من الصحيح تماماً أن الطريق الانتقالي سواء اطلقنا عليه الطريق الاشتراكي أو أطلقنا عليه الطريق اللارأسمالي ، هو طريق أصبح ممكناً في عالمنا الحديث نتيجة لوجود قوى اشتراكية عالمية ضربت المثل على قدرتها على التغلب على التخلف الاقتصادي والتبعية الخارجية في أقصر مدى ممكن وكان ذلك متمثلاً في بلد شديد التخلف ، شديد التبعية ، هو روسيا

القيصرية . ثم تلا هذا البلد بلاد أخرى متخلفة وأكثر تخلفاً من روسيا القيصرية ، حيث أثبتت الاشتراكية قدرتها على القيام بهذا الانجاز ، وكان لهذا الانجاز بغض النظر عن خلفيته النظرية ، تأثير حاسم ، وبخاصة في الخمسينات والستينات ، على زعماء وقادة وجماهير العالم الثالث لهذا لا نستبعد اطلاقاً ، التأثير الفكري والعملي ، للنموذج الاشتراكي على عبد الناصر ، وقد عني الأخ خالد محي الدين بالأمس ببيان هذا الجانب فيه ، أيضاً أضيف فكرة هامة وهي أنه من أجل أن يتمكن بلد متخلف وتابع من التغلب على تخلفه وكسر طوق التبعية الذي يوجد بداخله إزاء الامبريالية العالمية . وسطوتها العالمية شبه المطلقة لا بد من الاعتماد على قوة تتفق معنا في هدف أساسي هو تصفية الامبرايلية ، دعونا من الهدف الآخر وهو تصفية الرأسمالية ، إن الهدف الأساسي الذي يجمع بيننا على اختلاف بلدان العالم الثالث . مع العالم الاشتراكي هو الاتفاق على تصفية الامبريالية . هناك مصالح للعالم الاشتراكي ، لا نتكلم عن المثل العليا حتى ولا نتكلم عن المبادىء . إنما نتكلم عن مصالح لدول العالم الاشتراكي ، في انجاز تصفية الامبريالية ولنا أيضاً نحن مثل هذه المصالح . ولذلك نلتقي ، والتقينا .

جانب آخر ، وأخير ، هو انه عندما تحاول في بلد متخلف أن تقضي على التخلف وتقضي على التبعية ، وتبدأ في بناء اقتصاد جديد . حديث كما قلت ، رافض للرأسمالية ، ومولي وجهه شطر الاشتراكية . على أي القوى تعتمد عالمياً ؟ أي الأنسجة ، تعمل على ربط نسيجك بها ؟ على نسيج استغلالي قائم على التبادل غير المتكافىء أم على نسيج خال من الاستغلال ، وقائم على التبادل المتكافىء ؟ . نحن أيضاً بلدان العالم العربي والعالم الثالث لنا مصلحة في أن يكون لقاؤ نا مع أنسجة غير استغلالية ، خالية من الاستغلال . خالية من التبادل غير المتكافىء ، وعلى الرغم من أن أي بلد متحرر يتجه أو يتخذ الطريق الاشتراكي للتطور ، يظل في اطار السوق الرأسمالية العالمية لكنه يكسر طوق التبعية ويبدأ في بناء استقلاله الاقتصادي ، واستقلال حديث ، متطور متجدد . بفضل أو بالاستناد إلى قوة عالمية موجودة إلى جانبه تساعد مثل هذا العمل ، أعتقد أن هذا توضيح للنقطة التي أبداها الزميل ، وأظن أنها أكثر مما أراد الزميل نفسه .

ـ عبد السلام مبارك : سؤالي للدكتور فؤاد مرسي : ركز الدكتور في مرحلة التطور اللارأسمالي أو التحول الاشتراكي على مسألة الحد من التمركز والتركز . ركز عليها مع إهمال مسألة العلاقات الرأسمالية في الانتاج .

السؤال الثاني ، يقول د. فؤاد مرسي ، أن عبد الناصر قرر نقل السلطة السياسية إلى قوى الشعب العاملة ، ماذا يعني هذا الكلام ؟.

وأريد أن أسأل الدكتور حسام ، بعد المنهج الممتاز الذي قدم به مداخلته ، الحقيقة ، شعرت بأنه ختم قضية ملف النظام العالمي الجديد ، لأنه قال : القضية ، ما إن ولدت حتى ماتت ، مع انه نفسه قال انها قضية نضالية وقضية صراع ، قضية اقامة نظام دولي جديد .

ـ د. فؤاد مرسي : الأخ عبد السلام مبارك يسألني أسئلة « عويصة » قليلاً ، السؤال الأول ، إنني أكدت على عملية التركز والتمركز ، لرأس المال ولم أتعرض لعلاقات الانتاج ، وقد تعلمت أن العلاقات هي علاقات الملكية وأن علاقات الملكية هي علاقات الانتاج ، ولا فصل بين الملكية وبين علاقات الانتاج ، ولا بين الملكية وعلاقات الانتاج وبين رأس المال بهذه الصفة . من هنا عند حديثي عن تركز وتمركز رأس المال إنما أتحدث عن علاقات انتاجية في حدود رأس المال .
فيما يتعلق بالسؤال الثاني وهو ، أن جمال عبد الناصر قد قرر نقل السلطة إلى تحالف قوى الشعب العامل . إنما أستعيد واقعاً تاريخياً انه قرر هذا . أما مسألة ما إذا كانت السلطة قد انتقلت بالفعل إلى هذا التحالف أم لا فهي قضية أخرى رأيي فيها ان السلطة لم تنتقل إلى هذا التحالف وإنما استأثرت به في الأساس ، البرجوازية الوطنية من داخل هذا التحالف وان هذه البرجوازية الوطنية ، كان لها تأثيرها السلبي ، على مجرى الثورة والدولة في مصر وبخاصة في أحداث يونيو ٦٧ .

ـ د. حسام عيسى : في كلمات قليلة ، ان النظام الاقتصادي الجديد عملية نضالية تاريخية هذا كان رأي الدكتور اسماعيل صبري وعرضته وليس رأيي أنا أما ان النظام الرأسمالي ، النظام الدولي الاقتصادي العالمي الجديد . قد مات يوم دخل الأمم المتحدة وخرج من نطاق الصراع ، إلى نطاق التوافق والتفاوض والاتفاق ، فهذا هو رأيي أنا . وليس هناك تعارض لأنني كنت فقط أذكر رأي د. اسماعيل .

ـ أحمد الجمال : لا يملك الانسان إلا أن يسمع الدكتور فؤاد مرسي بكل حواسه ومشاعره . ولا يملك أيضاً إلا أن يسمع نقد الدكتور فؤاد مرسي دون أن يتخيله انه هجوم . لأن الدكتور فؤاد مرسي من الناس اللذين يقيمون التجربة الناصرية من موقف علمي متكامل . وتقييمه ونقده ، يكون دائماً في اطار البناء وليس في اطار الهدم . وهذه الحقيقة يعيها جيلنا كله . الذي هو الجيل الناصري . إنما هناك بعض النقاط كنت أحب أن يوضحها لنا ، على رأسها قضية مرحلة التحول الاشتراكي لأنها مرحلة انتقالية . ليست حتمية وقد تؤدي إلى تطور أو مزيد من التطور الرأسمالي وقد تؤدي إلى الاشتراكية . هذا يسحبنا إلى مقولة تتردد الآن وللأسف الشديد على مسامعنا ومن خلال أناس ينتمون إلى المعسكر الاشتراكي ، أو الصف الاشتراكي ، حول أن حكم البرجوازية ، كان حتماً سيؤدي إلى ما حدث في مصر وأن نظام أنور السادات ولد من بطن النظام الناصري ، وان طبيعة البرجوازية الوطنية في حكمها وفي قصر نظرها وفي وضعها قدماً في التخلف وقدماً في التقدم وفي عدم وعيها لطبيعة التحولات الاجتماعية كل هذا التفسير الميكانيكي تماماً يؤدي إلى القول أن النظام الحالي ولد من بطن النظام السابق وان هذا المسار الطبيعي والمحتم لحكم البرجوازية الوطنية ، أن تقع صريعة لما وقعت فيه .

أيضاً الخلل واللبس الذي يحصل ، حتى في التعليق الأخير للدكتور فؤاد مرسي ، وتقييمه لحكم البرجوازية الوطنية ، وبعض الناس يأخذه على أنه يصب في هذا الاتجاه . وأنا أرى ان

معظم البحوث التي ظهرت في هذه الندوة وعلى رأسها بحث الدكتور حسام عيسى أكدت أن الناصرية حاولت أن تكسر النظام العالمي القائم ، وقدمت مشروعاً سياسياً متكاملاً لكسر هذا النظام ، يؤدي في النهاية إلى قطع الطريق على هذه الرأسمالية الوطنية أو المحلية ، في تلاحمها التاريخي مع الرأسمالية العالمية . وبالتالي كانت الناصرية واضحة وحاسمة تماماً ، حتى مستوى النظام العالمي الجديد ، في أن تحرم الرأسمالية المحلية من حليفها العالمي ، بحيث أن صدام جمال عبد الناصر مع الاستعمار ومع الامبريالية . الصدام المستمر والمروع ، كان يقطع الطريق تماماً على الرأسمالية المحلية في امكانية تطورها وتحولها إلى رأسمالية تابعة كبيرة . أرجو من د. فؤاد مرسي أن يوضح لنا تماماً ، هل بالفعل حكم البرجوازية الوطنية بتقييمك له ، يؤدي إلى تلك النظرة التي تقول بأن نظام أنور السادات والانهيارات التي حدثت هي بالفعل نتيجة للنظام الناصري الذي تسمونه حكم البرجوازية الوطنية .

ـ د. فؤاد مرسي : سؤال عميق وجبار ويحتاج إلى ندوة كاملة تخصص له وأنا مستعد لها . وابتداءً فإنني أميز تماماً ، بين عهدين لمصر ، مصر حتى نهاية الستينات ووفاة عبد الناصر ، ومصر ابتداءً من وفاة عبد الناصر حتى الآن . مصر حتى وفاة عبد الناصر ، مصر الثورة ، مصر فيما بعد وفاة عبد الناصر وبخاصة فيما بعد البدء بسياسة الانفتاح عام ٧٤ ، مصر الثورة المضادة أو الردة ، أو الانتكاسة . ولا مجال عندي في رأيي كله للقول بأن العهد الثاني ، امتداد للعهد الأول ، وإنما هو انتكاس عليه وهو من فعل الثورة المضادة . إنما هذا لا يمنع من أن نتبين بالتحليل العلمي الأمين أن ما يجري الآن ، توجد له مقدمات في العهد السابق . وهذه المقدمات لم تكن في رأيي من طبيعة الأمور ، بقدر ما كانت من الاستثناء على القاعدة ، ومن ثم فإنني أضعه في اطار نواقص التصميم وأخطاء التطبيق ولا أضعه في جوهر النظام الثوري الذي كان يقف على رأسه جمال عبد الناصر ، واضح تماماً كلامي . وبيني وبين من يقول بأن العهد الحالي امتداد للعهد الماضي فرق جوهري وجذري . العهد الحالي امتداد ، بمعنى معين ، هو انه نمو وازدهار لكل ما كان سلبياً في العهد الماضي . لكن العهد الماضي هو الثورة بايجابياتها وسلبياتها . العهد الحالي هو الثورة المضادة وأنا أتكلم بالعلم . هو الثورة المضادة بكل سلبياتها بالنسبة لرجل ثوري . لا مجال اطلاقاً في تفكيري للجمع بينهما في خيط واحد . إذاً ما الحكم بالنسبة للوضع الخاص بالبرجوازية الوطنية . في تقديري ان هذا التحالف الذي أراده عبد الناصر ، لم يستطع أن يحققه ، وهو اعترف بهذا كثيراً . أنا لا أريد أن أذكر أحد الجمال بخطب عبد الناصر فيما بعد النكسة مباشرة ، قبل النكسة كان يتحدث عن الطبقة الجديدة التي يجب تصفيتها . بعد النكسة تكلم عن الطغمة العسكرية والطبقة العسكرية والطبقة الجديدة . وتكلم عن الناس اللذين استغلوا الثورة لصالحهم الشخصي . كل هذا واضح تماماً . في تقديري أن الحلف الثوري الذي أراده عبد الناصر لم يتحقق . وليس ذلك بإرادة من عبد الناصر . وأنا هنا معه إلى آخر مدى . إنما الذي تحقق ، فقد تحقق ضد إرادة عبد الناصر ، وكان طاغياً على إرادة عبد الناصر وثبت لنا نحن اللذين كنّا على مدى قريب أو بعيد حتى ، من جمال عبد الناصر والقيادة الثورية ، كيف كان عبد الناصر لا يستطيع أن يحكم مصر

حتى يونيو ٦٧ ، على خلاف ما يظن الكثيرون . وانه كانت هناك مراكز قوى عديدة ومراكز قوى خطيرة معادية للثورة تستغل الثورة وتخضعها لمصالحها ، وان عبد الناصر كان مفروضاً عليه نوع من الحصار الحقيقي على الرغم من كل ما يقال عن عبد الناصر وحكمه الفردي ، كان يتمتع بسلطة فردية لا شك فيها لكنها سلطة القائد الثوري المحبوب والمقدر ، والمعترف بقيادته ، أكثر منها الديكتاتور أو الشخص الفرد الطاغي . سلطة عبد الناصر كانت محدودة ومحاصرة بكثير من مراكز القوى التي شكلتها البرجوازية الوطنية ، في قمة الدولة ، وكانت توجه الدولة عندئذ . وتوجه الجيش ، حتى يونيو ٦٧ . وجهات هي التي عبرت عنها الهزيمة العسكرية ، الهزيمة العسكرية ليست مجرد هزيمة عسكرية ، والا نخطىء في الحكم . الهزيمة العسكرية هزيمة لمرحلة معينة من العمل الثوري ، والعمل في بناء الدولة المصرية ، أنتجت في بناء هذا الكيان ومن ثم عندما هبت الجماهير في ٩ و١٠ يونيو كانت تقول له غيرّ غيرّ يا جمال . هو قال سأغيرّ ، أمّا إلى أي مدى غيرّ أو لم يغيرّ ؟ فسؤال آخر ، نستطيع الاجابة عليه مستقبلاً .

لكن كان المطلوب عندئذ يوم ٩ و١٠ يونيو التغيير ، وسقطت الدولة القديمة ، وقف عبد الناصر وحده وكان بإستطاعته القيام بتغييرات ضخمة جداً ، لكن لم تجر هذه التغييرات للأسف الشديد . المهم أن الحلف الثوري سيطرت عليه طبقة بالذات هي البرجوازية الوطنية ، واستطاعت أن تفرض أشياء كثيرة . ابتداء من سنة ٦٨ ، بدأت تملي شروطاً على عبد الناصر ، وعبد الناصر يستجيب وله في ذلك خطبة مشهورة في افتتاح مجلس الأمة في يناير ٦٩ ، خطبة شهيرة جداً ، تكلم فيها على ضرورة وحدة القوى الوطنية وضرورة القيام بتنازلات لبعض الفئات . ووضع هذا الفكر في التنفيذ فيما بعد ، بالقيام ببعض التنازلات لفئات معينة من البرجوازية . هذا الكلام العلمي الدقيق الأمين الذي يريح الانسان به ضميره . ويستطيع أن يقف ويتحمل مسؤ وليته بالكامل في مصر ابتداء وفي العالم الخارجي انتهاءً .

أما موضوع التطور اللارأسمالي وهل هو حتمي أولا حتمي ، لا فكل اللذين كتبوا في هذا الموضوع متفقون على هذا الرأي وليس رأيي وحدي . وكل ما فعلته أنني أبرزت هذا الجانب ، التحول اللارأسمالي امكانية مطروحة . تتحقق أولا تتحقق ابتداءً وانتهاءً . يمكن أن تقوم أولا تقوم . ولولا الثورة المصرية وقيادة عبد الناصر شخصياً الثورة ، لم تكن فكرة التحول اللارأسمالي تطرح . كان الناس حتى ذلك الوقت يفكرون بمعادلة أبيض أو أسود فقط . وكان القول نحن في طريق رأسمالي أو في طريق اشتراكي ، والخلافات تبقى ضمن هذه الحدود . البعض المتعقل كان يقول ان أمامنا استكمال الثورة الوطنية ، إنما بأفق جديد . لكن كان الخلاف البارز أكثر هو طريق اشتراكي أو طريق لا رأسمالي . كان لا بد من ظروف موضوعية عديدة عالمية ومحلية وعربية . وظروف ذاتية منها شخصية وفكر وتكوين جمال عبد الناصر حتى يفهم انه من أجل أن يقوم بتنمية حقيقية لا يمكن أن يضع هذه التنمية في أيدي الرأسمالية مرة أخرى . وهو عانى منها في قمة السلطة من ٥٢ . يتيح لها الفرص وهي لا تأتي ، لا تريد أن تنمّي مصر ، عندما وقف يقدم إجراءات التأميم عام ٦١ قال « عايزين يشتروني وعايزين يغشوني ، الرأسمالية تريد أن تشتريني أو تقوم

بانقلاب على السلطة وأنا بواجه الرأسمالية وباقولها ماليكيش مكان » . هنا ، عندنا تاريخ حافل تجربة حافلة ، شخصية جمال عبد الناصر على رأسها ، نستفيد من دروسها ، ثم تعطيها الصياغة النهائية اجراءات يوليو .

اضافة إلى مجموع المفكرين واللذين يتكلمون ويكتبون ويطورون هذا ، وهو كان كما قال الأستاذ أمين هويدي تماماً ، شخصية قيادية مثالية . لأنه وإن كان يؤمن بالتطبيق والتنفيذ ، لكنه قارىء وكثير القراءة ، ومتنوع القراءة . إضافة إلى انه مستمع جيد .

التجربة بعد عبد الناصر ثم ، الانتكاس عليها وتغييرها بالكامل . هذا كلام واضح ونتحمل مسؤ وليته علمياً وسياسياً في مصر وفي غير مصر .

ـ أمين هويدي : تساؤل بسيط للأخ الدكتور فؤاد مرسي ، هل لو أدخلنا عامل الوقت في تقييمنا للناحية التنفيذية ، الا يكون حكمنا على مقدار نجاح عبد الناصر في نقل السلطة إلى تحالف قوى الشعب العاملة ، أخف قليلاً ؟ . نقل السلطة ليس عملية مرتبطة بالضغط على زر صغير . هذا غير ممكن ويجب أن نقدر هذا ونحن نقيم العمل . نقل السلطة هو غاية ، ولكن متى ؟ يحتاج إلى سنين وجهد كبير جداً ، لماذا ؟ لوجود المقاومات والاحتكاكات الشديدة التي تكون موجودة . وأنا في تقديري لو أدخلنا عامل الوقت ، في التحول الاشتراكي ، كم سنة احتجنا حتى نصل إلى ذلك ، إحتجنا إلى ست سنوات . ثم محاولات لنقل السلطة ، ليس من السهل نقل السلطة بما تحمله من خلفيات يعلمها د . فؤاد أكثر من غيره . هذا غرضي من تقييم عامل الوقت في نقل السلطة . تدخل الأوضاع الطبيعية في الموضوع .

ـ د . فؤاد مرسي : لا شك أنني أنضم إلى الرأي الذي أبداه الأخ أمين هويدي في هذا الصدد . لأن الزمن لم يتح لعبد الناصر أن ينفذ كل ما يريده . بينت هذا في كلمتي في الصباح ، وأوضحت تماماً ، أن جمال عبد الناصر لم يتح له أن يشهد كثيراً من الثمرات والآمال التي كان يعلقها وبينت المثل قلته عن لسانه ، حول الفلاح المصري وكيف قال انه لم ينجز شيئاً ، الذي كان قد صدمني في الحقيقة أن التعديل في يناير ٦٨ وعبد الناصر يقول انه لم ينجز شيئاً للفلاح المصري ، بعد العديد من الاصلاحات الزراعية والعديد من التطور الذي طرأ على الريف المصري ، ومع ذلك في تقدير جمال عبد الناصر أنقله للتاريخ وللأمانة ، يقول أمامي وأمام اسماعيل صبري عبدالله ، لم أنجز شيئاً للفلاح المصري . وهو في غنى عن قول هذه الكلمة ، لكنه يقول ما يشعر به ، وأضاف الجملة الخاصة بأكل الفلاح المصري ، وانه لم يتغير وبالتالي أوضاع الفلاح لم تتغير ، وهو متضايق من انه لم يستطع أن يفعل شيئاً للفلاح المصري حتى ذلك الحين . هذا صحيح ، قضايا السلطة قضايا معقدة وعويصة جداً وذكرت كيف انه كانت توجد هناك مراكز قوى تحاصر جمال عبد الناصر وبالذات ابتداءً من ٦٢ ، الانقلاب العسكري الهادىء الذي قام به عبد الحكيم عامر وما شابه ، مسائل تسجل في التاريخ ، وتظهر لنا بعد ذلك أشياء

كثيرة إنما الذي أتكلم عنه هو مثل ما كتبت بالضبط ، وقرر نقل السلطة إلى تحالف قوى الشعب العاملة . وهذا كلام دقيق وأمين . لأنه قرر هذا لكن لم يتم ، والعملية صعبة ودقيقة ، أمامه خيارات ومن الممكن أن نناقش . لماذا لم ينتهز فرصة سقوط النظام القديم يوم ٩ و١٠ يونيو . ويجهز على القديم ويبدأ جديداً ، من أول وجديد ، هذه فرصة تاريخية نادرة ضاعت . أنا بيني وبين ضميري أرى ان جمال عبد الناصر لم ينتهزها . لأن الجماهير كلها أسقطت النظام القديم والدولة القديمة وقالت « غيرّ غيرّ يا جمال » . اعمل ما تريد . فلم يعمل للأسف . فمن هنا الزمن يصح لو كان أتيح له ، وأنا قلت انه مات قبل الأوان فعلاً كنا نتوقع منه تطورات وتطورات بالشخصية الكبيرة التي تشكلت بالنهاية . . وأصبح اسمها جمال عبد الناصر . جمال عبد الناصر يوم مات ليس هو جمال عبد الناصر الذي بدأ يوم ٢٣ يوليو ٥٢ إنما شخصية ثانية تكونت وتشكلت خلال ١٨ سنة ، ولا نعرف لو كان أتيح له عشر سنين تالية كيف كان سيصبح .

ـ الياس سحاب : الأجوبة العميقة والدقيقة والموضوعية للدكتور فؤاد مرسي ، تغري *بمزيد من الاستيضاحات* .

لدي سؤالان متعلقان بما أسماه د. فؤاد مرسي بالتطور اللارأسمالي كاتجاه ناصري نحو الاشتراكية . هناك من يصنف هذا الأسلوب ، بأنه تردد بين الاشتراكية والرأسمالية ، أريد جواباً . وما رأي د. فؤاد مرسي في هذا التقييم لأسلوب التطور اللارأسمالي . ثم أريد أن أعرف أيضاً رأي الدكتور فؤاد مرسي ، إلى أي مدى شكل هذا الأسلوب ، أسلوب التطور اللارأسمالي ، اضافة جديدة إلى تجارب التطبيق الاشتراكي ، المختلفة بين مجتمعات متعددة وأزمنة متعددة .

ـ د. فؤاد مرسي : الطريق اللارأسمالي ليس على الاطلاق تردداً بين الرأسمالية والاشتراكية ، وليس طريقاً تلفيقياً أو ملفقاً بالمعنى العلمي ، بين الرأسمالية والاشتراكية . وإنما هو طريق كما حددت في الصباح . يرفض الرأسمالية ويولي وجهه شطر الاشتراكية . ما زالت قوى الانتاج تعمل على أساس التخلف ، وما زالت علاقات الانتاج علاقات رأسمالية الجوهر ومع ذلك نوقف الحرية المطلقة لنمو الرأسمالية ، ونبطل عمل قوانين الرأسمالية . نتدخل لكي نصقل العمل اليومي للقوانين الموضوعية للاقتصاد الرأسمالي . هذا هو جوهر الطريق اللارأسمالي ، العداء للرأسمالية . وإتخاذ موقف حازم منها . تنمو في حدود صغيرة ، نقبل بالرأسمالية الصغيرة . أو مثلما يقول جمال عبد الناصر الرأسمالية غير المستغلة ، غير المستغلة هذا تعبير غير علمي ، تعبير سياسي . إنما التعبير العلمي إنه يقبل بالرأسمالية الصغيرة . وربما بالفئات المتوسطة في أحسن تقدير ، لكنه يكسر باستمرار الرأسمالية الكبيرة . ويعرف انها حليفة وشريكة ومكملة لرأس المال الأجنبي ، الاستعمار . فمن هنا موقفه واضح جداً من الرأسمالية . يقبل بالرأسمالية الصغيرة والفئات الوسطى ويحاول في مدى معين مثلما قلت ، نحن عندنا نظرة كانت متعجلة ومثالية لماهية الطريق اللارأسمالي . ان هذا الطريق بعد سنتين أو خمس سنين ينقلنا إلى الاشتراكية . بعض الأقطار ، انتقلت إلى الاشتراكية وأعلنت انها تبني الاشتراكية . هذا الكلام غير دقيق الاشتراكية

لها أسس موضوعية ، وإلا فلا يبقى اسمها اشتراكية ، تبقى حينئذ عمليات إرادية ، المرء يقرر ويقول نحن أصبحنا اشتراكية ، أو أصبحنا شيوعية ، أو أصبحنا اقطاع . هذا كلام غير دقيق . عمليات التاريخ والاقتصاد عمليات موضوعية ، لا بد أن تتكامل . فهنا الطريق اللارأسمالي ، في ظل التخلف ، ونحن لماذا نتكلم عن التخلف ؟ تخلف قوى الانتاج وانها لم تنمو بعد ولم تتطور بعد ، ولم تأخذ مساراً اقتصادياً رأسمالياً مثلما حصل في البلاد الرأسمالية . وان علاقات الانتاج الموجودة والمنتشرة ما زالت علاقات رأسمالية أو حتى شبه رأسمالية ، فالرأسمالية كلمة كبيرة عليها . هذا التكوين بأكمله نقف ضده ولا نسمح إلا بنمو محدود للرأسمالية المحدودة .

وفي نفس الوقت نرمي قواعد ثانية . نرمي قواعد الملكية العامة لوسائل الانتاج . وسائل الانتاج الأساسية . قطاع المال ، يصبح قطاعاً عاماً . قطاع الصناعة الثقيلة يصبح قطاعاً عاماً . قطاع الصناعات التحويلية الأساسية يصبح قطاعاً عاماً . القطاع العام يدخل في الزراعة في الأراضي ، *قطاع عام في التجارة والتوزيع ، هنا ندخل الملكية العامة ونطورها ، ونحن لا نقول ملكية اشتراكية أبداً ، نقول ملكية عامة ، قطاع دولة ونتمي هذا القطاع* ، ونعطيه دوراً قيادياً ونقول ان الدور القيادي هو الدور الحاسم ، ومن هنا تجربتنا في مصر عندما بدأت بالانفتاح من ٧٤ حتى اليوم كانت العملية التي عملها وهي ذكية ، انه قضى على الدور القيادي للقطاع العام ولم يمس حجم القطاع العام ، فأبقاه كما هو ليراه الناس موجوداً . لكنه ألغى الدور القيادي للقطاع العام في الاقتصاد المصري . وبالتالي أصبح القطاع العام قطاعاً ملحقاً بالقطاع الخاص وليس قطاعاً قائداً . بل وصرح ان هذا هو الدور المنشود والمحدّد للقطاع العام . مصطفى خليل في يناير ٨٠ عندما وجد الدنيا أصبحت مناسبة له ويستطيع أن يتكلم علناً قال : دور القطاع العام هو دور المرافق والخدمات وانه في خدمة القطاع الخاص المحلي والعالمي . من هنا ، الطريق اللارأسمالي ، وأنا نادراً ما أستخدم كلمة الطريق اللارأسمالي . وأنا أفضل الطريق الانتقالي . كلمة اللارأسمالي أحياناً تثير شكوكاً . هو طريق انتقالي . أنت تضع فيه أسس الانتقال إلى الاشتراكية ، وهذا هو الكلام الدقيق جداً . ان كلمة اللارأسمالي قد تدفع إلى الخطأ أو الخلط أحياناً . ونحن بغنى عنه . السؤال الثاني ، بدون شك عبد الناصر أضاف إضافة كبرى عندما عمد في ٦١ إلى التأميمات الأساسية وألحقها بتأميمات أخرى ثم عندما وضع الميثاق ميثاق العمل الوطني ، في ٦٢ . هذان العملان التأميمات الكبرى ثم الميثاق ، بصراحته ، يمثلان في نظري ، اضافة للفكر والممارسة الثوريين في العالم كله وبالذات العالم الثالث وأعتبر أن جمال عبد الناصر هنا قد صاغ صياغة جديدة وهامة جداً ، ما يسمى بالطريق اللارأسمالي أو بالطريق الانتقالي . ومن هنا هو أضاف . أضاف شيئاً إلى الفكر . بالطبع الطريق اللارأسمالي كان مطروحاً في أدبيات الاشتراكية العلمية ، ليس من أواخر الحرب العالمية الثانية . لكن في منتصف الخمسينات ، بدأ الحديث عما يسمى بالتحولات في العالم الثالث ، وفي البلدان الفتية وما يمكن أن تؤدي إليه مثل هذه التحولات . لأول مرة تصدر هذه التعبيرات ، كانت بعد عام ١٩٥٦ وبدأنا كلنا نفكر في التغيرات الجديدة التي طرأت على برجوازية العالم الثالث والبلدان المستعمرة . وأعدنا تقييمنا لهذه البرجوازية ودورها ،

وبدأنا نفكر في أن هذه البرجوازية ليست خائنة فتفكيرنا كان حتى ٥٦ ، أوتوماتيكياً بمعنى أن هذه البرجوازيات خائنة ولذلك كان لنا تحليلات وتطبيقات خاطئة . بعد ٥٦ أعدنا النظر ، أعدنا تقييم نظرتنا إلى البرجوازيات داخل البلدان المستعمرة سابقاً وأشباه المستعمرات ووصلنا إلى تقيّيم جديد هو أنها ما زالت لها كفاءات وامكانيات وطنية معادية للامبريالية . وانها من ثم يجب أن تتاح لها الفرصة للتعبير عن هذه الامكانيات لأنها قوية ومفيدة واضافة للقوى الثورية في الثورة الوطنية . من هنا بدأنا نعمل على أسس جديدة بعد ٥٦ وبدأنا نتطلع إلى طريق جديد لهذه البلدان . هذه البلدان إذاً ليست طريقاً ثالثاً . الخلط يأتي عندما نقول طريقاً ثالثاً . لا ليس طريقاً ثالثاً . إنما هو طريق الانتقال من الرأسمالية أو شبه الرأسمالية إلى الاشتراكية إرساء هذا الطريق ، في ظروف عالمية جديدة وظروف محلية جديدة ، لا يتم ، الطريق هذا تحت قيادة البرجوازية التاريخية وإنما يتم تحت قيادة طبقات أكثر ثورية وبالذات البرجوازية الصغيرة . ودور فعّال ونشط ومتزايد للطبقة العاملة . عندئذٍ تتفتح امكانيات أكبر للتحول الاشتراكي . هذا كان تقييمنا لدور عبد الناصر فيما يتعلق ، بالفكر والممارسة إنه قدم اضافة كبرى فيما يتعلق بفكر وممارسة طريق التطور أو الانتقال إلى الاشتراكية .

ـ خالد محيي الدين : لأجل الأخ الياس سحاب ، إذا كان يسمح لرئاسة الجلسة أن تتدخل ولو انها متروكة للسادة الذينن ألقوا الكلمات ، في الحقيقة بالنسبة لاضافة عبد الناصر في هذا الموضوع ، الذي يصبح تجربة صالحة لكل بلدان العالم الثالث ، هناك قضية أساسية . الذي هو الباب السادس من الميثاق ، الذي هو حتمية الحل الاشتراكي ، هذه قضية أنا رأيي أن أهم الأبواب في الميثاق هو هذا الباب . لأنه عندما يُقرأ ، هذا الباب ليس لمصر فقط هو لكل البلدان النامية التي تريد أن تنمو وتحافظ على استقلالها في نفس الوقت ، وبوضوح في هذا الموضوع . جمال عبد الناصر جعل من قضية الاشتراكية ، ليست فقط ، هي نتاج للصراع الاجتماعي ، الذي يخوضه . الصراع الطبقي طبعاً ، فالصراع ضد الاستعمار هو صراع طبقي . ولكن الاشتراكية لم تعد فقط ضرورة من ضرورات الصراع الاجتماعي للتحول . إنما هي ضرورة من ضرورات الحفاظ على الاستقلال الوطني في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وان الدول النامية التي تريد أن تحافظ على استقلالها الوطني ، في مواجهة الرأسمالية العالمية عليها أن تسلك الطريق الذي هو التحول نحو الاشتراكية . والذي حدده الباب السادس من الميثاق ، حول تجميع المدخرات وسيطرة الدولة على موارد الانتاج ووضع خطة وطنية ومنهج الاشتراكية العلمية ، كل هذا الذي وضحه انه جعل من الاشتراكية ضرورة للتوجه وحماية للاستقلال الوطني . أصبحت قضية وطنية إلى جانب انها قضية اجتماعية . من هنا عندما نقول ربط الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية هي قضية أساسية فنظرة إلى بلدان العالم الثالث ، التي تسلك طريق النمو المستقل ونوع من النمو اللارأسمالي أو الانتقال نحو الاشتراكية ، هي الدول التي لها استقلال حقيقي ، إنما الدول التي تعيش في اطار التبعية للاطار العالمي ، هي الدول التابعة . هذه القضية الرئيسية . من هنا فالناصرية وتجربتها هي تجربة لكل العالم الثالث ، إذا توافرت نفس الشروط طبعاً ونفس الامكانيات .

ـ ألفت علي محمد : بداية أنا أسجل تقديري للدراسة العميقة التي قدمها د. فؤاد مرسي . إنما هناك نقطة هي ان التجربة الناصرية افتقدت إلى نظرية ثورية في البداية . وانت قلت في الدراسة ، ص ١١ إننا اعتمدنا على ثورية القائد ووعيه الطبقي ووعيه الاجتماعي . أما في ممارسة الجماهير ، فكانت هذه متروكة للممارسة العملية من خلال التجربة والخطأ وغير هذه القضايا . أنا أسأل هل الجماهير تنضج وتعي من خلال الممارسة ، ومن خلال الخطأ والصواب فقط؟ . أنا أسأل د. فؤاد هذا السؤال . هل افتقاد نظرية ثورية وبالتالي ترك الجماهير لممارسات الخطأ والصواب وما شابه ، هل هذا كافٍ لتنضج الجماهير؟ .

ـ د. فؤاد مرسي : بدون شك من الأفضل أن تكون هناك نظرية جاهزة ، وتوفر علينا الكثير من الخطأ ومحاولة التجربة والخطأ في التطبيق . لكن لم يكن .

كانت هناك المبادىء الستة التي ابتدأ بها قادة الثورة في ٢٣ يوليو ٥٢ . وتم في العمل تطوير هذه المبادىء الستة . والذي يعنينا عدم الوقوف وقفة ساكنة إزاء الفكر أو التطبيق وإنما نرى هل الفكر والتطبيق تطور . فأنا أرى ان جمال عبد الناصر ، وهذه ميزة غريبة جداً به . وأرجعها إلى أصوله الطبقية الشعبية الأصلية . وإحتفاظه وهو في قمة السلطة بهذه الأصول وحرصه عليها واظهاره لها وعدم إخفائها ، عبد الناصر تطور وتغير من ٥٢ إلى ٧٠ كشخصيتين مختلفتين . كان ثورياً في البداية وما زال ثورياً وأكثر من ثوري في النهاية . لكنه شخصيتان مختلفتان فهذا هو الذي يعنينا بالنسبة لقائد تولى الفكر والممارسة خلال ١٨ سنة . هل جمد عند فكره وممارسته التي طرحها عند ٥٢ . أو جلس يتكلم بكلام محمد نجيب ؟؟ .

لا . . إنما وقف وقال الاستعمار . لكن يجب أن أرى العدو الداخلي أولا ، وأنتبه للعدو الداخلي أولا وبعد ذلك أنتبه للاستعمار ثانياً . ودخل على الاستعمار عام ٥٤ وبعد ذلك بدأ يطور نظرته للاستعمار خلال معارك حلف بغداد ثم باندونغ ، ثم المعارك اليومية التي بدأ بها ابتداءً من سنة ٥٦ . وصراعه الدامي مع اسرائيل ، في المعارك التي شنتها على الحدود في محاولة ابتزاز جمال عبد الناصر حتى يسلم للأمريكان ويقبل بالحلف الذي كان مطلوباً منه أن يقيمه ، ثم دخل في عام ٥٦ على معركة السويس ، وخرج منها بمضمون جديد هو كسب الاستقلال بالقوة المسلحة ، من الاستعمار وليس فقط بالمفاوضات . وخرج من هذه ، أي من الجانب السياسي إلى الجانب الاقتصادي فوراً بدأ يدخل في التمصير . دخل في القطاع العام ، بدأ يضع برنامجاً للتصنيع ، . . . نقل برنامج التصنيع إلى خطة للتنمية . . . نقل خطة التنمية إلى تأميمات . . . من التأميمات وسع وكبّر إلى دور قيادي للقطاع العام يقود الاقتصاد المصري إلى تنمية لارأسمالية أو انتقال إلى الاشتراكية ، هذا هو ما يمثل في نظري ميزة عبد الناصر . التطور الدائب ، وحسن ترجمة الأحداث ، واستيعابها والقدرة على تلخيصها وتطويرها واعطاء مفهوم لها ، من كل هذا يتشكل قائد ليس فقط له ممارسة وكان بادئاً بستة مبادىء صغيرة جداً . وإنما بقائد أصبح له فكر والفكر محترم ومطروح للمناقشة والعرض والتأييد والمعارضة ومتى؟ سنة ٦٢ . من ٦١ طرح هذا

الفكر ، من وقت قريب جداً . وبعد ذلك دخل في تجربة خطيرة جداً ، تجربة تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ، ومثلما نحن في مصر وخارج مصر كنّا نقلل من أهمية ما دار من صراع حول هذه الخطة وما دار حولها من صراع أخذ شكل كلام اقتصادي وكلام تكنولوجي ، إنما هو صراع سياسي حاد ، وصراع طبقي حاد . الذين كانوا يقولون لا نريد تخطيطاً ، يقفون على أرضية طبقية وسياسية معينة ، غير المطالبين بالتخطيط ، الذين لا يريدون صناعات ثقيلة ، يقفون على أرضية مختلفة عن التي يقف المطالبون بالصناعة الثقيلة . الذين يريدون تنفيذ الخطة الخمسية بخمس سنوات كما هو مقرّر، غير الذين يريدون تنفيذها بسبع سنين ، هذا الكلام حصل في بلادنا وهذا تاريخ حافل. ثم نحن نقول الخطة الخمسية الأولى كما لو انها كهنوت ، لا أحد يرضيكم إلى الاقتصاديين . لا . . هذا صراع طبقي حاد داخل المجتمع المصري لأن الذين قالوا : الخطة هذه لا تنفذ في عشر سنين ، الخطة العشرية كاملة . ولا يتم مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات كان لهم موقف طبقي معينٌ واستمر هذا الموقف ونما ورأيناه أخيراً . الذين رفضوا وقالوا ننفذها في عشر سنوات لهم موقف طبقي آخر وحاد . والذين قالوا سنة ٦٥ خطة التنمية الخمسية الأولى فشلت أناس معينون ، ومعروفون . والذين قالوا نجحت هم آخرون ولهم مواقف طبقية ثانية .
نحن لم ننفذ سوى خطة خمسية واحدة من ٦٠ إلى ٦٥ وهذه هي الفترة الذهبية للناصرية ولكل الكلام الذي نحن نبحثه . انتهت الخطة الخمسية الأولى في ٣٠ يونيو ٦٥ . لم يستطع عبد الناصر أن يضع الخطة الخمسية التالية ، في التطبيق بعد ذلك في ١ يوليو ٦٥ حتى يومنا هذا ، ولذلك فعندما أقول ان الهزيمة العسكرية لم تكن هزيمة عسكرية فقط ، كانوا قد هزمونا اقتصادياً وحاصروا عبد الناصر اقتصادياً واجتماعياً من نهاية الخطة الخمسية الأولى . وقالوا له ، لا تبدأ بالخطة الخمسية الثانية لأن الخطة الخمسية الثانية كانت خطة للتصنيع الثقيل في مصر. كان بواسطتها لا يمكن عودة مصر إلى التبعية من جديد بسهولة ، ومن هنا أوقفوها .

ـ الاستاذ محمد : مرة أخرى مع د. الأستاذ فؤاد مرسي ولو أني أعتقد أننا قد نثقل عليه لأنه قد تحمل جهداً حسب ما يبدو لي كبيراً . في الرد على تساؤلات وإيضاحات إلا انه في الواقع يبدو لي ان ما لدي من تساؤلات ، مشروعة من وجهة نظري على الأقل . لدي في الواقع سؤال بشقين مترابطين ، الأول هو حول الدلالات والمعاني السياسية للانفتاح الاقتصادي ، الذي حصل في مصر ابتداءً من السبعينات وقد أفاض الدكتور في بحثه عن هذا الموضوع وعن آثاره . إلا أنه لم يتعرض في الواقع للدلالات السياسية التي تكمن وراء عملية الانفتاح الاقتصادي ، هذه الدلالات والأهداف السياسية التي تبلورت شيئاً فشيئاً في ما ظهر من مواقف سياسية تمثلت بشكل أساسي في كمب ديفيد وكل ما حصل وما هو حاصر وكلنا يعرف ذلك . صحيح ان د . فؤاد قد رسم صورة واضحة وصحيحة إلى حدٍ كبير لفترتين ويعتبر بحثه منقسماً إلى جزئين ، جزء ما قبل السبعينات والجزء الثاني هو السبعينات وما بعدها . وكان تركيزه في الجانبين على الجانب الاقتصادي ، وبالتالي مع إنكار أو إلغاء الارتباط المتين جداً والجدلي الذي لا يمكن أن ينفك بين الجانبين الاقتصادي والسياسي في النظام العالمي الجديد أو القديم ، فالأهداف السياسية للانفتاح

الاقتصادي كانت هي المقصودة وهي التي أراد النظام المصري أن يتوخاها من خلال سياسة الانفتاح الاقتصادي ، وذلك نظراً لأن القوى الامبريالية تعتبر مصر ليست فقط كقيمة اقتصادية ، وإنما تعتبرها أيضاً كقيمة سياسية هامة جداً جداً ، وبالتالي كانت المعارك التي خاضها عبد الناصر هي معارك سياسية تمحورت حول ثلاثة أهداف ، التحرر الوطني ، والتحرر القومي مع الاستقلال القومي والحياد الايجابي ، بالاضافة إلى رفض التبعية بجميع أشكالها . سواء كانت هذه التبعية سياسية أو اقتصادية . هذه نقطة .

النقطة الثانية وأريد أن أوجز متعلقة بأزمة الثورة العربية . في اعتقادي ان أزمة الثورة العربية ، هي ناتجة عن غياب القرار السياسي الناجم بدوره عن غياب القيادة التاريخية التي تكون في مستوى التحديات وإنجاز المهام التي سبق الاشارة إليها ، التي هي التحرر الوطني والقومي والاستقلال الايجابي ورفض التبعية ، ومقاومة كل هذه الأشياء .

وفي هذا المجال أعتقد أن المشروع الناصري كما أصبح واضحاً ومنذ مناقشات البارحة والطروحات التي قدمت ، إن المشروع الناصري والنضال على أساسه هو ضمانة لقلب المعادلة أي بحسم الصراع لصالح قوى الثورة والتحرر والاشتراكية والتقدم . في مواجهة قوى الاستعمار والامبريالية وكل أذنابها من الرجعيات المحلية والقوى الصهيونية وغيرها . فما رأي د. فؤاد مرسي بذلك .

ـ الرئاسة : نرجو أن تكون الأسئلة قصيرة .

ـ د. فؤاد مرسي : فيما يتعلق بالشق الأول من السؤال وهو الأهداف السياسية ، من وراء الانفتاح الاقتصادي . فأنا متفق تماماً مع الأخ المتحدث لأن الانفتاح الاقتصادي سياسة متكاملة . كان الغرض منها إعادة الرأسمالية إلى مصر لكي تفعل فعلها ، فتصبح مصر تابعة ، ملحقة بالرأسمالية العالمية من جديد ، ومن ثم تنفذ كافة مشروعات الامبريالية العالمية ليس فقط في مصر وإنما في المنطقة العربية . وهذا هو ما ثبت لنا ولذلك أنا لا أفصل أبداً بين الجانب الاقتصادي لسياسة الانفتاح وبين جانبها السياسي . وعندما كتبت مهاجماً سياسة الانفتاح في عام ٧٥ كان فض الاشتباك الثاني قد تم . وعندئذ كتبت أن الرابطة عضوية بين فض الاشتباك وبين الانفتاح الاقتصادي وهذا كلام واضح ليس هناك من داع لاطالة الكلام فيه .

بالنسبة للشق الثاني ، أزمة الثورة العربية وغياب القرار السياسي لا شك ان غيبة القرار السياسي وغيبة القيادة السياسية وغيبة شخصية وقيادة جمال عبد الناصر لها دور أساسي في هذا . الأزمة كانت قد بدأت قبل وفاته ثم تفاقمت بعد وفاته واستحكمت وأصبحت أزمة حقيقية ، علينا أن ندرسها أكثر مما ندرس الكلام الوردي والزهري الذي يخدر ويبعدنا عن مناقشة كيف نواجه حاضرنا ومستقبلنا .

ولذلك أنا أقول ان الأزمة موجودة وزادت في تقديري نتيجة للتطورات الاقتصادية التي

طرأت على هياكل الاقتصاد العربي وبالذات في البلدان النفطية ، في السبعينات . لكن مع ذلك معروف ان الأمور ليست بين أيدي الحكام فقط . هناك طبقات أخرى لها مصلحة ضد هذا . هذه هي الطبقات الثورية والطبقات الشعبية أساساً . الذي نراه ، أين العقدة ، حتى نخرج من هذا الواقع ؟؟ .

العقدة في تقديري هي في تفتت القوى الثورية وعدم تلاقيها وتوحدها والتفاتها بعضها إلى بعض أكثر من التفاتها جميعاً باتجاه العدو الرئيسي الامبريالية العالمية وعلى رأسها أميركا ، ومعها اسرائيل . فالتفاتنا نحن ، القوى الثورية إلى بعضنا البعض ، هو الذي يشكل عقدة الموقف العربي الآن . أنا لا يهمني حكّام أو حكومات ، ورجعية واستعمار ، ان يأخذوا أي موقف هذا طبيعي منهم ، ولا أريد أن أعلق عليهم أبداً فشلي ولا أزمتي . فشلنا وأزمتنا فينا نحن . القوى الثورية العربية هي البداية وهي النهاية .

نحن اليوم نرى الحرب الدموية الأخوية بين العراق وإيران هذا مثل بعيد إنما يعطينا صورة ، الحروب الداخلية في العالم العربي لنعدها بين دولة ودولة ، لنعد الحروب الداخلية داخل كل قطر عربي . إن الاستعمار يفعل فينا ذلك ، نعم وهذا من حقه . مشروع تماماً انه يكسّرنا ويصفينا . لكن ماذا فعلنا نحن . ما هو دورنا نحن ؟ ولذلك المشكلة فينا . أن نتجمع نحن . العقدة هي وحدة القوى الثورية العربية في كل قطر على حدة . ثم على مستوى الأقطار العربية جميعاً . إذا تم هذا ، ليس هناك مجال لا للاستعمار ولا لاسرائيل ولا للرجعية .

ـ طاهر عبد الحكيم : لي تعليق قصير إذا سمحت رئاسة الندورة ثم سؤ ال لأستاذنا فؤ اد مرسي .

تعليقي يبدأ أولا بأن أسجل ان ما أنجزته ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . هو ملك لكل القوى الوطنية المصرية ، هو جزء هام من انجازات نضال شعبنا وهو أساس لنضالات شعبنا حالياً ومستقبلاً وهو جزء من تصورنا لما يجب أن تكون عليه مصر في مستقبلها . ومن هنا كان مشروعاً أن تنشغل كل القوى الوطنية المصرية بمناقشة أو بالتساؤ ل عن لماذا حدث ما حدث . ومن هنا كان مشروعاً لكل القوى الوطنية المصرية أن تنشغل بمناقشة كيف يمكن تجاوز السلبيات التي أدت إلى هذه النكسة وكيف يمكن وضع مصر مرة أخرى على طريق التطور التقدمي كشرط أساسي لاخراج أمتنا العربية بأسرها من أزمتها . هذا هو الشق الأول من تعليقي .

الشق الثاني من التعليق ، خاص بملاحظة وردت في حديث استاذنا الدكتور فؤ اد مرسي .

موضوع الندوة هو « الناصرية والنظام العالمي الجديد » . وكان جيداً جداً من د. حسام عيسى أن قال ان قضية تغيير النظام العالمي هي قضية صراعية في المحل الأول وتعتمد على المشروع الوطني . لاحظت في كل البحوث التي قدمت أن المشروع الوطني الذي انجزه أو كان ينجزه

الرئيس جمال عبد الناصر تركز على قضية القطاع العام . بينما جانب هام من المشروع الوطني لم يُشر إليه على الاطلاق وهو الجانب الزراعي من المشروع الوطني وفي رأيي انه هو الأساس وان إهماله كان هو أساس النكسة التي شهدتها مصر . الرجعية في مصر كانت تنمو في الريف وانتكاسة مايو ٧١ بدأت أساساً من الرجعية في الريف المصري . ومن هنا ملاحظتي على ما قاله د. فؤاد مرسي من أن الرئيس جمال عبد الناصر ، قال انه وهو يقود سيارته إلى القناطر وجد ان الفلاح المصري شأنه أوحاله ، مثلما كان عليه قبل الثورة من الممكن أن يقول الرئيس جمال عبد الناصر ذلك ، لأن له طموحات أكبر فيما يتعلق بمستقبل الفلاح المصري . ولكن في الواقع وانصافاً للرئيس جمال عبد الناصر نفسه أن الاصلاح الزراعي الذي أنجزه الرئيس جمال عبد الناصر رغم حجمه الضيق ، فمن خمسة مليون فدان لم يجر الاصلاح الزراعي إلا على حوالي ثلاثة أرباع المليون فدان ، لم يجر توزيع سوى حوالي ثلاثة أرباع المليون فدان على الفلاحين الفقراء في مصر ، ومع ذلك هذا كان له أثر كبير جداً .

ـ د. فؤاد مرسي : ولكن هناك الايجار .

ـ طاهر عبد الحكيم : آسف . كان له أثر كبير جداً . الأثر الأدبي أولا في التكوين النفسي والفكري للفلاح المصري ، ان الملكية الخاصة في الريف قد هزت قدسيتها ، قدسية الملكية الخاصة في الريف انتهت وأصبح الفلاح المصري يشعر أن من حقه أن يتطلع إلى ملكية أو إلى أن يملك ما يملكه السادة . هذا إنجاز هام جداً في تكوين الفلاح المصري . على المستوى العادي . هناك أشياء حدثت ربما تبدو صغيرة ولكن لها أهمية يجب أن نذكرها . أنا ابن قرية مصرية ، حتى سنة ٥٢ وفي مدى ٣٠ عاماً من افتتاح الجامعة المصرية ، لم يكن قد تخرج من قريتي حتى سنة ٥٢ سوى واحد فقط تخرج قبل ٥٢ بعشر سنوات وأنا كنت الثاني الذي تخرج من الجامعة سنة ٥٢ . دخلت السجن سنة ٥٩ وخرجت سنة ٦٤ وجدت خمسين واحداً من أبناء قريتي تخرجوا من الجامعة . أعتقد ان هذا تغيير هام في القرية المصرية . وجدت عشرات من أبناء القرية في مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد متوسطة . أنا أقول هذا لماذا ؟ ليس فقط انصافاً للناصرية فقط وإنما نقد ذاتي لنا نحن الذين كان يجب أن نهتم بالقضية الزراعية إهتماماً كبيراً . إهتمامنا طول فترة عبد الناصر كان منصباً على القطاع العام . بدأنا نهتم بالقضية الزراعية وبما يحدث في الريف فقط بعد حادثة كمشيش ، ثم توقف وأذكر ويذكر الأخوان الذين كانوا في موقع المسؤولية حادثاً خطيراً وقع سنة ١٩٦٨ ، في المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي العربي ، اتخذت اللجنة الزراعية قراراً .

ـ د. مرسي : عام ٦٩ .

ـ عبد الحكيم : بعد المؤتمر الذي جاء بعد بيان مارس ، اتخذت اللجنة الزراعية قراراً بأن يكون أربع أخماس مقاعد الجمعيات التعاونية في الريف ، من حق صغار الملاك . أو صغار الفلاحين . سيد مرعي وهو يتلو قرارات المؤتمر القومي بمفرده شطب هذا القرار ولم يتصدَّ أحد

له ، لا في المؤتمر ولا خارج المؤتمر ولا بعد المؤتمر . هذه مسؤ وليتنا جميعاً ، وأنا ألفت النظر إلى أن مواجهة الردة في مصر ، ليست بالتركيز فقط على القطاع العام ، ولكن يجب أن نهتم بالريف . والريف بنفسه ثار ، يعني ما أقوله عن تغيرات حدثت للفلاح المصري تفسر لنا تلك الانتفاضات المسلحة ، التي كان فيها الفلاحون يقاومون عمليات استعادة الأراضي منهم لاعادتها إلى كبار الملاك كانوا يقاومون ذلك بالسلاح . هناك تحول حقيقي حدث في الريف المصري ، وهو الذي يجب أن يحظى منّا بكل الاهتمام هذا هو تعليقي على ملاحظة الدكتور فؤ اد مرسي والكلمة التي نقلها عن الرئيس جمال عبد الناصر .

نحن في اجتماع من المثقفين والمفكرين ، قضية فكرية أثارها أستاذنا د. فؤ اد مرسي ، وهي قضية على درجة عالية جداً من الدقة وتشغل أذهان كثير من المثقفين الثوريين العرب وربما في العالم أيضاً . أي قضية التحول اللارأسمالي . أستاذنا فؤ اد مرسي وصف هذه الصيغة بأنها صيغة يمكن أن تؤ دي للاشتراكية ويمكن أن تؤ دي إلى الرأسمالية . إذا سمح لي الدكتور فؤ اد مرسي ، أن أقترح تعديلاً لهذه الصيغة ، وهو أن أسميه الطريق الوطني للتنمية وللتغلب على التخلف . أنا اسميه هكذا حتى لا نخلط بين ما كان يتم في مصر في النهج الذي ينتهجه جمال عبد الناصر وبين طريق النمو اللارأسمالي الذي ورد في الأدبيات الماركسية والذي له مواصفات خاصة وتقول الماركسية أنه يجب أن يؤ دي إلى الاشتراكية . لا تقول أنه يمكن أن يؤ دي إلى هنا أو يؤ دي إلى هنا . لكي نفرق ما بين الاثنين أنا أقترح تسميته أولا بالطريق الوطني للتنمية والتغلب على التخلف وأريد أن أقول ان التعديل الذي أقترحه : أن هذا الطريق ، إمّا أن يتجه إلى بناء الاشتراكية ، ويستجيب إلى متطلبات الاتجاه لبناء الاشتراكية ، أو أن ينتكس وتتغلب عليه الرأسمالية . هذه الصيغة البديلة التي أقترحها ليس إما أن يتجه إلى الاشتراكية أو يتجه إلى الرأسمالية ، لا . إما أن يتجه إلى الاشتراكية ، أو أن ينتكس وتتغلب عليه الرأسمالية وهذا هو ما حدث في مصر في تقديري .

ـ أحمد الكيخي : السؤ ال هو لمن يرغب في الإجابة لأن د . مرس رجل إشتراكي وكل الأسئلة وجهت إليه فأصبح رأسمالياً في الاجابة .

فأود أن تكون الاجابة من أي مشارك يشعر أن بامكانه أن يجيب على هذا السؤ ال أو التساؤ ل وقد يكون هذا التساؤ ل خارج الموضوع .

باختصار عندما أرى عبد الناصر وأقرأ كمال جنبلاط فكأنني أمام شخصين في شخصية واحدة . كمال جنبلاط الفارس النظري لعبد الناصر وعبد الناصر الفارس العملي لكمال جنبلاط . هذا ما يتراءى لي فهل لهذا رصيد ما في الواقع أم لا .

ـ خالد محي الدين : كمال جنبلاط لنضال الحركة الوطنية اللبنانية هو قيادة ، لا شك في

هذا . ولكن المقارنة مع عبد الناصر ، تكون صعبة . لأن جمال عبد الناصر بجانب انه مناضل هو أيضاً كان رئيس دولة وحقق بالتجربة العملية أشياء تعتبر من المنجزات التي تعدت حدود الدولة المصرية . إنما القضية ان النضال الذي كان يناضله كمال جنبلاط، الأهداف التي كان يناضل من أجلها هي نفس الأهداف التي كان يناضل من أجلها جمال عبد الناصر ولكن في بلد آخر وفي ظروف أخرى ولذلك كان أسى القوى الثورية في مصر وفي العالم العربي على فقده ، كبيراً لأنه كان قيادة في معركة ، وكان رجلاً يحمل السلاح ويقود حركة وطنية تواجه قوى تريد أن تقسم لبنان وتلحقه بركب الصهيونية والاستعمار العالمي . طبعاً التاريخ لا يكرر نفسه في شخصين ولا في وضعين ولكن يمكن أن نقول ان كمال جنبلاط قيادة ثورية في الحركة الوطنية اللبنانية وبالتبعية فهو بالنسبة للمقارنة مع عبد الناصر فهو قيادة ثورية في مصر والعالم العربي وآسيا وافريقيا ، من هذا الحركة الثورية تتكامل في نضالها .

تعقيب جاك بيرك
عن عبد الناصر وجنبلاط

لقد أغرتني أنا أيضاً معرفتي السابقة لهذين الرجلين العظيمين لاقامة نوع من الموازنة بينهما لن تكون أدبية فقط . . أظن كما قال خالد محي الدين أنهما زعيمان ثوريان كبيران من المجهد التفضيل بينهما ونحن لسنا اليوم في معرض توزيع الجوائز ، لكي نمنح الجائزة الأولى أو الثانية لجمال عبد الناصر أو لكمال جنبلاط ؟ وما أقدر على قوله ببساطة هو أنه يبدو لي أن الشخصيتين الغنيتين لهذين الرجلين العظيمين لا يمكن تقديم إحداهما على الأخرى . فيوجد مثلاً عند عبد الناصر خلق وابداع لمثال سياسي شائع يحتذي به ويتطور بنسب معينة في العالم أجمع لا بل أظن أنه يكبر عن أفق هذا العالم . ولا أعتقد أن هذه هي حال كمال جنبلاط لكنني أعتقد من ناحية أخرى أنه في شخصية كمال جنبلاط توجد خصائص تجذب المواطن في النضال الثوري ، في النضال الشاعري إذ أن الشعر هو أيضاً نضال ولقد كان ميدان نضال عند جنبلاط ، قصارى القول أظن أنهما تجربتان عاليتان لكنهما ، تتفاعلان باتجاه بعضهما ولا أستطيع سوى أن أتمنى أن يكون في العالم العربي هذا النوع من التفاعل المتبادل الذي يعود إلى عهد حديث جداً وأن ينتهي إلى التلاقي وإلى التحليل الموضوعي بدلاً من التشرذم والركون أغلب الأحيان إلى صدف الأحداث .

- أديب ديمتري : الحقيقة ان ما دفعني للتساؤ ل الذي سأقوله وهو بسيط جداً . إحساسي بالثروة الضخمة الفكرية والعلمية التي يعطيها هذا اللقاء . وأعتقد ان القضايا التي طرحت وتقييم القوى الثورية والتقدمية للناصرية لم يعد محل خلاف ، من الممكن أن تكون هناك خلافات في التفاصيل ، لكن في الخطوط العريضة ، وكما جرى في هذا اللقاء بلا جدال أن الجميع يجمع على الانجازات الضخمة ، الدور التاريخي إلى آخر ما قيل وهو أصبح شيء مستقر في ضمير الأمة العربية ، والعالم . التساؤ ل عميق خصوصاً بين الشباب . لماذا حدث ما حدث ؟ كيف

يحدث في مصر أو العالم العربي ما يحدث ؟ طبعاً جزء كبير من هذا السؤال أو التساؤل أجيب عليه في الكلمات التي ألقيت هنا . وألقي الأضواء على عديد منها . لكن أنا أحذر حيث السؤال لا زال يطارد الشباب العربي والأمة العربية . وعلينا أن نضع يدنا على المفتاح الرئيسي ، لماذا حدث هذا ؟ .

هذا لا يعني انه في ندوة مثل هذه ستتكلم عن الايجابيات والسلبيات ، ونقول ندوة هدفها محدد ، وفي هذا الاطار الندوة حققت هدفها . ولكن هناك سؤالين صغيرين للدكتور فؤاد والدكتور حسام ، الدكتور فؤاد قال ان هذه المرحلة كانت مرحلة انتقالية ، أو نمو غير رأسمالي ، وهذه الآن غير مستخدمة كثيراً في الأدبيات الاشتراكية لأنها أحياناً تأتي بأضرار . إنما فلنقل مرحلة انتقالية .

د. حسام سأطرح عليه نقطة مهمة جداً . المشروع العملي في تغيير النظام العالمي ، وفعلاً وضع يداً على النقطة التي سيتغير منها النظام العالمي . أيضاً الأستاذ أمين هويدي وأنا أصدقه تماماً وأكن له الاحترام . يتكلم عن تجربة شخصية عن عبد الناصر . انه لم يأخذ الفرصة ولو أعطاه الزمن ، كان من الممكن أن يحقق ، وأنا أصدقه تماماً . أيضاً التجربة التي يقولها د. فؤاد عن قريب . لأن هؤلاء عرفوا عبد الناصر عن قرب وخالد وغيره . أنا أصدق هذا تماماً وقد تكون نوايا عبد الناصر كقائد وزعيم وشخص بالضبط كما وصفها أناس أنا أقدرهم وأصدقهم . لكن يبقى السؤال . ألا ترى ان أي مرحلة انتقالية لكي تنتقل منتصرة إلى ما بعدها ، تعتمد على طبيعة التحالف وطبيعة السلطة ، وان العنصر الحاسم هو هذا التحالف وتكوينه ، هل هذا كان كذلك ؟ هذه هي القضية . يعني نحن لا يمكن أن نختلف حول الانجازات ، انها حقيقة . ولكن ألا ترى ان الذي يحسم هذه المرحلة الانتقالية ، هي طبيعة التحالف ؟ وهذا هو الدرس الذي سيبقى لنا كلنا نحن الموجودين . لأننا نحن كلنا بمختلف إنتماءاتنا الفكرية عشنا المرحلة هذه التي هي من الأربعينات إلى الخمسينات بمراحل سنواتنا المختلفة . الذي أريد أن أقوله إذا كان د. إسماعيل صبري يقول ، نحن نريد الجانب الحي ، أنا أعتقد انه يجب أن نمس ، قضية ، طبيعة التحالف وعلاقتها بالنكسة وبالهزيمة خصوصاً إننا سمعنا كلاماً حول ان عبد الناصر كان في وقت من الأوقات غير حرّ الارادة . وهذه حقيقة . وهذه يكملها سؤال صغير للدكتور حسام . هذا المشروع الذي بدأ يضعه عبد الناصر وكان رائداً في العالم الثالث ، ألا ترى مدرستك الاقتصادية انه كان يشوبه في علاقاته بالشركات العالمية والسوق الرأسمالي العالمي شيء من التردد مكن الطبقات ، يعني هذا المشروع ماذا كان ينقصه ، وما الذي جعل القوى المضادة في النهاية تقلب هذا المشروع .

فالذي أريد أن أصل إليه بإختصار أننا لا بد أن نضع محور درس الفترة الناصرية ، وأتساءل ألم يكن قيام التجمع الوطني التقدمي الوحدوي هو ارهاص من أعماق الشعب المصري . بكيف تستمر الثورة والناصرية . أي كان جوهره ان الذي لم نفعله أيام عبد الناصر يجب أن نفعله اليوم . فكرة التحالف التي هي الفكرة التي تزعج بشكل شديد جداً السلطة . ألا ترى معي ان هذا المعنى

وإذا كنت تتحدث الآن عن وحدة القوى الوطنية ، هذه القضية ، ان هذا هو الدرس الكبير لنا كناصريين ، كقوميين كماركسيين وان الندوات هذه تصبح منطلقاً لنا لمزيد من هذا التحالف وارساء صيغته على أسس سليمة .

ـ خالد محيي الدين : الموضوع هو أكبر من الرد الآن ، لماذا حدث ما حدث ؟ هذا موضوع ندوة أخرى نرجو رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين أن تعد لها . لأنه هذا هو السؤال ، وإذا عرفنا لماذا حدث ما حدث فنحن سنعرف كيف نتخطى العملية . هذه قضية . هذه الندوة طرحت عدداً من القضايا تمكّننا من عمل الندوة الأخرى . ويبقى الوعد لنا بذلك . طبيعة التحالف وطبيعة السلطة قضية حاسمة في الموقف بلا شك . وأظن انني أرى ان الموضوع قد نضج تماماً .

القسم الرابـــع :

١ ـ نصوص :

● رؤ ية الثورة الفلسطينية لاسهامات الناصرية في حركة التحرر العربي العالمي ، فاضل الضاني (ممثل منظمة التحرير) .

● المغرب العربي والناصرية ، د. محمد زنيبر .

● الناصرية والنظام العالمي الجديد ، مقدمات نتائج رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين .

● الكلمة الختامية للندوة ، جاك بيرك .

كلمة فاضل الضاني
مندوب منظمة تحرير فلسطين

أيها الأخوة والأصدقاء ، كيف يمكن أن نتحدث عن النظام الدولي دون أن نتذكر جمال عبد الناصر ومع ذلك فنحن لا نتحدث عن عبد الناصر لنبين دوره الكبير ولا مساهمته الفعالة في تغيير الأوضاع الدولية ، باتجاه تحرر أوسع للشعوب وتقدم أعظم للانسانية جمعاء ، إن حديثنا عن عبد الناصر اليوم لا بد أن يركز بالدرجة الأولى على العناصر والاختيارات الأساسية التي جعلت من سياسته سياسة تحررية ومكنته من أن يلعب الدور الذي حدده لنفسه :

أول هذه الاختيارات هو في نظرنا الاختيار الشعبي فوراء السياسة الخارجية تصور جديد لمصر اشكلاتها وقضاياها ، وحيث كانت السياسة التقليدية هي التحالف الغربي المستمر والبديهي أصبح التفكير بمصلحة مصر العميقة ، مصر الشعب يقتضي نظرة جديدة للتحالفات الخارجية والعلاقات الدولية .

وثاني هذه الاختيارات هو اختيار عربي ، إن مصر لا تستطيع أن تغير الأوضاع الدولية المجتمعة وتقضي على الهيمنة الأجنبية ، دون أن تغير أولا في أوضاع المنطقة المحيطة بها ، والمرتبطة بها تاريخياً وثقافياً وقومياً .

وثالث هذه الاختيارات اختيار عدم الانحياز والمساهمة في اخراج السياسة الدولية من هيمنة النزاع الدائم بين المعسكرين .

لقد كانت الحرب الباردة تقضي على كل مبادرة سياسية للدول النامية وتلغيها كلياً من الحساب ، وقد شق عبد الناصر كأحد زعماء ومؤسسي كتلة عدم الانحياز طريقاً مشت عليه الدول النامية الطامحة إلى تحقيق تقدمها ومصالح شعوبها ، لا التورط في صراعات الدول الكبرى ، منذ ذلك التاريخ أصبحت كتلة عدم الانحياز بدون شك إحدى مكونات المسرح السياسي الدولي ، بل أعظم مكونة فيه رغم حقها الاقتصادي والعسكري ، فهي تضم أكبر عدد من الدول والقسم الأعظم من سكان الدول النامية ، وتلعب دوراً فعالا في المنظمات الدولية ، وفي الحد من خطر تفاقم الحرب الباردة بين العملاقين .

هذه الاختيارات السياسية الثلاث هي التي شكلت أسس التحول الذي أحدثه عبد الناصر ، في النظام الدولي ، فقد أعطى عبد الناصر للنظام الدولي جوهر الأفكار التي تقيمه على أساس من العدالة والتعاون .

ليس المهم اليوم الحديث عن مساهمة عبد الناصر المباشرة في احداث التغيير الدولي ولكن أهم من ذلك هو بلورته للأفكار الأساسية التي تبرر وتضمن التغيير ، ونحن نرى اليوم كيف انه في كل مكان تتراجع فيه هذه الأفكار وتظهر من جديد السياسة التقليدية المحافظة ، داخلياً ودولياً ، اهمال مصالح الشعب ، التوجه نحو الأحلاف الأجنبية ووصاية الدول الكبرى وتوظيف النفط في خدمة أهداف لا علاقة لها بتحقيق مصالح الأمة .

نحن كفلسطينيين أكثر من يدرك اليوم دين الأمة العربية الكبير لعبد الناصر ولا يسعنا إلا أن نسير على الطريق الذي خطه مرددين معه ما قاله يوم العدوان الثلاثي ، لقد فرض علينا القتال ولكن باسم شعب مصر باسمكم أنتم جميعاً أعلن للعالم أجمع أنه لن يوجد من يفرض علينا الاستسلام وشكراً .

المغرب العربي والناصرية

محمد زنير
أستاذ التاريخ في جامعة الرباط

من أجل تقييم جديد للناصرية أقدم أولا ، سيداتي سادتي ، الشكر لمنظمي هذه الندوة وللرئاسة لسماحها لي بالادلاء بالرأي بصفتي ممثلا لبلد قد بدأ المرحلة الأخيرة والصعبة في نضاله من أجل الحرية الوطنية في نفس الوقت الذي بدأت فيه الثورة الناصرية بالانطلاق . لقد كان من حظنا نحن الوطنيون المقاومون المغاربة أننا وجدنا جمال عبد الناصر على رأس مصر في نفس الوقت الذي كان الاستعمار يهاجم ما كان لا يزال صامداً من السلطة الوطنية المغربية . إن لقاءنا معه يقوم حول ضرورة : الحصول أو معاودة الحصول على الحرية . لقد كان لقاء بين أخوة فكما كان هو الأخ البكر فإن دعمه لحركتنا التحررية الوطنية لم يخب أبداً . لقد آوت القاهرة عدداً من الزعماء الوطنيين المغاربة مثل محمد ابن عبد الكريم الخطابي وأخيه محمد علي الفتي . . الخ .

ولقد أتى صوت الأمل من القاهرة الناصرية عبر الموجات لكي تؤكد إرادة الوطنيين في القتال وأعادت إحياء الأمل في قلب شعب يعاني من التجربة المرة . لهذا رغبت في الحديث إليكم اليوم وأظن أنه يجب أن يسمع صوت المغاربة في ندوة نُظمت حول عبد الناصر والناصرية لأنه إذا أخذنا في الاعتبار نهج عبد الناصر كسياسي وثوري وقومي عربي فسنرى أنه ينتمي إلى عرب المغرب كما إلى عرب المشرق . لكنني لن أطيل حول هذا الموقف العاطفي الذي قد ينشد بنا نحو اللغو . وهذا ما يجب تجنبه وعلى الأخص في ندوة يفترض فيها أن تكون لكل العرب مناسبة لامتحان ضمير ولنقد ذاتي صادق . من بين بشائر هذا النظام العالمي الجديد الذي لا يزال في الطور الجنيني والذي لا يزال يغشاه الكثير من الضباب ، يوجد هذا التفتح للوعي الذي يشتد حدة أكثر فأكثر والذي ينتشر أكثر فأكثر والعديد من المشاكل التي تتعرض لها الانسانية لم يتوصل فيها إلى حل .

ما يزال يوجد حتى يومنا هذا أشخاص يستطيعون زراعة حدائقهم محصنين ضد كل ما يمكن تسميته مشاكل ، لكن ليست هذه حالة الدول ولا الجماعات ولا الشعوب التي يلح عليها ، هذا المستوى أو ذاك ، من التطور الشامل لكل كوكبنا . وهذا ما يجب أن ننتبه إليه دائما ، باعتباره جزءا من مسؤوليات كل القواد والسياسيين في كل بلاد العالم .

ان الحقيقة الآن ، لم تكن كذلك في ربع القرن الماضي ، حيث كان مصير العالم بين يدي

بعض القوى الكبرى بعيداً عن خيار الآخرين أو حتى ابداء آرائهم . مما دفع المؤ رخ وعالم الاجتماع اليوم إلى التساؤ ل حول الكيفية التي تم بواسطتها إنجاز هذا التطور لا بل هذه الثورة حسب المفهوم العالمي وفوق قدرة الجميع . هل القوى الكبرى التي هاجمت واعتدت ، تخلت فجأة وبسرعة عن تعجرفها فسمحت للشعوب الصغيرة بأن تصرخ بصوت عال وأن تثبت وجودها على المسرح العالمي ؟ للأسف لا . . والحروب الاستعمارية التي منها مثلاً حرب فيتنام أو الجزائر تذكرنا بذلك . والوضع الذي توصلت إليه هذه الشعوب الصغيرة التي نجمعها تحت الاسم الباهت للعالم أجمع هو أجدر بتسميته فتحاً أتى نتيجة لنضال لم يعثره التهاون وعرف مراحل نشطة حققت نجاحات من كل القياسات . ويستطيع المؤ رخ أن يؤكد اليوم دون أن يخشى أي تكذيب أن الناصرية تشكل واحدة من هذه النجاحات الكبيرة التي أقامت دعائم النظام العالمي الجديد .

لقد عرف العالم بأشمله رجالا عظماء عديدين قبيل عبد الناصر أمثال غاندي ونهرو وماوتسي تونغ وهوشي منه لكن العظمة تختلف من رجل لآخر إلى حد تضحى معه غير ممكنة التحديد . وعظمة عبد الناصر إذا نُظر إليها من زاوية معينة تقوم على الحصول على نتائج سياسية ملموسة مع اقتصاد قادر ليس بأقل منها أهمية . لقد افترض وبلغة سلسة ، من كل جوانبها ، المشاكل التي تعاني منها الشعوب المضطهدة وتحدى القوى العظمى الامبريالية على المسرح العالمي وقضى على بعض وسائل هيمنتها التي كان لها معنى رمزي أكثر منه فعلي ودون أن يسيل قطرة دم واحدة . لقد عرف بفضل مواهبه التخطيطية ومواهبه السياسية وقدرته على استشفاف حاجة الجماهير . أن يسرّع عجلة التاريخ . وأن يكشف على الملأ فضائح القوى الامبريالية الاستعمارية . ضمن هذا المعنى نستطيع القول أنه ساهم بشكل كبير في توجيه عالمنا صوب نظام جديد . هل النظام الذي يتم تحضيره أمام أعيننا هو تماماً الذي كان يؤمن به ؟ إن هذا هو أمر آخر . لقد حصل العديد من الانحرافات والخيانات في عالمنا منذ وفاته قبيل عشر سنوات ولا نستطيع أن نحمله مسؤ ولية ذلك . وليس صعباً علينا أن نعرف النظام العالمي الذي جاهد من أجله طوال حياته . بالنسبة إليه ، إنه النظام الذي يقوم على الارادة الحرة لكل الشعوب وعلى طموحاتها وعلى العدالة وعلى حياة أفضل . ولكن هل نستطيع أن نقول ان النظام الذي يحضر لنا اليوم والذي يدفعوننا للسير في ركابه هو هذا نفسه ؟ . على كل حال يجب دراسة المشاركة الفعالة للناصرية ضمن هذه العملية التاريخية الكبيرة بقيمتها والتي تشكل ربما الحدث الأهم في هذا الجزء الثاني من هذا القرن . وسيؤ دي هذا إلى تسليط الضوء على ثلاثة مراحل أساسية :

أولا : مساهمة الناصرية في النضال من أجل التحرر الوطني وفي القضاء على الاستعمار في العالم .

ثانياً : مساهمة الناصرية في صياغة مفهوم جديد للتطور لكل الشعوب التي اختارت عدم الانحياز مع انتهاجها لاشتراكية متطورة .

ثالثاً : مسيرة الناصرية بعد عبد الناصر .

مما يفسح المجال لمجموعة دراسات تتركز حول كل نقطة . من المؤكد أنه في إطار هذه المقولة ، وضمن اختصار قسري ، فليس ثمة حاجة بنا لتحليل هذه المراحل الثلاث . وسنكتفي ، بأن نظهر الاهتمام الذي نخص به الناصرية . ماذا هي حالياً ؟ وما هي التجربة التاريخية التي تمثلها والتي تبقى مصدر إلهام لفكرنا وحركتنا إن اليوم أو غداً ؟ على كل حال إن دعوتها للوحدة تأتي من منظور ليس بحاجة لاقامة البرهان عليه . لأنها على الأقل تجيب على أربع اعتبارات مهمة في نظرنا :

أولا : لا يجب أن يغيب عن أنظارنا الطابع الخاص والمميز الذي تمتاز به التجربة الناصرية ولنهجها العميق في مواجهة القضايا ، التي صادفتها منذ الخمسينات ، بوعي إن في العالم العربي أو في كل العالم عموماً . إنها تجربة لا يمكن مقارنتها بأي تجربة أخرى وتستحق بأن تمحص بكل ما فيها من خصوصية .

ثانياً : الأزمة العميقة التي يجتازها العالم العربي اليوم والعالم بأجمعه تطرح أمام الملأ الناصرية كفكر وعمل لم يدرسا ولم يعرفا جيداً بعد والتي ربما تحتوي على الجواب على العديد من التساؤلات التي تطرحها الأجيال الصاعدة .

ثالثاً : يتعلق الأمر بتقييم الناصرية ضمن اطارها الخاص الذي مسخ وشوه بفعل الحملات عليها تحت شعارات مشبوهة كشعار : « لا تتردد في ولوج الدرب الموعر للفاشية والتعصب » .

رابعاً : إن المحاولات الحديثة سواء عبر الحوار أو عبر التساؤل حول عدم الانحياز أو كما كان يسميه عبد الناصر الحياد الايجابي تجبرنا اليوم على الرجوع إلى المفهوم الخاص للناصرية حول هذا الموضوع .

هاكم إذاً أربعة أسباب هامة لاعادة تقييم الناصرية ضمن الاعتبار التاريخي حيث نشأت ، وفي نفس الوقت ، تحت ضوء التطور الحالي لعالمنا . إذا أردنا الآن استخلاص التوجهات الهامة التي تطلعت إليها الناصرية والتي تعطي في شكل من الأشكال اعتبارها للنظام العالمي الجديد نستطيع أن نذكر منها على الأقل ثلاثة :

أولا : النضال ضد الامبريالية والاستعمار ولا يتعلق الأمر هنا بالموقف المعتاد الذي نصادفه عند الحركات التحررية الوطنية الأخرى . فعبد الناصر لم يكُ ينظر إلى النضال ضمن المقياس المحدود للأرض الوطنية بل إنه كان يحمله إلى المقياس العالمي لأنه كان يعرف أن العدالة لا تستطيع أن تكون موجودة مع الظلم والاضطهاد في العالم .

وبمواقفه تجاه الشعوب المضطهدة ، العرب مشرقاً ومغرباً ، الأفارقة الآسيويون .. إلخ . كان ضرورياً بالنسبة إليه أن تقضي أيديولوجية تحرير الشعوب إلى الأبد على أيديولوجية الاستعمار والامبريالية . كان الأمر يتعلق إذاً بجهاد مقدس يجب متابعته حتى إرساء دعائم نظام عالمي جديد مبني على العدالة والاحترام المتبادل بين كل الشعوب الكبيرة والصغيرة .

ثانياً : الحياد الايجابي أو عدم الانحياز . إنه مرتبط عضوياً بالتوجه السابق الذي يطرح قبلاً المبدأ الكامل لتحرير الشعوب . لكن من أجل حماية استقلال الشعوب المحررة في عالم تهيمن على جزء كبير منه قوى عظمى يجب بالضرورة خلق قوة ثالثة مبنية على تضامن هذه الشعوب الصغيرة وتستطيع هذه القوة ببقائها خارج نطاق التسابق للانضمام إلى معسكري الشرق والغرب أن تمارس عليهما تأثيرها وأن تجبرهما على سلوك منحى الهدوء والسلام . لهذا سميت الحياد الايجابي . هذه هي عبارة عبد الناصر . لكن هذا المعنى الفعلي لعدم الانحياز هل تمت المحافظة عليه حتى أيامنا هذه أم أنه تعرض لتحويرات ؟ من غير المجدي الوقوف عند المحاولات التي جرت أثناء آخر مؤتمر لعدم الانحياز سعياً وراء إفراغ الفكرة الأساسية من مضمونها الحقيقي وسعياً لحرف منظمة عدم الانحياز نحو مواقف موالية للقوى العظمى ، مما سيكون له عاقبة تتعارض وروح الناصرية بتقليص دور غالبية شعوب الأرض في الحفاظ على السلام وفي بناء عالم الغد . لنتذكر أن الأمر يتعلق هنا « بالعالم أجمع » آخذين في الاعتبار أن التطور الديموغرافي لن يتأخر في تمثيل ثلاثة أرباع العالم إحصائياً . هل من الطبيعي أن تكون حرية ومصالح مثل هذه الأغلبية رهينة بين يدي واحد من المعسكرين المتسابقين على النفوذ العالمي .

الدفاع عن الاستقلال العالمي وعدم الانحياز : ها أنه بعض الرجال يرسون الدعائم المتينة التي سيشاد عليها النظام العالمي الجديد حسب الناصرية إن على الصعيد السياسي أو على الصعيد الاقتصادي . لكن في أي إطار تستطيع أن تكون أكثر ملاءمة واستجابة لتطلعات الجماهير ؟ وهنا يتدخل التوجه الثالث الذي يميز الناصرية أي : الاشتراكية .

ثالثاً : في روح الناصرية وكما يستخلص من تطورها ان الاشتراكية ليست علماً معقداً ، أو معتقداً مبنياً على المحظورات والمحرمات . إنه يتعلق بالتأكيد بالغاء استغلال الانسان لأخيه الانسان وتأمين العدالة الاجتماعية للجميع . لكن كيف الوصول إليها وتجنب الآلات البيروقراطية وأساليب القهر والمساس بالحرية ؟ هنا واحدة من المشاكل الرئيسية التي شغلت عبد الناصر طوال مرحلة مسؤوليته السياسية ونرى فيها تفكيره ينطلق بوعي ونضج أكثر بمقارنة فلسفته للثورة بالدستور الاشتراكي لعام ١٩٦٢ . وهنا واحد من مظاهر الناصرية التي تستقطب اهتماماً بالغاً من حركتنا الاشتراكية في المغرب لأنه لا يأخذ الاشتراكية كحل أو كطريقة مستقلة كلياً بل كبحث دائم من أجل التوصل إلى نتائج ايجابية بالتعاون الثابت مع الجماهير الشعبية . بالتأكيد من الممكن أن يقوم عدد من الانتقادات بخصوص الوسائل المتبعة عند تطبيق هذه الاشتراكية . أفلم يقل عبد الناصر بذاته : « ليس من السهل تنظيم الاشتراكية » على كل الأحوال الدرس الذي نستخلصه من التجربة الناصرية بخصوص هذا الموضوع وما قلناه عملياً منذ عدة سنوات هو أن الاشتراكية لا يجب أن تبقى مجرد تيار جماهيري أو موضوع حضور . بل يجب قبل كل شيء أن تكون ممهورة بتنظيم مرتب تؤثر على الطبقة العاملة عبر نقاباتها . بدون شك إن غياب التنظيم شكل النقطة الضعيفة في التجربة الاشتراكية للناصرية . ومن الصحيح أن هذا ربما لم يكن بالارادة الواثقة للرجال . وأنه كان يلزم وقت لا غنى عنه لنضوج النظرية والتجربة والتي للأسف انتزعه الموت

قبيل استوائها . هذه جملة من التوجهات التي طرحتها الناصرية للنظام العالمي الجديد .

لكل الوطن العربي خصوصاً والذي شكلت تمزقاته ونزعاته الهم الدائم لعبد الناصر .
أقترح في الخاتمة شعاره الثلاثي الشهير ، حرية ـ اشتراكية ـ وحدة .

وأشكركم على حسن إصغائكم .

كلمة رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين
« الناصرية والنظام العالمي الجديد »
مقدمــات ونتائــج

منذ مدة بدأ الحديث يرتفع حول ضرورة النظر في انقسام العالم إلى دول متقدمة وأخرى متخلفة ، وأثر هذا الانقسام على السلام العالمي ، وعلى أمن وتقدم البشرية ، وبصرف النظر عن تحديد معاني التقدم والتخلف ، ومعاييره ، فإن مثل هذه الظاهرة ، أصبحت حقيقة لا يجادل بصحة وقوعها أحد .

وانقسام العالم هذا ليس جديداً ، إنما هو حقيقة موغلة في القدم ، فدائماً كان هناك مجتمعات متقدمة ، وأخرى أقل تقدماً ، وان تفاوتت النسب ، وإذا كان وعي هذه المشكلة في هذه الحقبة التاريخية كان من أبرز دواعي استنهاض الهمم من أجل مواجهتها ، فلا شك ان هناك أسباباً موضوعية أبعد أثراً ، وأكثر فاعلية . هي التي استدعت أن تصبح هذه القضية مشكلة وأن يرتبط الأمن الانساني بها ، بأكثر من ارتباطه بقضية سلاح التدمير الشامل ومخاطره .

ومن المهم أن نقف على بعض هذه الأسباب الموضوعية ، حتى نسلط الضوء على الفارق ، بين حقيقة التفاوت بين مستويات التقدم ، تاريخياً ، وبين الوضع الذي يعيشه عالم اليوم . فمن التعميم غير العلمي أن نقول أن هذه المشكلة هي ، هي ، في كل مراحل التاريخ . لقد أضفى القرنان السابقان على هذه الحقيقا ما جعلها تختلف ، شكلاً ، ومضموناً ، عما كانت عليه في أي مرحلة سابقة .

١ ـ حدثت عملية انتقال شامل وديني في ثروات البلدان « المتخلفة » في اتجاه البلدان المتقدمة ، ولم تتخذ هذه العملية الشكل القديم في انتقال الثروة الاجتماعية حيث كانت تتحول إلى جزء من التراكم المالي عند الأقدمين ، وإنما أصبحت عنصراً أساسياً في عملية نمو المجتمعات الرأسمالية ، وبالتالي فإنها دفعت عجلة النهوض الاقتصادي ، وزادت من تسارعه في البلدان الرأسمالية ، وخففت كثيراً من التناقضات التي ولدها هذا النظام ، فتحول الأمر ، من استغلال طبقي بحت إلى استغلال طبقي يأخذ سمة استغلال أمة لأمة .

ان هذا العامل يعني ان انتقال ثروات البلدان المتخلفة إلى البلدان الرأسمالية أصبح عاملاً فاعلاً ، وأساسياً في :

ـ تحديد وتيرة النمو في هذه البلدان .

ـ معالجة تناقضات الوضع الطبقي فيها والحيلولة دون انفجارها .

ان انتقال هذا الشكل من الاستغلال ، من استغلال « الغازي » إلى استغلال النظام جعل عملية انتقال الثروات تدخل بنية النظام الرأسمالي وتصبح شرطاً لازماً حتى يأخذ هذا النظام كامل آفاقه .

٢ ـ وإذا كانت هذه هي حقيقة الاستغلال التي وقعت على الشعوب والأمم الموصوفة اليوم بالتخلف ، فإنه لم يعد مهماً الشكل الذي يؤمن للنظام الرأسمالي تدفق هذه الثروات ، وإنما المهم هنا ، أن يحصل هذا التدفق ، وحين نمسك بهذه الحقيقة فإننا ندرك معنى عبارات الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد ، ومعنى عبارات الحرية السياسية ، والحرية الاقتصادية .

فكثير من النضالات التي بذلت لنيل الاستقلال السياسي ضاعت حينما لم تدرك القيادات السياسية في هذه البلدان جوهر العملية الاستقلالية ، وحينما تاهت بين هذا الجوهر وبين أساليب ، وطرق تحقيقه .

٣ ـ وأدت ثورة الاتصالات ، إلى تفاعل لا حدود له بين الشعوب ، تفاعل أدى إلى بروز وعي عام شعبي قادر في حده الأدنى على إجراء مقارنة بين وضع التخلف ، وبين وضعية التقدم ، وعلى الاستشهاد بأمثلة عديدة لمجتمعات متخلفة استطاعت أن تكسر جدار التخلف .

واستطاع بروز العالم الاشتراكي أن يلعب دوراً كبيراً في تشكل هذا الوعي العام كما استطاعت طبيعة النظام الرأسمالي أن تعطي أدلة حسية على هذا الفارق ، وأن تشير ـ بدون إرادة منها ـ إلى طبيعتها الاستغلالية وإلى دورها في هذا الاطار .

٤ ـ ثم جاء الانفجار السكاني الذي أعاد الحقيقة الأولى للنضال الانساني حقيقة التلاؤم بين امكانات محدودة وحاجات غير محدودة ، جاء هذا الانفجار وفي يده أدلة الامكانية البشرية على ملاءمة هذه الامكانات بتلك الحاجات ، شريطة أن تتوقف عملية انتقال الثروات ، وشريطة أن يوظف جهد المجتمع في اطار تصور عام لاجتياز هذا المأزق .

ان الفارق بين معدل نمو السكان ، ومعدل نمو الدخل القومي . إذ يعطي مؤشراً لهذا الانفجار فإنه لا يكفي للدلالة على ضخامة المشكلة . فلا بد أن نضيف في هذا الاطار نظرة أبعد مدى وأوسع شمولاً ، بحيث نضمن للأجيال القادمة ، الموازنة بين امكانات الطبيعة ، وتزايد السكان . وبين وتيرة التقدم العلمي ، وبين هذا التزايد .

٥ ـ وظهر أكثر من أي يوم مضى حقيقة أن النظام السياسي في أي من هذه البلدان إنما يعبر ، وينطق بمصالح وتطلعات القوى الاقتصادية القابضة على ثروات البلد ، ومن هنا فإن مختلف أشكال ، وتدخلات ، الدولة وسياساتها ما هي إلا تعبير عن جوهر المواءمة بين المصالح المتناقضة أو المتكاملة لهذه الشركات ، وبالتالي فإن مما يخالف طبيعة الأشياء أن ينظر إلى هذه السلطات

باعتبارها ، حكماً بين ارادة شعبها ، وارادة شركاتها ، أو بين ارادة شركاتها ، وارادة الشعوب النامية ، ولعل هذه الحقيقة من الأهمية بمكان في معرفة إلى أي مدى يمكن أن يتم الحوار مع هذه البلدان للوصول إلى صيغة تؤمن اجتياز الدول المتخلفة لوضعية التخلف .

٦ - وبرزت أيضاً حقيقة عظيمة الأثر في مجال العلاقات الدولية حين خفت وهج المبادىء العظيمة العامة ، وبرز وهج المصالح العامة العظيمة ، ورست هذه العلاقات على قاعدة . ليس هناك صداقات دائمة ، وليس هناك عدوات دائمة ، وإنما هناك مصالح دائمة .

ومثل هذه القاعدة تلعب دوراً مهماً في رسم خط واضح في العلاقات الدولية وإذا كان لهذا الشعار فهم خاطىء حين توضع كل الدول على نفس القاعدة . « قاعدة مصالحها » وحين تفسر المصلحة من المنظور الضيق فإن حقيقة هذا الشعار مختلفة جداً .

ان المبادىء يجب أن تعبر عن مصالح الأمة ، وحينئذ تكون مبادىء فعالة ، وتكون الصداقات الناتجة عنها ، صداقات فعالة ، وفي اطار العلاقات دائم . هناك أخذ وهناك عطاء ويجب أن يكون واضحاً حجم كل منهما ، وآفاقه حتى لا نبني أحلاماً كاذبة ، على واقع وهمي ان العاطفة وصلات الصداقة ، إذا كانت تسهل أي عمل أو اتصال فإنها لا تصنعه وإنما المساحة المشتركة للمصالح هي التي تصنع ذلك .

وأهمية هذا المبدأ على المستوى الوطني هو ان تدرك القيادات الوطنية « المصلحة العامة للأمة » وان تلتزم بها ، وتضرب عرض الحائط بكل ما يمكن أن يتعارض معها ، أو يناقضها .

٧ - وفي هذا النظام الرأسمالي على وجه التحديد. برز التكامل بين مختلف مؤسسات النظام ، الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ، واستخدمت هذه المؤسسات كلها في تحقيق عملية الاستغلال وفي ضمان استمرارها ، ولعل ما شهده وطننا من بعثات تبشيرية ، ومن عمليات اجهاض ذاتي للدعوات القومية ، ومن استيراد وتصدير لقيادات فكرية وسياسية ، لا ترى إلا ما زرعه الغرب الاستعماري في عقولها ، واحداً من عمليات سيطرة اعلامية ، وخبرية ، وفنية على مختلف شؤون المجتمع دليل حاسم على هذه الحقيقة .

٨ - وفي هذا الاطار فإن تطوراً بالغ الأهمية برز على صعيد العلاقات الدولية حينما بدأت تظهر وتتواجد ملامح الشركات المتعددة الجنسيات باعتبارها شركات المرحلة العالمية للنظام الرأسمالي ، بعد أن تم دمج الرأسمال الصناعي ، بالرأسمال المالي ، ومن المهم في رأينا أن نلحظ الآثار الاجتماعية ، والاقتصادية لهذه الشركات في البلدان النامية ، حيث أصبح القرار الاقتصادي لديها يغطي مساحة أكبر بكثير من المساحة القومية لوضعها السابق ، وأصبحت تمثل سداً قوياً أمام احتمالات نمو ارادة وطنية في دخول ميدان التصنيع من جهة ، وفي التصدي لقضية التنمية من جهة أخرى .

فالشمول الرأسي لهذه الشركات وامتدادها إلى أغلب مراحل عمليات الانتاج والتوزيع من جهة ، والشمول الأفقي لميدان نشاطها لتشمل قارات عديدة ، جعل عملية الاستغلال تتجاوز

اطار الثروات ، إلى اطار استغلال العنصر الوطني ووضعه ، ضمن اطارات ومشاريع هذه الشركات ، وبالتالي فإن تشوهاً لبنية المجتمع أصبح يفعل فعله في هذه المجتمعات وليس مهماً هنا أن نقف على مدى انتشار نشاطات هذه الشركات في البلدان النامية اليوم وإنما المهم أن هذا التطور في دور وحجم هذه الشركات قد بدأ ولسوف يغطي خريطة العالم يوماً بعد يوم لذا فإن خطرها المستقبلي أكبر بكثير من حجم الخطر الذي يمكن أن نرصده اليوم .

٩ ـ ولعل من أهم ما برز في هذه الحركة التاريخية ، أثر القضية القومية ، ودورها في مجمل الحركة العامة ، للنظم الرأسمالية وللنظم الاشتراكية على حد سواء ، ففي النظام الرأسمالي كان الكيان القومي هو المنطلق لرسم أبعاد هذا النظام ولأنه يلعب الأدوار المميزة له ، وسيكون لهذا الكيان الدور الفعال في تحديد أشكال المقاومة النهائية لمؤسسات هذا النظام في مواجهة كل التحديات التي تعترضها ، فكلما امتدت من الاطار القومي ، لتتحول إلى اطار متعدد القوميات ، فإن الوعي الانساني ، والنضال الانساني سوف يعمل على اعادتها إلى وضعها السابق ، وفي هذا إيذان بانحدار النظام الرأسمالي ، وإذا كانت هي على استعداد لأن تدافع عن استثماراتها وأشكال استغلالها بوسائل مختلفة ، فإن حصنها الأخير ، وبالتالي الخط الأحمر الذي سوف تدافع عنه بجنون هو الخط القومي . خط الدول التي تمثلها وترعى مصالحها .

وفي اطار النظام الاشتراكي أيضاً فإن مبدأ « المصالح الدائمة » تعني مصالح الكيان السياسي القائم الدائمة وهي مصالح قومية مباشرة أساساً .

ان الانقسام القومي في العلاقات الدولية يظهر انه الانقسام الأجدى والأكثر قدرة على تحقيق أكبر تفاعل ، وتعاون ممكن .

انه في ظل مجموعة هذه الملاحظات ، وما يمكن أن يتفرع عنها أو يرفدها نستطيع أن ندرك حجم المشكلة على المستوى الدولي ، وإذا كان بروز المعسكر الاشتراكي استطاع أن يساهم في وضوح وضع كهذا ، فإن مشكلة البلدان المتخلفة لم تكن يوماً متولدة أو ذات علاقة بالمعسكر الاشتراكي على الرغم من أن القاعدة العامة « قاعدة المصالح الدائمة » تسري على كل أشكال وفلسفات الحكم .

وإذ نلتقي اليوم في الذكرى العاشرة لغياب القائد المعلم جمال عبد الناصر تحت عنوان عريض « الناصرية والنظام العالمي الجديد » فلا بد أن نعيد رؤية الحركة العامة التي أخذت صفة الناصرية من هذا المنظور .

لقد خاض النضال العربي تحت قيادة جمال عبد الناصر العديد من النضالات ، انتصر في بعضها ، وخانه الحظ في البعض الآخر ، واتخذت كل هذه النضالات عناوين ، ومسميات نرى من المفيد أن نعود إليها لنلقي عليها الضوء في سياق ما نبحث .

أولى هذه المعارك كانت كسر احتكار السلاح ثم معركة السويس ، ثم وضوح وتميز دول

عدم الانحياز فالصراع ضد الأحلاف ، ونظريات ملء الفراغ ، فاقامة دول الوحدة ، وتحديد المنهج الاشتراكي ، ومواجهة العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ ، ثم معارك الاستنزاف ، وعبر هذه المسيرة هناك العشرات من المعارك الجزئية التي تتفرع أو ترفد هذه العناوين العريضة .

فكيف نرى هذه المسيرة بين عمليات الصراع المستمرة في اطار ارساء قواعد لنظام عالمي جديد ، يسوده السلام ، والعدل ، ويؤمن للبشرية مسيرة من التعاون المستمر ينتزع منها شبح الحرب المدمرة أو شبح الخلل الواضح المؤدي - إذا استمر - حتماً إلى صراع يصعب السيطرة عليه . ثم كيف استطاع هذا القائد أن يدخل كل هذه المعارك وأن يثبت فيها وأن يحقق أبعاد ما حقق .

ان ملامح فلسفة عبد الناصر ، التي رسمها في كتيبه « فلسفة الثورة » ربطت بين اطار المشكلة ، الوطني ، والدولي ، وبين جوهر المشكلة « الاجتماعي - الجماهيري » ومن هنا فإنه حينما يتحدث عما آلت إليه الأوضاع الراهنة داخلياً يمزج بين النمو الرأسمالي العالمي ودوره ، وبين قصور وتبعية الطبقات الاجتماعية المالكة داخلياً ، بمثل ما يربط بين ضرورات التحرر السياسي ، وضرورات الثورة الاجتماعية ، ويرى ان الفصل بينهما ، معاندة غبية لحركة المجتمع ولمجموع الدلالات التي يعطيها التاريخ .

ان لقاء عبد الناصر مع شوّ ن لاي في أول مؤتمر للحياد الايجابي والذي كان فاتحة معركة كسر احتكار السلاح . إنما يعبر عن وعي حقيقي لتداخل عمليات البناء الداخلي بحقائق العلاقات الدولية ، والدفع الفعال جداً الذي نالته دول حركة عدم الانحياز من معركة السويس ،دليل بالغ على أثر المعارك الوطنية في تحديد وابراز شكل العلاقات الدولية .

ان انتصار السويس ، ودور دعوة عدم الانحياز ، استطاعا أن يقدما لعبد الناصر طاقة كبيرة في معارك لاحقة بدء من صراعه ضد نظريات ملء الفراغ ، وانتهاء بمعاركه ضد العدوان الصهيوني فيما سمي بمعارك الاستنزاف .

ان سؤالاً يطرح في هذا السياق ، كيف استطاع عبد الناصر أن يدير هذا الصراع وأن يخرج في محصلته منتصراً ، كيف تكونت هذه الفلسفة الجديدة في مجال العلاقات الدولية وكيف استطاعت أن تلعب دورها ، وما هي مميزات هذا الدور ؟

اننا نعتقد ان جمال عبد الناصر إذ استطاع أن يدير هذا الصراع على هذا النحو ، فلأنه أمسك بخمسة حقائق أساسية :

- فهو أحكم الارتباط بين مركز القرار السياسي ، وبين منابع القوة في المجتمع ، فملك كل منهما ، طاقة غير محدودة .

مركز القرار السياسي « السلطة السياسية » أصبحت مدعومة ، ومتحركة بقوة الجماهير وبامكاناتها ، وقد يكون من العسير اجراء الحساب المادي لهذه القوة بمثل ما نجريه للقوة العسكرية ، أو للقوة الاقتصادية ، لكن التاريخ أثبت لنا باستمرار أنه في أوقات الأزمات والحسم

فإن القوة الجماهيرية قادرة على أن تفعل ما تعجز القوى الأخرى عن فعله .

وإذ تذكرون كيف كان كل شيء منهاراً في أعقاب نكسة سنة ١٩٦٧ ، الجيش ، المؤسسات ، العبء الاقتصادي ، ومع ذلك استطاعت القوة الجماهيرية . جماهير ٩/ ١٠ حزيران أن تمد مركز القرار السياسي بامكانات غير محدودة مكنتها من استعادة المبادرة بزمن قياسي ويكاد يكون خيالياً .

أما منابع القوة في المجتمع فإنها حين أحست بأن القيادة السياسية ذات ارتباط وثيق بها ، لم تعد تحجم عن تقديم أي دعم ، ولم تعد تدخر أي جهد في سبيل تحقيق أهداف النضال عامة ، ان هذا لا يعني « الاستكانة » في العلاقة بين القيادة والجماهير ، وإنما تعني بدقة « المنح الواعي للثقة » . الذي يفرق بين أخطاء الممارسة « التي لا بد منها » وبين انحرافات التوجه الكافية ، والدافعة لقصم هذه الثقة .

ـ وإذا كان احكام الارتباط بين مركز القرار السياسي ، وبين منابع القوة في المجتمع هي القضية الأولى التي واجهها عبد الناصر ، فإن هذه القضية قد طرحت سؤ الا على أعلى مستوى من الخطورة ، ما هي منابع القوة في المجتمع المصري ـ العربي ـ النامي . ولقد كانت أمامه العديد من الاجابات أجهد الفكر الانساني نفسه في الوصول إليها . « أصحاب الثروات ـ الرأسمالية ـ الاقطاع ـ الطبقة العاملة ـ رأس الهرم الاجتماعي » . . . وغيرها من الاجابات ، لكن هذه الاجابات كلها اجابات وافدة ، قد تمتلك كل الحقيقة في ظرفها التاريخي ، وفي واقعها الذي خرجت منه ، لكنها قاصرة عن اعطاء اجابة كافية للواقع الذي يعيشه ، وحتى يصل عبد الناصر إلى اجابة حقيقية ، التزم بأن تكون عينيه مركزتين على الواقع أولا ، وعلى التاريخ ثانياً ، وأن تكون آذانه مفتوحة لكل التيارات والأفكار الانسانية ثالثاً ، فاستطاع أن يحصل على الاجابة دقيقة واضحة وشاملة أيضاً .

حين أخذ عبد الناصر بنظرية الاعتماد على قوى العمل الحقيقية في المجتمع في احداث التغيير الاجتماعي وفي تحديد أهداف هذا التغيير ، وحين حدد معنى ودور الاسلام في واقع الأمة ، وحين أكد الحتمية التاريخية في التوجه القومي العربي ، وفي بناء دولة واحدة للأمة الواحدة ، فإنه كان يسترشد بالواقع ، والتاريخ ، وهو منفتح على الفكر الانساني دون تعصب أو عقد ، ان الكثير من المفكرين والسياسيين من خارج وطننا العربي ، انتماء أو فكراً ، اعتبروا مثل هذا التحديد الذي خرج به عبد الناصر نوعاً من الوسطية ، لكن في حقيقة أمره كان أقصى حالات الجذرية ، فليس هناك جذرية أكثر من أن تخرج حلول المشاكل من واقع المجتمع ذاته ، ومن أن يحدد الالتزام بقوى المجتمع الفاعلة ، والمالك لقيم المستقبل .

ـ واستطاع عبد الناصر أن يدرك حقيقة ، ومكانة الانقسام القومي . وعجز الارادة الوطنية عن تحقيق أي انتصار ان هي قصرت عن استيعاب هذا الانقسام وعن تأطير حركتها لصالح أهدافه ، ومستلزماته فاستطاع أن يضع مصر في مكانها الطبيعي وأن يبلغ في حركته من خلالها أعلى

مراحل التأثير قومياً ودولياً ، وإذا كان البعض يلجأ لتفسير التأثير البالغ لحركة عبد الناصر الى شخصيته وعميزاته ، فإن هذا التفسير لا يتعدى الجانب الذاتي في الموضوع ، في حين نلمس الجانب الموضوعي في العديد من المسائل ، والتي يأتي في مقدمتها إدراك القضية القومية ، والتعامل دولياً إعتماداً عليها .

ـ وفي اطار التأثير والتأثر بالعلاقات الدولية كان التفريق شديداً بين تعارض المصالح القومية لشعوب المجموعة البشرية ، وهو تعارض طبيعي ـ ومنطقي ، وبين التناقض الصارخ بين ارادة الاستغلال والسيطرة التي تمثلها الامبريالية العالمية وإرادة التحرر والاستقلال.الذي تعمل على تسييدها نضالات الشعوب ، وإذا كان الحوار المبني على معرفة حدود المصالح المشتركة بين الشعوب هو السبيل لحل تعارضات الجانب الأول فإن الامساك بالحق الوطني ، والدفاع عنه ، وحشد القوة لنيله وحمايته هو السبيل لحل التناقض الثاني ، ومن هنا كان شعار عبد الناصر « ان الحق بدون قوة هو حق ضائع » .

نحن نعي تماماً لماذا أطلق ، نابليون بونابرت نداءه وهو يقف عاجزاً أمام أسوار عكا ليهود المدينة لمساعدته على احتلالها مقابل تسليم القدس والسماح لهم بإقامة كيان سياسي ، بمثل ما نعي معنى النصيحة التي أسداها مجلس العموم البريطاني إلى حكومة صاحبة الجلالة ، لانشاء كيان سياسي يفصل مغرب الوطن العربي عن مشرقه فيؤمن بذلك استمرار هيمنة الاستعمار البريطاني على قناة السويس ، ويمنع ، العرب من تحقيق وحدتهم ، واتصالهم الطبيعي .

ان وعد بلفور ، ومسرحية الانتداب البريطاني على فلسطين ، واعتراف الأمم المتحدة بالدولة الصهيونية ، كلها تأتي في اطار تأمين مصالح الامبريالية في منطقتنا ، بمنع هذه الأمة من تحقيق كيانها السياسي الواحد ، وبتوجيه الضربات الوقائية لها كلما أمكن لها أن تبني قوتها .

ومثل هذا النموذج من التناقض الصارخ في المصالح والتوجهات لا يمكن حله ، ولا يمكن التفكير في احلال السلام ، ما لم يصار إلى كسر هذه الارادة ، وتمكين الأمة من حقوقها التاريخية ، وأمنها المستقبلي .

قد تستطيع ظروف ما ، أن تخلق جواً هادئاً في هذه المنطقة ، لكن هناك فرق شاسع بين السلام العادل ، وبين الهدوء وقد يطول مثل هذا الوضع أو يقصر لكنه في كل الأحوال سيبقى مركز تهديد أساسي للسلام العالمي ، فكل ما بني على معاندة لاتجاه التطور الانساني ، وعلى قلب لحقائق نمو المجتمعات البشرية ، سوف يسقط في النهاية وسوف يكون لسقوطه طابع درامي عنيف .

ـ وكان ادراك عبد الناصر دقيقاً في ان الحياد مستحيل ، وأيضاً مناف لمسؤولية الانسان ، تجاه البشرية ، لذلك فإنه حين رفع شعار الحياد الايجابي وعدم الانحياز فإنه كان يعبر عن الطريق العادل والضروري حتى يجتاز العالم سبل التكتل وسبل الموقف المسبق من كل حدث ، وحتى يكون في امكان كل دولة أن تقف موقفها الحر ازاء ما يعترض العالم من مشاكل انطلاقاً من قاعدتي حرية الشعوب في تحديد مسارها ومساحة المصالح المشتركة بين الأمم ، وضرورة تطويرها ، ومن

هنا كان مفهوم عبد الناصر أن لا يجوز أن تعتبر مجموعة عدم الانحياز تكتل جديد ، أو حلف جديد في مواجهة أحلاف الشرق ، والغرب ، وإنما هي تعبير عن ضمير الانسانية في السبيل الواجب اتباعه لمواجهة المشاكل المشتركة والمؤثرة على المجموعة البشرية .

ولقد مضى اليوم عشر سنوات ليس فقط على غياب عبد الناصر ، وإنما على الأعراض عن هذه الحقائق الخمسة وتنكب كل ما يخالفها بفعل عوامل عديدة ، أولاها ، وأكثرها أثراً ما حدث من ردة في مصر ، وفي مجمل حركة النضال العربي ، وكان من أثر ذلك ان عادت المنطقة العربية مجدداً إلى ميدان مناطق النفوذ وشلت إلى حد بعيد حركة مجموعة عدم الانحياز وتصاعد مجدداً التأزم الدولي ، باعتباره نتاج علاقات ومصالح المعسكرين فقط .

وإذا كان للدراسة التحولات التي حدثت في هذه السنوات العشر ميداناً آخر غير هذه الورقة ، فإن الحقيقة التي لا بد أن نعود إليها ، كما ابتدأنا بها ، هي الاحساس بخطورة استمرار انقسام العالم بين دول متقدمة وأخرى متخلفة ، خطورته على السلام والأمن العالميين وما نتج عن هذا الاحساس من دعوات ، ومؤتمرات من أجل معالجة هذا الوضع ، سواء كان ذلك تحت عنوان حوار الشمال والجنوب ، أو كان تحت أي عنوان آخر .

ان الفلسفة التي بنيت عليها مثل هذه الدعوات لا تقوم على أساس من ضرورة معالجة هذا الخلل التاريخي وإنما على أساس درء مخاطر هذه الحالة عن البلدان المتقدمة وبالتالي فإن مختلف المعالجات الناتجة لن تمس جوهر المشكلة ، وإنما تحاول أن تدفع بعضاً من نتائجها عند بعض من المجتمعات .

ولما كان مثل هذا التباين مرتبط أصلاً بطبيعة النظام الرأسمالي القائم . فإن طلب الحل من هذا النظام مخالف لطبيعة الأمور .

اننا حين نصل إلى مثل هذه النتيجة فلا نعني أن يتوقف هذا الحوار ، لعدم جدواه ، وإنما نعني أن نرفع وهماً ، في مقدرته على ايجاد حل ، ويبقى له دور ما ، في تسكين بعض مظاهر هذا الخلل .

ان القضية لم تعد مجرد وقف استنزاف الثروات ، ولا ايجاد علاقة عادلة بين المواد الأولية والمواد المصنعة ، ولا التخلص من خضوع المبادلات الدولية لهيمنة الدولار ، فإن هذه كلها أجزاء من المشكلة ، ورغم ذلك فإن مثل هذه الحوارات عاجزة عن ايجاد حل لمثل هذه المسائل .

ان هناك بعداً تاريخياً ، وبعداً واقعياً ، وبعداً مستقبلياً لحالة الخلل هذه ، وطرح المسألة من منظور ماذا تستطيع أن تقدمه الدول المتقدمة للبلدان المتخلفة حتى تجتاز هذه واقع ما هي فيه ، قلباً للحقيقة الواجبة ، فالأصل في معالجة هذا الخلل . ان تعرف البلدان المتخلفة ما لها من حقوق في ذمة البلدان المتقدمة ، وأن تعمل على استرجاعها ، وعلى الامساك بها ان علاقة الاستغلال الناتجة عن حاجة هذه البلدان إلى التكنولوجيا ، لا تحل بمجرد أن تتفضل الدول المتقدمة بابداء استعدادها لذلك ، وإنما في معرفة قيادات البلدان النامية ، ماذا تريد ، وأي نوع ، وفي أي حجم ، تحتاج

من هذه التكنولوجيا لتحقق لنفسها التقدم ، ثم في تحديد اطار المشكلة باعتباره ليس حاجة خاصة لبلد من البلدان ، وإنما هي حاجة لكل العالم النامي ، حاجة متشعبة الجوانب ، الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية .

اننا حين وقفنا نرسم الحقائق التي أمسك بها جمال عبد الناصر ، لم يكن منطلقنا في ذلك أن نذكر خصائص لعبد الناصر ، وإنما أن نرصد من هذه الخصائص ما يدخل في اطار تحديد النظام العالمي الجديد ، آفاقه وامكانات صنعه .

من يستطيع أن يبني النظام الجديد ؟ فقط الدول النامية ، وكل ما يأتي من خارج اطارها انما هو زيادة ، لا تستطيع أن تخلق هذا النظام ، لكنها تستطيع أن تساعد على ابرازه .

العلاقات مع المعسكر الاشتراكي ، لا يمكن أن تبني نظاماً عالمياً جديداً ، ما لم تتوفر الارادة الوطنية ، الملتزمة بقوى العمل الوطنية ، بامكاناتها ، وبأهدافها ، الارادة الوطنية الواعية لحجم المصالح المشتركة ، والمتعاملة على أساس من مصلحة الأمة التي تنتمي إليها ، العارفة تماماً ، معركتها الأساسية مع من ؟ والعارفة أيضاً لحقيقة التباين بين الأمم ، لواقعيتها ولامكانية حلها بالحوار والتعاون ، فمجرد أن تغيب عن الارادة الوطنية الفوارق الصارخة بين التناقض الرئيسي والجانبي ، فإن هذه الارادة تضيع ، وتبقى في اطار التخلف ، والمعارك الخاسرة .

ان الأصل أن تعرف الارادة الوطنية أخطبوط العلاقات التي تربطها بالعالم الرأسمالي فتتخلص من هذا الأخطبوط ، وتبني علاقاتها الدولية من جديد على أساس من سيادة الارادة الوطنية ، وسيادة المصلحة العليا لقوى العمل في مجتمعاتها .

عند ذلك فقط تنقلب المعادلة ، فتكون أخذاً مقتدراً من جانب هذه الدول وتخلياً كارهاً من جانب المجموعة الامبريالية ، بمثل ما تكون أخذاً واعياً من جانب الدول النامية ، وعطاءً واعياً أيضاً من جانب مجموعة الدول الاشتراكية .

وسيادة الارادة الوطنية ، المجسدة لقوى العمل في المجتمع ، يعني أن تنتهج هذه الدول سبيل التخطيط الشامل ، وسبيل السيطرة الكاملة على مصادر الثروة الوطنية ، وتعني اعادة توزيع الثروة على أساس ما يقدمه كل فرد في المجتمع من عمل مفيد لهذا المجتمع .

هذا هو الطريق الذي خطه جمال عبد الناصر ، وهو طريق تشير كل الوقائع يوماً بعد يوم أنه الطريق الوحيد لاجتياز المسافة بين التقدم والتخلف ، ولاعادة صياغة العلاقات الدولية على أساس يضمن السلام ، والأمن ، والرخاء الدولي .

ان مثلا عربيا يختصر كل هذا القول « ما حك جلدك مثل ظفرك » شريطة أن تعرف ، مساحة هذا الجلد ، وقوة هذا الظفر .

اننا نشعر ان مثل هذا الخلل على المستوى الدولي سوف يستمر ، حتى تمسك القيادات الوطنية في هذه البلدان بمثل ما أمسك به جمال عبد الناصر ، ولعل الخيال يجنح بعض الأحيان

لتمني أن لا يستمر هذا الخلل وأن تستطيع مثل هذه الحوارات الجارية أن تصنع شيئاً ، لكن الخيال لا يستطيع أن يغير الحقائق والآمال التي لا تستند إلى وقائع تمس كبد الحقيقة لا تستطيع أن تغير شيئاً في عالم يسير ـ رغم كا ما نراه ـ وفق قوانين صارمة ، قادرة على كسر الأماني ، والأحلام ، ما لم تصطدم بحقيقة وصلابة الارادة الشعبية الحرة الواعية .

كلمة جاك بيرك الختامية

سيداتي سادتي

أعتقد أنني أَبْسُطُ رأي الجميع بحديثي ، إلى أي درجة كنت وكنا مهتمين بهذه الآراء المتبادلة التي أتت عن تجربة وتفكير عميقين والتي تسمح بالمرور عبر عشرات السنين وعبر الزمن لقياس العديد من الأشياء وبمقابلتها الواحدة مع الأخرى كل حسب نسبتها .

هذا هو الدور الذي علينا أن نتقاسمه ونتقنه في نفس الوقت . إن هذا نفسه ما أراد أحد الخطباء الاشارة إليه بهذه الكلمة الخطيرة « التساؤ ل » ، هذه الصيغة الاستفهامية التي أوصى بها الشعب العربي وأصدقاءه المغفور له جمال عبد الناصر . من المؤكد ان تاريخ مصر والشرق لم يبدأ معه ، بل انه أبعد من ذلك ، وإقليمياً فإن تاريخ مصر هو سلسلة طويلة من الاستمرار والانقطاع مع صعود ونزول وتحليق وهبوط . إن مرحلة الناصرية كانت واحدة من هذه اليقظات والفترة التي تلتها كانت واحدة من هذه الكبوات وسيرى المستقبل القريب حتماً نهضات أخرى بشرط أن يشرف الشعب عليها وشرط أن يساعده المثقفون والثوريون على القيام بما يلزمه لهذا . ربما تتذكرون ذكرى تاريخية تعود إلى ما قبل ولادتي ، وقرأناها في الكتب ، في يوم موت مصطفى كامل ، كما قال المؤرخون ، سمع صوت قلب مصر يدق مختلجاً . أما يوم موت جمال عبد الناصر فلم يسمع فقط صوت قلب مصر يدق بل إرادتها ومنطقها وكذلك أيضاً قدرها . أتصور أن حقبة عبد الناصر وعلى الأخص سنواته الأولى ، قد شكلت لحظة تملك وعي النقد بامتياز عند هذا الشعب مشتملاً في الوقت نفسه على تعميق الذات وممارسة القرار واستخدام الرفض والامتناع .

وأسمي طوعاً هذه المرحلة « اللحظة الجدلية في تاريخ مصر » ولهذا فلعلّه ليس من الترف الفكري أن تمنحنا الجدلية التاريخية أفضل الوسائل لفهمها وتحليلها . من الصعب دوماً استشراف وتصنيف الأحداث التي تتتابع خاصة في فترة زمنية قصيرة نسبياً مثل هذه الأخيرة . وأغلب الأحيان فإن ما تقصد قوله الأحداث لا يفهم في نفس اللحظة . فمثلاً ، مع الحفاظ على النسب وكما سبق لي القول منذ قليل أننا لسنا هنا في معرض القيام بتوزيع الجوائز ، قبل أن يصبح نابليون بونابارت عند الفرنسيين التعبير العسكري عن الثورة الفرنسية : ثورة غوتيه ، وكما قال عنها كارل

ماركس ، والمتحزب لثورته بامتياز والذي حمل تحزبه إلى كل أوروبا . فقد اعتبر لفترة طويلة سفاحاً قاتلاً ، وغولا كورسيكياً كما كانت تقول في تلك الفترة أوراق المعارضة وكذلك أصدقاؤنا البريطانيون حينذاك . وبفعل مرور الوقت فإن العناصر السياسية لصورته المسبقة قد تحررت وأعطيت معانيها الحقيقية فتم بذلك تصحيح هذه الصورة وتعديلها . وأظن أنه بالنسبة لعبد الناصر لم يك ثمة حاجة لهذه الفترة من التطهير والتنقية . وليس ضرورياً ، في الواقع ، أن نكون طاعنين في السن من أجل تذكر الكلمات العظيمة التي قالها حين توليه السلطة ـ ولقد شاءت الصدف أن أكون في مصر في تلك الفترة ـ وتحديداً هناك مثلاً كلمة سمعناها حديثاً هنا . كلمة « الكرامة » إن أول ما يمليه النهج الناصري أو المفهوم الناصري ، إذا شئنا ، هو الكرامة ؛ كرامة الشعب وكرامة الانسان ؛ والعودة إلى كرامته الشخصية والجماعية . والأمر الثاني هو اعطاء معنى لظروف الوجود والممارسة اليومية بوجه الخصوص . فحتى ذلك الوقت لم يكُ موسم القطن سوى عملية اقتصادية مطبوعة بالاستغلال ثم دخل بعد ذلك في اطار بناء الذات وطنياً . اعتماداً على قدرات الشعب نفسه . كان عبد الناصر بالنسبة للمصريين وللعرب ولجزء كبير من شعوب افريقيا وآسيا . الرجل الذي ابتدع هذا النهج الجديد . الذي كان ينجز كفعل أكثر منه كقول وتنظير . لقد قلتها مرات عديدة أن التفاؤل في التاريخ بالنسبة لرجل أو لشعب ليس بالاعتقاد بالسعادة بل بالاعتقاد بالمشاكل وبافتراضها وبالسعي لحلها . غير أن الناصرية تفرض على هذه المشاكل نوعاً من الوثوب إلى الأمام . . . نوعاً من القفز في مضمونها . لقد أدرك عبد الناصر بوعي تام أن الأمر بالنسبة لمشاكل المصريين يتعلق ليس فقط بمشاكل من النوع الداخلي وليس فقط بنتيجة القدر الذي قُضي به في الخارج بل بالصلة بين الداخل والخارج ، بالصلة بين وضع معين اجتماعي نفسي إقتصادي داخلي من جهة وضغط معين من القوى العالمية الاستراتيجية الاقتصادية من جهة أخرى . وقد بدأ عبد الناصر بتقليص هذه الصلة . بتأميم قناة السويس من ناحية وبقانون تحديد الملكية من ناحية أخرى . لقد عرف كلية مدى ارتباط القوى المؤثرة النفعية في التحالف المشؤوم بين الهيمنة الخارجية وقوى العمالة الداخلية طوال مئات الأعوام . بالنسبة للنقطة التي اجتذبت اهتمامه بكل تأكيد فإنها كانت الوجود الدخيل في قلب العالم العربي لاسرائيل الاستيطانية الغريبة عن جسده . وجود شكل ولا زال يشكل خطراً وشراً ليس فقط بالمعنى المجسد للكلمة بل أيضاً كرمز وأصرّ على المظهرين لهذه المشكلة لأن الواحد أو الآخر من هذين المظهرين وتحديداً المظهر الرمزي هو الذي يجهله الأجانب في أغلب الأحيان . إن وجود اسرائيل فرض على العرب أزلية استعمارهم لا بل أنه حتى ، وضمن مقياس معين ، يمثل هذا الوجود بالنسبة إليهم استعماراً مطلقاً ضمن هذا المعنى فإن الاستعماريين الكلاسيكيين شاركوا على طريقتهم وحسب بعض التصورات المحددة في سوق اقتسام النفوذ العالمي بوسائل منها نشر اللغات الأجنبية . . . الخ . وهذا أمر سعوا معه لادخال الصهيونية إلى الشرق الأوسط . كل هذا كان مترابطاً وكان إذاً المعنى الثالث لمبادرة عبد الناصر . كل هذا كان يشكل بالنسبة إليه جواباً لهذه الامبريالية وأستعمل عبارة الامبريالية ضمن معنى تاريخي محدد جداً وهو أن انعكاس الثورة الصناعية والعلمية على العالم هو انعكاس مرتبط جذرياً بالقوة : هذه هي الامبريالية . يجب إذاً استيعاب هذه الثورة الصناعية

والعلمية واستخدامها من أجل بتر علاقات القوة هذه أي بمعنى ، وهنا أجيء إلى المعنى الرابع لتحليل نهج الناصرية معنى الرابطة العللية . . . رابطة عللية كانت هذه المرة حقيقية وليست مزورة مرغوبة ومبنية وليست طارئة ومفروضة . هذا هو الرجل الذي استشرف بالحس وفي ريعان الشباب طموح مصر ، وشاركه في هذا الطموح شبان مصريون كانوا معه حينها والبعض منهم موجود في هذه القاعة . . . أجل ان التجربة كانت كبيرة وأن السقطة التي تبعتها لم تك بأقل منها حجماً . أي تناقض بين هذه المحاولة المثيرة التي أخرجت للمرة الأولى ولتقلها بجرأة ، منذ الحقبة الكلاسيكية شعباً عربياً من الدائرة الضيقة المفروضة عليه إلى دائرة الفعل أو لكي يمسك بزمام المبادرة حسب المقياس العام لأن هذه أيضاً هي الناصرية حيث تحدثنا عن النموذج الذي أطلقه . نعم لقد كان نموذجاً . . . يطرح نفسه في القارات الثلاث وربما في قلب أوروبا ذاتها وحتى في أوروبا الغربية . أي سقوط ؟ . . . عندما نشاهد ، على النقيض الكلي لهذه المبادرة ، عودة للمساومة القميئة ولسلوك التبعية والانهزامية . إن هذا التناقض المر يجعلنا نحس عظمة التجربة التي سبقت وعندما أتكلم عن العظمة لا أندفع في خطاب تقريظ ولا أيضاً في رواية سيرة حياة . لأنه ليس بين أي منا هنا من عنده ميل لتقديس الشخصية . إلا أننا نمتلك تجربة كافية لكي نعرف وزن الشخصيات التي أعطت تاريخ الأمم وجهاً جديداً . وليس في نيتي كذلك أن أمر مرور الكرام على سلبيات هذه الحقبة . سلبيات هي بحد ذاتها ، كما قد قيل وبطريقة مؤثرة جداً منذ قليل ، سلبيات ثورية . نعم لقد كانت حقبة ، كما قال د. فؤاد مرسي ، ثورية بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات . إذاً فإن نقدنا التاريخي من أجل متابعة هذه الوثبة الثورية لا يجب أن يغفل لا عن هذه ولا عن تلك وبالرغم من أنه لا يتلاءم مع طابع هذه الندوة ، الاصرار على السلبيات فقد لاحظت ، صدقوا ذلك ، وبكثير من الانتباه أنه لا يوجد في أي من التقارير التي عُرضت هنا أي اشارة إليها وأحياناً حدثت اشارة رمزية مستعجلة . نعم ضمن اعتبار أننا نتابع هذه الدراسة سيكون علينا أن نجيب على سؤال ، لماذا كان في هذه التجربة الكبيرة نقاط ضعف ؟ نقاط ضعف من جهة ديموقراطية القاعدة أو من جهة النخبة والجامعات ومن جهة ما يمكن تسميته الثقافة عموماً . لقد كان ثمة نقاط ضعف . . يمكن تفسيرها من حيث أنه أبداً وفي أي وقت كان ، وللأسف ، لم يك لعبد الناصر الصلاحية المطلقة لأخذ القرار ولا ، بوجه الخصوص ، للقيام بالتنفيذ والتطبيق . فالضغط الداخلي والخارجي كان يحد من مبادراته .

ولقد تتابعت النظرية والممارسة الواحدة والأخرى أثناء هذه الحقبة دون أن تؤديا إلى ما كان مقصوداً بتعبير مدرسة لكن بكل تأكيد لم يكن الأمر يعني مدرسة ، فالحياة لا تخضع أبداً للمدرسة لا بل أن المدرسة هي التي يجب أن تلتزم بمدرسة الحياة . وقد حدث في بعض الحالات نوع من الابتعاد المؤقت بين ما يمكن أن نسميه عفوية الجماهير وقدرتها على الحشد وبين ما نسميه أيضاً سلوك الأجهزة أو مراكز القوى كل هذا يمكن دراسته بالنسبة إلى ظروفه .

قصارى القول ، ليس عليّ أنا واجب الاصرار على هذه الأمور إذ أن العديد بينكم الذين عاشوها والذين حتى عانوا منها في نفوسهم وفي حياتهم المهنية وأحياناً حتى في حرياتهم سيجدون

صدى عندهم لقولي هذا مصحوباً بالشعور بالتقصير خاصة وان الذي يقول لهم ذلك هو مراقب أجنبي .

ان الرؤية التي يمنحها الرجوع التاريخي ، والمصحوبة بالايجابية إلى أي مدى ستمنحنا الوثوب من جديد ؟ اننا نحس دائماً ترجحات هذه الوثبة ، التي حدثت حسب المقياس العالمي ، إلى حد أننا نستطيع أن نحمل عبئها لكي نجعلها قادرة على الاستمرار . أما بالنسبة للرجل الذي ستسمحون لي بالانتهاء ، مثيراً موضوعه هنا ، هذا الرجل المحاصر المنهك والـمُخان الذي لم يعتره اليأس أبداً . هذا الرجل لن يفارق مطلقاً ذاكرتنا وسوف يكون دوماً حاضراً في أعماقنا . . واعذروني لهذا القول فأنا لا أعدو كوني شاهداً من الأشهاد الذين يشاركونكم الوفاء . . حتى ولو كان هذا الوفاء . . حقيقة وفعلاً ، عملية نقدية تتجاوز المألوف إذ أن هذه سوف تكون الطريقة الفضلى للاستمرار .

وشكراً

القسم الخامس

البيان الختامي

بيان ختامي عن ندوة
« الناصرية والنظام العالمي الجديد »

بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل الزعيم جمال عبد الناصر ، وبدعوة من رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين وجمعية التضامن العربي الفرنسي ، انعقدت على امتداد يومي ٣٠ سبتمبر والأول من اكتوبر ١٩٨٠ في باريس ندوة علمية لمناقشة موضوع « الناصرية والنظام العالمي الجديد » .

وقد تناوب رئاسة الندوة كل من الأستاذ جاك بيرك الأستاذ بالكوليج دي فرانس ، والأستاذ خالد محي الدين عضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ، وزميل نضال عبد الناصر .

وافتتحت الندوة بكلمتي تحية من مندوبي منظمي الندوة ، الدكتور يوسف الصميلي عن الرابطة ، والسيد لوسيان بيترلان عن جمعية التضامن وساهم فيها ببحوث وأوراق عدد من المفكرين والشخصيات العامة نوردهم فيما يلي حسب ترتيب تقديم مساهماتهم في جلسات الندوة المتعاقبة .

١ ـ الأستاذ خالد محي الدين
الناصرية والنظام العالمي الجديد ودور دول آسيا وافريقيا ، وأميركا اللاتينية .

٢ ـ الأستاذ أمين هويدي
الناصرية والنظام العالمي الجديد .
ـ رؤ ية عربية من منظور استراتيجي .

٣ ـ الأستاذ الأخضر الابراهيمي
الناصرية والنظام العالمي الجديد
ـ رؤ ية عربية من منظور سياسي .

٤ ـ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله
الناصرية والنظام العالمي الجديد
ـ رؤ ية عربية من منظور حضاري .

٥ ـ الأستاذ الياس سحاب
الناصرية والقومية العربية والنظام العالمي الجديد .

٦ ـ الأستاذ حسن صبرا
رؤ ية الشباب الناصري لمستقبل الناصرية والنظام العالمي الجديد .

٧ ـ الدكتور فؤ اد مرسي
رؤ ية عبد الناصر لطريق الانتقال إلى الاشتراكية .

٨ ـ الدكتور حسام عيسى
الناصرية والنظام الاقتصادي العالمي الجديد .

٩ ـ الأستاذ فاضل الضاني
رؤ ية الثورة الفلسطينية لاسهامات الناصرية في حركة التحرر العربي والعالمي .

١٠ ـ الدكتور محمد زنبير
المغرب العربي والناصرية .

١١ ـ الأستاذ أحمد الجمال
الناصرية والنظام العالمي الجديد
ـ مقدمات ونتائج .

كما ساهم عدد كبير من الحاضرين في مناقشة القضايا المختلفة مناقشة مثرية وبناءة .

واختتم الأستاذ جاك بيرك أعمال الندوة بعرض وتحليل وافيين وتقويم موضوعي للندوة لخصه في أنه قد استخرج صورتين لمصر : الأولى مصر الكرامة والأمل ، والأخرى لمصر في عصر المساومة والقماءة .

ثم ركز في خلاصته على الوعي النقدي الحالي للفكر الناصري ، ليبرز في النهاية ، الأهمية التاريخية لهذه الندوة .

ولقد برزت من خلال الأوراق التي قدمت والمناقشات التي دارت أثناء الندوة ، عدة حقائق ومؤ شرات نورد أهمها فيما يلي :

أولا ـ ان الناصرية ليست تراثاً مضى زمنه ، وإنما هي تجربة حية من الممارسة والفكر الثوريين أهم ما يميزها ديناميتها ، وقابليتها المستمرة للتطور والتفاعل مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية .

ثانياً ـ ان جوهر الناصرية يتمثل في العداء المتصاعد ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، والربط العضوي بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية .

ثالثاً ـ ان الناصرية لم تقتصر في طرحها لمفهوم الثورة على الصعيد القطري لمصر وحدها ، وإنما امتدت نظرتها إلى الصعيد القومي للأمة العربية ، وبذلك أكدت الناصرية على وحدة الثورة العربية وأسهمت عملياً في تطوير وتفجير حركات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي على امتداد

الساحة العربية ، وقد تمثل ذلك بصفة خاصة في موقف الناصرية من الثورة الفلسطينية ، والاستعمار الاستيطاني للصهيونية العالمية في فلسطين .

رابعاً ـ ان المشروع الثوري الذي طرحته الناصرية فكراً وممارسة كان مصدر الهام لعدد كبير من ثورات التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في افريقيا وآسيا ، وأميركا اللاتينية اضافة إلى اسهامها العملي في دعم كافة حركات التحرر الوطني في افريقيا .

خامساً ـ انه كان للتجربة الناصرية اسهاماً بارزاً في انشاء ودعم حركة عدم الانحياز وطرح أسس جديدة للعلاقات الدولية المتكافئة وفي التمهيد والاعداد لانهاء الحرب الباردة وتحقيق الانفراج الدولي واقامة نظام عالمي جديد يقوم على أسس التكافؤ والعدالة والديمقراطية .

سادساً ـ ان الدرس الباقي والمستمد من التجربة الناصرية هو انها قد ضربت المثل على امكانية قيام بلد متخلف وتابع بتحرير أرضه وثرواته والقيام بعملية تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية شاملة ومستقلة وجدية مستندة على أصوله الحضارية المتجددة ، وذلك من خلال صراع دائب ضد الامبريالية والرجعية المحلية ، معتمداً في الأساس على قواه الذاتية مع التضامن الوثيق مع بلدان العالم الثالث وبالتعاون والتحالف مع كل القوى المعادية للامبريالية من العالم وفي مقدمتها مجموعة الدول الاشتراكية .

سابعاً ـ انه على هدى هذا كله تتضح الأهمية الحالية للناصرية وضرورة استعادتها استعادة متجددة خلاقة في مواجهة الوضع العربي الراهن وما يتسم به من تجديد للتخلف وادامة للتبعية وتعميق للتجزئة فإن مرحلة جديدة من النهوض الثوري العربي يجب أن تبدأ بالاعتماد على حركة الجماهير العربية المنظمة التي تقدم أوسع الامكانيات لتفتح وتعاون كافة الاجتهادات والقوى الثورية ، الأمر الذي تتوفر له منذ الآن كافة الظروف الموضوعية المواتية .

الفهرست

- القسم الثالث :

- القسم الرابع :

هـذا الكتاب

يضم هذا الكتاب أوراق ومناقشات الندوة العلمية التي عقدت في باريس على امتداد يومي ٣١ اكتوبر ـ تشرين الأول، والأول من نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٨٠، والتي دعت اليها رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين بالاشتراك مع جمعية التضامن العربي الفرنسي.

وقد جاءت هذه الندوة في مناسبة الذكرى العاشرة لرحيل عبدالناصر المعلم الأكبر للناصرية ورائدها وأمثولتها وزعيمها ليؤكد المشتركون فيها، على اختلاف منابع فكرهم وتباين تجاربهم، ان الناصرية ليست تراثاً مضى، وانما هي تجربة حيّة من الممارسة والفكر الثوريين أهم ما يميزها ديناميتها وقابليتها المستمر للتطور والتفاعل مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية. وان جوهرها يتمثل في العداء المتصاعد ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والربط العضوي بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية، ومن ثم الأهمية الحالية للناصرية وضرورة استعادتها استعادة متجددة خلاقة في مواجهة الوضع العربي الراهن وما يتسم به من تجديد للتخلف وادامة للتبعية وتعميق للتجزئة.





الثمن ١٤ ل.ل. أو ما يعادلها